« اَلَمْ يَأنِ للذَّينَ آمَنوا
اَنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لذِكْرِ الله ؟ »

# ماهو التصوّف

## ماهي الطريقة النقشبندية


تأليف
الشيخ امين الشيخ علاء الدين النقشبندي

ترجمة
الدكتور محمد شريف احمد

تقديم
العلامة الشيخ عبدالكريم المدرس



اَلَمْ يَأنِ لِلذَّينَ آمَنوا
اَنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لِذِكْرِ الله ؟

# ماهو التصوّف

## ماهي الطريقة النقشبندية

تاليف

الشيخ امين الشيخ علاء الدين النقشبندي

ترجمة

الدكتور محمّد شريف احمد

تقديم

العلامة الشيخ عبدالكريم المدرس

# المقدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى لاسيما سيدنا محمد اشرف الانام في الوفاء وعلمائه واصحابه واتباعه باحسان الى يوم الدين.

وبعد فقد وجدت الكتاب الشريف اللطيف الذي الفه صاحب القلم الثمين والكاتب بالتمكين الحاج الشيخ امين النقشبندي في التصوف باللغة الكردية لتوجيه المسلمين الى حقيقة التصوف ثم ترجمه باللغة العربية الاخ العزيز الدكتور محمد شريف للوصول الى بيان وافٍ بحيث تستفيد منه الامة الاسلامية العربية ويكون نفعه اعم واتم فوجدت الاصل والترجمة من نفائس التأليف بحيث يستحقان التقديم والتقويم والتشريف فاحببت ان اتشرف بالمساهمة في ذلك الاحسان بكلمات موجزة حول التصوف وحقيقته فأقول:

ان التصوف هو تصرّف الانسان المسلم في نفسه بتنبيهها عن الغفلات وزجرها عن السيئات وتوجيهها الى الحسنات بالاتباع الكامِل بحسب الامكان لخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلقه القرآن.

ولاشك ان اتباعه انما يحصل بالعبادة عملا بقوله تعالى: **«وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون»** وفي الاخلاص فيها لقوله تعالى: **«وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»** وبمعرفته تعالى بقدر المستطاع لقوله تعالى: **«ولاتكن من الغافلين»** وفي الابتعاد عن اهل الغفلة لقوله تعالى: **«ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا»** وفي الخوف المستمر من الرب سبحانه وتعالى استنادا الى قوله الكريم **«واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى.»** وفي مزيد الرغبة في التقوى لقوله تعالى **«واتقوا الله ويعلمكم الله»**. وفي الثبات على الحق في السراء والضراء لقوله تعالى: **«ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة الا**

**تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون»** وفي حراسة القلب والمشاعر والحواس عما نهى الله عنه عملا بقوله تعالى: **«وذروا ظاهر الاثم وباطنه»** وبالاستقامة على ترك المنهيات وفعل الطاعات عملا بقوله تعالى: **«فاستقم كما امرت»**.

والتصوف بهذا المعنى الجلي الجليل هو الاسلام بمعناه السليم الكفيل لسعادة الدارين وليس شيئا غيره وليس غير ماقلنا من الاسلام قطعا فالمتصوفون بالدرجة الاولى هم المسلمون والمسلمون بالمعنى الكامل هم المتصوفون.

واذا اسند الاسلام الى غيرهم فانما هو للعمل بظاهر الاداب والاعمال وللاستناد الى سعة رحمة الله المتعالي **«ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون»** وللتنوّر بذلك الاتباع ولو كان شيئا قليلا.

وكان المتصفون بذلك الاتباع الشريف الرعيل الاول من الصحابة الذين هم خير امة اخرجت للناس كالخلفاء الراشدين واصحاب الصفة المهتدين ومن اصطفى لنفسه الاتصال بحضرة قدسه مؤثرا للبقاء على الفناء.

فانتشرت منهم فائحة عطور الازهار والاوراد وانشرحت صدورهم بعبادة رب العباد وفاضت منهم الانوار على قلوب من جاورهم بالاخلاص فصاروا على قدم الرسول (ﷺ) مهتدين بهداه ومتذكرين بذكراه ومتنورين بنور قلبه الشريف وسناه وخلق الله في قلوبهم وسائر لطائفهم السنة النبوية المعنوية باقية فيهم الى يوم لقاه.

وسرت تلك الانوار منهم الى غيرهم كما وصل من الصديق الاكبر رضي الله عنه الى سلمان ومنه الى قاسم بن محمد ومنه الى جعفر الصادق، ومن سيدنا علي ابن ابي طالب الى الحسن البصري ومنه الى الحبيب ومنه الى داود الطائي ومنه الى معروف الكرخي ومنه الى السري ومنه الى جنيد بن محمد سيد الطائفتين اي علم الاحكام وعلم الاخلاص والتخلي عن الاثام رضي الله تعالى عنهم اجمعين.

ولم يكن اولئك الاعلام الامن اهل القرون الثلاثة الذين شهد الرسول (ﷺ) بان قرونهم من خير القرون فهل يتصور انهم كانوا الاعلى إلحق السليم والصراط المستقيم.

وقد اثنى الله تعالى على زمرة الاصحاب منهم عامة وخاصة وكفى في الثناء عليهم قوله تعالى: **«محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود»**.

ولما كانت الازهار تنتشر منها العطور فكلما جاورهم مخلص من المخلصين تنور قلبه وانشرح صدره وبذلك كثرت اتباعهم وتنورت القلوب بالانوار القدسية وابتعدت عن الكدورات النفسية فتطورت الامة المخلصة العابدة الذاكرة فانكشفت لهم الاسرار فظهرت منهم خوارق وكرامات صارت شواهد على المعجزات وانتقل الناس من غياهب الخيالات الى انوار اليقينيات فكانت اعداد المسلمين الطالبين للمعارف والاخلاص تزداد يوما بعد يوم وسنة بعد سنة.

وبما انهم كانوا مجاهدين في سبيل الله وقال تعالى: **«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين»** انكشفت لكثير منهم صلاحية نوع من الاذكار والطاعات لاهل العصر واختار بعضهم لاتباعهم الدوام على الخلوة والصيام والقيام بالليل ومنهم من اختار تقليل الكلام في مالايفيد واكثار ذكر الله وكلمة التوحيد ومنهم من اختار الذكر القلبي ومراقبة احواله وحراسته عن الخطرات، ومنهم من اختار الاكثار من تلاوة القرآن الكريم والصلوات على صاحب الخلق العظيم سيدنا محمد (ﷺ) وكل ذلك داخل في واجبات الدين او سنة النبي الكريم وعليه اشتهر بين الناس الطريقة الجنيدية او الطريقة القادرية او غير الاسماء يعني ادابه الخاصة في تطبيق الكتاب والسنة الاسلامية حيث ان آداب الدين منها واجبات عينية او كفائية ومنها سنن مؤكدة ومنها سنن غير مؤكدة يعبر عنها بالتطوع وبأنه باب واسع مفتوح للدخول في رحمة الله تعالى ورحمته واسعة وسعت كل شيء، وقال تعالى: **«من تطوع خيرا فان الله شاكر عليم»** وليس في شيء منها بدعة ابتدعها الناس خلافا لما جاء به الرسول او معارضا لدينه ومن عبر عنها بذلك فهو لم يفهم معنى الدين ولا الفرائض ولا السنن بل هو المبتدع الذي يعبر عن كل خير لم يره بالبدعة، وحاشا الصحابة والسلف الصالحين عن الابتداع ولكن الجاهل غافل..

وقد اكد علماء الدين واولياء الاسلام ان من خرج عن منهاج الدين قيد شعره فلا شعور له ولو كان عنده الف شعار فانه لاخير في شعار بلا شعور ولافي مصباح بلا نور حتى قال سيدنا قطب العارفين الشيخ عبدالقادر الكيلاني نورالله روحه، من رأيتموه يمشي على الماء او يطير في الهواء ووجدتم عنده مايخالف الشرع الشريف فاعلموا انه دجال كذاب اخطأ طريق الحق والصواب. او كما قال.

وليس التصوف في الاسلام عبارة عن الرياضيات الهندوسية ولاعن الشعوذة وحيلة المحتالين ولاعن فن ابتدعوه وافتتن به الناس كما زعم الجهلة الاجانب لان تصوف الاسلام هو التخلق باخلاق المصطفى (ﷺ) والاقتباس من انوار صدره الشريف وقلبه

اللطيف وقد من الله تعالى عليه بشرح الصدر فقال له: **«الم نشرح لك صدرك»** وكل اتباعه وامته من المختصين بذلك الشرح وذلك التنوير. ولاحق للاجانب في التدخل في معنى تصوف الاسلام فان الدين لله تعالى والحق عنده وهو احكم الحاكمين وارحم الراحمين وغفار المذنبين وستار عيوب التائبين ومما يجب الانتباه لامرين مهمين في هذا الموضوع اى موضوع التصوف في الاسلام.

**الاول**: ان اولئك المتصوفين المتصرفين في انفسهم بصيانتها عن الفساد لم يتركوا الكسب الحلال حتى يكونوا كلا على الناس بل كانوا مكتسبين من الحلال وعائشين على ما اكتسبوه من المال. ولم يكونوا رهابنة يتركون الزواج والابتهاج الثابت بالدين من الحلال فانه قد كان لكثير من اولئك الصالحين ازواج مثنى وثلاث ورباع وكذلك اتباعهم في سائر الاقاليم والاصقاع امتثالا لقوله(ﷺ): تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط، واقوى شاهد على ماقلت كتب التاريخ والطبقات.

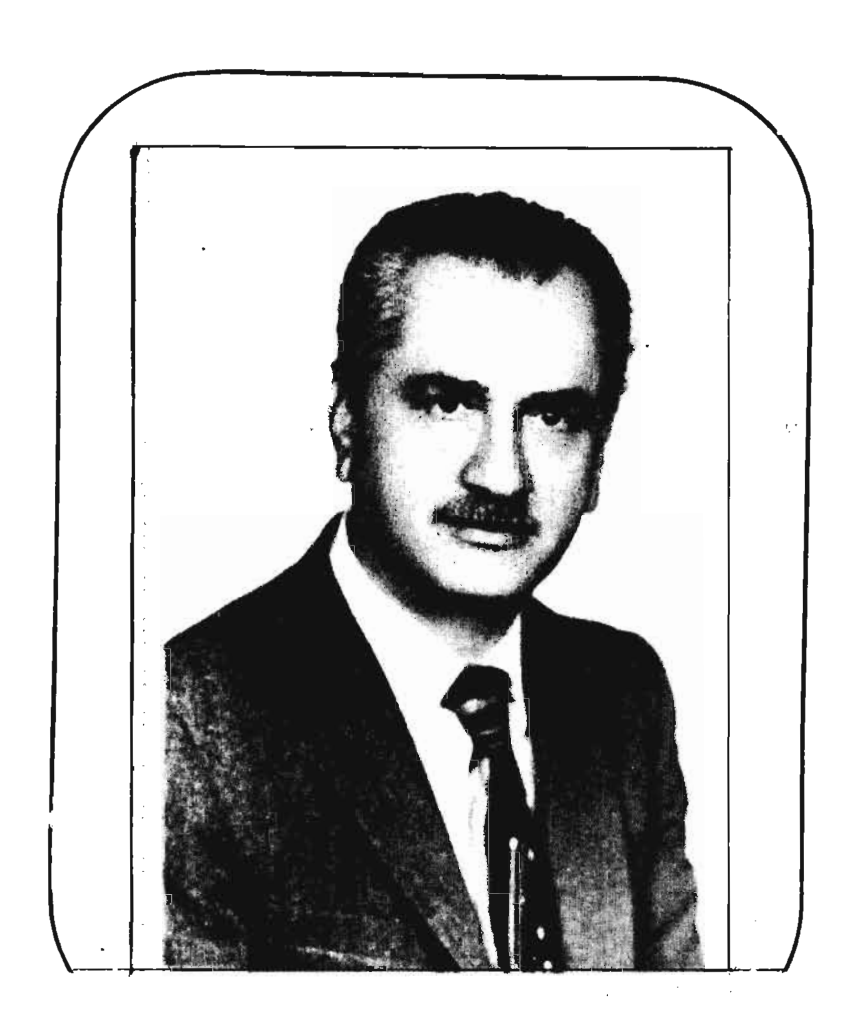
**الامر الثاني**: انهم لم يكونوا مبتعدين عن خدمة الاسلام والجهاد في الدين فان اصحاب الصفة وهم الرعيل الاول كانوا حاضرين في الجهاد والدفاع عن الاسلام وساعين في نشره في صفحات الاقاليم وكذلك اتباع الحسن وجنيد ومن بعدهم وكذلك اتباع سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني وامام العيون الحروب الصليبية وحضور ابنه السيد عبدالعزيز بجيشه الجرار وفتحهم لبعض الديار المقدسة، وامام العيون ابو الحسن الشاذلي وسفره لحرب المغول وكثير من الجيوش الاسلامية تكثرت برجال الروح والتصوف الاسلامي وقد نصرهم الله تعالى في مواطن كثيرة وامام التاريخ الشيخ شمس الدين ومناصرته للسلطان محمد الفاتح حتى فتح الله عليه الاستانة وغير ذلك مما يطول بيانه.

وهناك مهمة اخرى يجب التنبيه عليها وهي ان اولئك الاولياء كانوا دائما كالجيش في الثغور لارشاد المسلمين وشرح الصدور وترغيبهم في التزام الطاعات واجتناب الفتن والغوغاء ولم تفسد الدنيا الابفقدانهم وفقدان الناصرين لجيوش المسلمين علاوة على

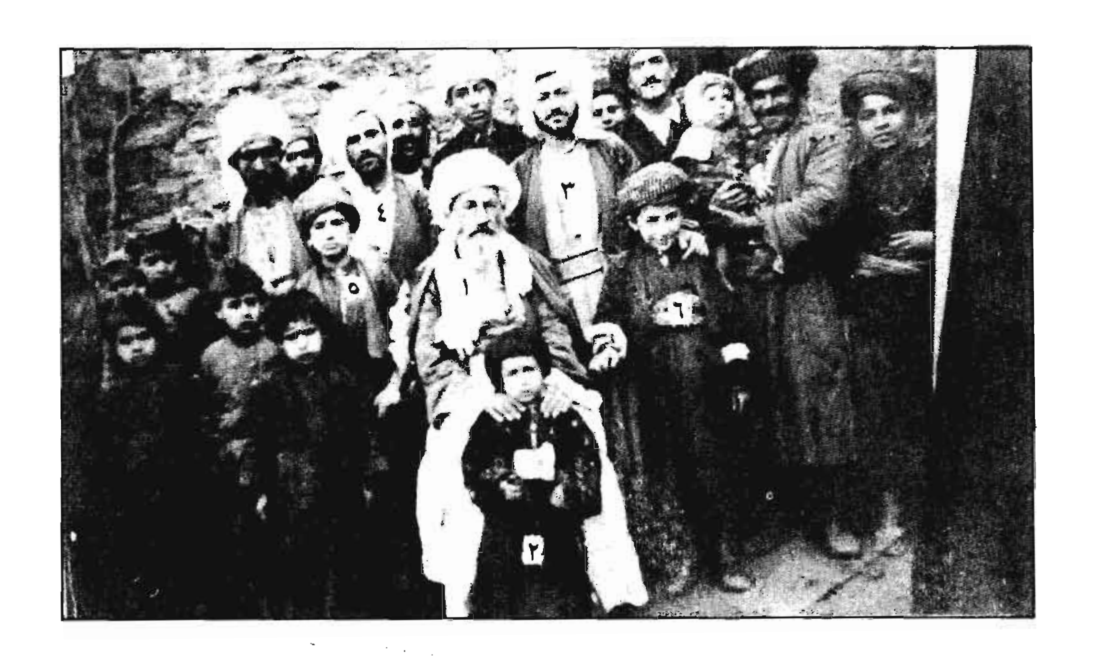
ماكان لهم من خدمة العلم والمدارس الدينية العالية الصافية زائدا على ارشادهم للمسلمين وماكان عندهم من اطعام الطعام وادارة الضعفاء من المساكين والايتام والاصلاح بين الانام. فالحق والحقيقة ان اولئك المتصوفين وجمهرة العلماء العاملين العارفين كانوا هم الجناح الايمن للدول الاسلامية بمر الزمان. فالتصوف هو الاسلام والاسلام هو التصوف ومن عداهم تبع لهم كمؤخرة جيش الاسلام، هذا هو الحق والله يحق الحق وهو يهدي السبيل.

عبدالكريم المدرس
المدرس بالحضرة القادرية
١٩٨٨/١/٢٢





الشيخ امين الشيخ علاء الدين النقشبندي



١ ـ المرحوم الشيخ علاء الدين النقشبندي والد المؤلف
٢ ـ المؤلف عندما كان طفلا.
٣ ـ الشيخ عثمان النقشبندي الابن الارشد
للشيخ علاء الدين وشيخ مشايخ الطريقة النقشبندية.
في مكان والده بعد وفاة والده في سنة ١٩٥٤
٤ ـ الشيخ مولانا خالد ابن الشيخ علاء الدين
٥ ـ الشيخ محمد ابن الشيخ علاء الدين
٦ ـ الشيخ زاهد ابن الشيخ علاء الدين
وبعض من الاقارب والاتباع والمنسوبين.

# مقدمة المترجم

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا اله الا الله. من استعان بغيره فقد ذل. ومن سلك غير سبيله فقد ضل. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى من سبقه لهداية البشر من المصطفين للرسالة وعلى الآل والأصحاب والتابعين لهداهم الى يوم يبعثون.

اما بعد:

فمن الغريب ـ ولا عجب في الغرابة اليوم ! فما اكثرها، وما اكثر الغرباء في عصرنا ـ ان اتصدى لترجمة كتاب في التصوف جليل القدر وانا صفر اليدين، فارغ الفؤاد، رائن القلب. والتصوف تزكية النفس، ولطافة الروح، والتحليق بها في ماوراء الطبيعة وفي اجوائها بفيض نوراني ينزل من كل مكان، وبدون مكان الى القلوب التي علمها الله بتقواها (كما هي التقوى) فادركت ما لاتدركه الابصار. ورجاله هم الرجال الذين احبوا ان يتطهروا فاعتكفوا في محراب المحبة عابدين خاشعين فتذوقوا طعم ذلك الفيض فكانوا في الدنيا باجسامهم وفي الآخرة بقلوبهم.

فاين العبد المسكين الذي اقل ما يقال فيه انه غريق هذه الدنيا وحريق آمالها وآلامها؟

ومن دواعي الغرابة ايضا ان مدى علمي باللغة الكردية وهي لغة الام قاصرة كل القصور عن ادراك الأدب العالي في اسلوب المؤلف الفاضل صديقي العزيز الشيخ امين

النقشبندي فهو اديب صوفي رضع من لبان التصوف، ونبع ادبه من زلاله، وتذوق الجمال المادي والروحي في جبال كردستان العراق، ومدرستها الروحية في «بياره». وهو موهوب تتجاذب الى قريحته النقية قيم الجمال ومعانيه فقد تاتي شعرا عندما تستدعي الثوب الجميل، وقد تنساب نثراً عندما يكون افضل تعبير عنها. وهو في الحالين بالغ قمم الروعة والعذوبة والرقة. واما انا فلا زلت في الأقعار انظر من بعيد الى سماء الادب، وصفاء السماء. . .

فكيف اذن اقتحمت الملحمة؟؟

في البدء طلب مني اخي المؤلف ترجمة مؤلفه باللغة الكردية «ما هو التصوف» الى اللغة العربية لغة الاعجاز القرآني والاسلام، ثقة منه بقلمي، وللصلة الاخوية الموطدة بالصداقة الخالصة، والمودة الصدوق بيني وبينه، فبادرت الى الاستجابة غافلا عن عوامل النقص المشار اليها بسبب عوامل اخرى كانت هي الغالبة، منها، ان المؤلف صديق عزيز وجدت منه السلوى عن اصدقاء اعزاء سبقوني في مغادرة الحياة فلم تسعني مخالفته. ومنها ايضا اني كنت قد قرأت الكتاب من قبل فاستولى على مشاعري اذ وجدته شاملا لأطراف التصوف جامعا لزواياه، وموضوعاته الشائعة بين القوم بلغة رصينة عالية الادب وعلمت من صديقي المؤلف انه عصارة عمره الحافل بالبحث عن الحقيقة بعقل فلسفي ناقد، وبقلب صوفي دافق بالايمان. ولا اكتم القارىء ما اختبأ في اللاشعور منذ أيام الصبا حيث فتحت عيني في حضن شيخي واستاذي ومعلمي والدي المرحوم وهو مستغرق في صفاء الأيمان وسمو العبادة الخاشعة ذو ملكة راسخة في العلم وفي الخلق الصوفي فما رأيته غافلاً أبداً عن ذكر الله سبحانه. حتى انه كان يتوقف عند الاطالة في شرح أمور مهمة في الفقه، او البلاغة او الأصول والمنطق ليذكر الله سبحانه مستغفراً من الغفلة التي نتجت عن الخوض في المسائل الجدلية. وكان يرى ان التصوف ليس بعلم يدرس او يؤلف فيه بل هو سلوك ملتزم بآداب الشريعة، وذوق خاص باهله وأتذكر أنني كنت فتى يافعا ولما أبلغ العشرين من العمر أقرأ عليه شرح تهذيب الكلام في علم الكلام وكنت اظن آنذاك كما هو

ديدن كل شاب مغرور أنه لا يخفى عليَّ كل مكتوب بالعربية اذا تاملته فرآني الوالد رحمه الله أني أطالع تفسير الشيخ محي الدين العربي وهو تفسير صوفي فلسفي رمزي فنهاني عن مطالعته اشفاقا منه عليَّ لاعتقاده باني جاهل بلغة القوم وبرموزهم واشاراتهم، فأبيت ذلك غروراً مني وقلت: ولكني يا والدي افهمه جيداً فقال كيف؟ فقمت أشرح له بعض عبارات الكتاب معتمداً على فهمي المحدود لبعض المصطلحات الصوفية المستعارة من الاصل الفلسفي كالحقيقة الكلية، والنفس الكلية والاجناس والفصول فتبسم ولم يعر لفهمي بالا!! وبعد خمس وثلاثين سنة من هذا الحوار تتحرك الرغبة القديمة من جديد في ترجمة كتاب يبين حقيقة التصوف وموضوعاته.

ولابد ان أضيف ما لابد من اضافة ذلك أن نظري الى **الاسلام** هو نظر الاسلام الى الحياة فهو واسع لا يحده شيء، وهو شامل لا يضيقه شيء انه الاسلام دين الله للبشرية وفي البشر كما خلق الله ميولا ونزعات مختلفة، لا تحدها هيكلية جامدة، ولا تضبطها صيغة واحدة، ولكن لا يسمح باطلاقها حفاظا على نظام الحياة الانسانية. والاسلام هو النظام الالهي المختار للحياة، وهو ضبط للغرائز، وبيان للحدود، وكبح لجماح الهوى والنفس. والعبادات والواجبات من مظاهر الالتزام به وبحدوده.

ومن ثمة يجتمع التصوف الشرعي الذي لا تكلف فيه، والسلوك السلفي والانتماء المذهبي لفقه المجتهدين، ومذهب الاكتفاء بفقه السنة الماثورة وغيرها من مدارس السلوك والفقه الاسلاميين في رحاب الاسلام العظيم لو لا خصام المتحزبين، وتحزب المجادلين بالباطل وضيق البعض بالبعض لا لشيء سوى الهوى.

واني ومثلي مثل **اخي** وصديقي المؤلف أحب صفاء التصوف، ورقة أدبه، وعذوبة حبه واخلاصه بقدر ما اكره الانحراف فيه والمتاجرة به والتظاهر بكراماته. والمعيار الحقيقي هو كتاب الله وسنة نبيه، وميزان الفهم السليم هو ما استقر عليه العرف العربي من الاصول والقواعد المعتبرة.

وبمراعاة هذه العوامل والمشاعر والرؤ ى الخاصة خضت التجربة لاول مرة. وتوخيت الامانة العلمية لنقل مضامين الكتاب الاصل من لغة كردية جميلة الى لغة عربية فصيحة دون حذف او تعديل او اضافة مع ايجاز غير مخل الا اذا اقتضى الامر فيما يصلح لاهل هذه اللغة ولايصلح لغيره اذ كان في الاصل موضوعات تفيد المجتمع الكردي منها اثر التصوف في الادب الكردي، كما هو الحال في ادب الشيخ احمد الجزيري، والسيد عبد الرحيم المولوي، وملا محمد محوي **والشيخ عمر ضياء الـدين النقشبندي الجد الاكبر للمؤلف، والمرشد الاعظم للطريقة النقشبندية.**

ولا حاجة الى التعريف بأهمية هذا الكتاب فهو بين ايديكم، والقارىء الكريم خير شاهد كما ان المؤلف الفاضل الشيخ امين علاء الدين النقشبندي غني عن التعريف فهو بالاضافة الى ماذكرت عنه من ادب عال، وخلق رفيع ربيب المدرسة الصوفية والعلمية النقشبندية في بياره من كردستان العراق تلقى مواهب التصوف وادب السلوك الصوفي من شيخه ووالده الشيخ علاء الدين النقشبندي رحمه الله. وهو صادق اللهجة نقي الوجدان..

**الدكتور محمد شريف احمد**

# بسم الله الرحمن الرحيم

**يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به. «سورة الحديد ٢٨»**

## مقدمة

لما فتح الانسان العاقل عينيه، بدأ يفكر مليا في مايجري حوله ويتم من خير اوشر، ونفع او ضرر، وحسن او قبيح باحثا بذهنه وعقله عما هو انسب لبقاء نوعه واسعد لحياته الشخصية.

ومما استوحاه من قانون الطبيعة مثلا ان الحياة لاتصلح بدون الماء وان الماء انواع تختلف في اللون والطعم فمنه ماهو مر، ومنه ماهو مالح. ومنه ماهو حلو المذاق. ومنه ماهو صاف ومنه ماهو كدر فلم يكتشف ماهو انفع وانسب الابعد عناء تأمل وطول خبرة.

ومن المعلوم ان غريزة التطلع الى آفاق المعرفة لاتقف عند حد ومن هنا واجهت الانسان المتأمل مشكلة اعقد هي معرفة «مصدر الحقيقة» فيخطو خطوات اولية من اجلها: ففي مثال الماء: «وجعلنا من الماء كل شيء حي» يرى الانسان مصادر عديدة: ماء البحر، وماء النهر، وماء المطر. ويرى ان ماء النهر مثلا ينبع في عين جارية ولكنه لايعرف مصدر العين. ويقع في حيرة اذ لايعرف مثلا سر ملوحة ماء البحر. وهكذا تثار تساؤلات داخل فكره تقع اجابات معظمها في دائرة هي اوسع من عقل الانسان وبصره وخبرته المحدودة. وكذلك الامر حين يخلو مع نفسه التي بين جنبيه ويتساءل: من اين؟ وكيف؟ والى اين؟ وماهي العاقبة؟ وماهو الاساس؟

وحقا يكاد المرء يذهل حين يفكر في الطير الذي يضع البيضة الجامدة التي تنشق هي الاخرى ليخرج طائر آخر لايلبث كثيرا فيطير في السماء فيتساءل:

البيضة من الطير ام الطير من البيضة؟

ثم اين كانت الروح في هيكل البيضة؟

ومن حق الانسان ان يدهش اذ يجد ان حبة الحنطة المزروعة في الارض تعود بعد اشهر غضة طرية مباركة كسالف عهدها وان الجوزة تتحول بعد سنوات من بذرها في الارض الى شجرة كبيرة فيتساءل لماذا هذا؟

اكانت الجوزة من الشجرة؟ ام كانت الشجرة من الجوزة؟

وحتى اذا كشف عنا الحجاب وعرفنا الجواب

فمن اين الجوزة الاولى؟

او من اين الشجرة الاولى؟

وهنا يجمد الانسان في حيرته ويحق له ان يخر صعقا كما هو الحال امام كل سر عظيم في الكون.

ومن اهم مايهز فكره، ويهيج مشاعره، ويقلق باله، ويسلب قراره هو الموت واعني به موت كل شيء: موت الانسان، وموت الطائر وجفاف الشجرة، وذبول النبتة.

فيتساءل: ماهي الحياة؟ ماهي الروح؟ من اين تأتي الروح؟ كيف تذهب؟ والى اين؟

ان التطلع الغريزي لكشف مافي الطبيعة وماوراءها يحرك الانسان دوما لارتياد المجهول، فيصبح اسير البحث عن السر والسبب لعله يجد قبسا من النور يضيء له الطريق لمعرفة من اين اتى؟ وكيف اتى والى اين يذهب؟

هل ان السبب واحد؟

هل لكل ظاهرة سبب مستقل؟

وفي الميدان الوسيع المحيط بالانسان يقف الكون كله مصدر عبرة: الشمس والقمر والنجوم والكواكب والارض الجميلة مصادر الهام. وفي الارض كوارث وعواصف تخيف الانسان وتجعله يهرب الى ملجأ ويبحث عن السر والسبب.

ماهي القوة الجبارة المهيمنة على قوى الكون؟

ماهي القوة التي اتقنت صنع كل شيء؟

ان الجمال البديع الاخاذ في الطبيعة، يسوق الانسان الى الدهشة في حكمة صانعه المبدع. وقد يمر بخيال الانسان تساؤل في مدى صدق مايرى ويشاهد اهي حقيقة؟ ام خيال؟

واذا لم يكن له حقيقة فما هو السبب لهذه الظواهر العجيبة الغريبة؟

اذن من هو خالق الحياة والروح؟

وماهو مبعث الخوف والامن؟

هل توجد القوة العظيمة المهيمنة؟

وكيف اتقرب الى هذه القوة الالهية؟

ومن اين اجدها؟ وكيف اجد خالقي؟ وكيف ارضيه ان وجدته؟

وكيف يغفر لي ذنبي؟ كيف اتقرب منه؟ هل يمكن ان يبعد عني الموت.؟ والى آخره.

نعم: ان العاقل الذكي يعشق التأمل في طريق معرفة البارىء الخالق، رب هذا الكون الفسيح الوسيع، محرك الافلاك؛ ويعمل للتقرب من ذاته العلية ولتلبية مايريده مدبر هذا الكون سبحانه.

ان هذا العشق الالهي التأملي ساق كثيرين من بني آدم الى العزلة في كهف، او زاوية بعيدة او صحراء مقفرة او في قمة جبل ليتفكروا في الطبيعة، ويتأملوا في خلق الكون، مستكفين بما تفيض الطبيعة عليهم لسد رمق الحياة فيهم. وكان البعض منهم يحس بقبس من نور فتنجلي مرآة قلوبهم لتعكس ماوراء الطبيعة، وهذه ذروة المتعة الروحية. وكان البعض منهم يموت دون ان يحس بشيء من ذلك.

وهذه هي البذرة الاولى لنشوء التصوف في ضمير الانسان المخلوق على ما احسب، كبرت ونضجت، واستهدت بالرسالات وبالنبوات واكتملت واستقامت بالاسلام خاتم الاديان.

ولجأ بعض من بني آدم من غير هؤلاء الى العقل المجرد دون الوجدان لتلمس الحقيقة ومعرفة المصدر والسبب اي معرفة الخالق. وعرف هؤلاء بالفلاسفة.

ومع عمق ماسبر هؤلاء الفلاسفة مازالوا حائرين، مختلفين وماقدموا طريقا لطمأنينة النفس ولأمن الروح.

فالتصوف ولد ونشأ مع نشوء الفكر، وغريزة التطلع الى معرفة السبب الحقيقية للموجود وهدفه هو (الوصول الى واحة اليقين).

ولكن ماهو التصوف الاسلامي؟ وماهي حقيقة التصوف؟ وما الفرق بين الفلسفة والتصوف؟وما الفرق بين التصوف وبين الشريعة؟

راودتني رغبة عارمة منذ مدة للاجابة عن هذه المسائل ولم تفتني اية فرصة سنحت لتحقيق جزء من هذه الرغبة بالاستلهام من مدرسة السلوك الصوفي، ومن التربية الروحية التي تلقيتها من الشيخ الوالد المرحوم الشيخ علاء الدين الشيخ عمر ضياء الدين، ومن السلسلة النقشبندية الكريمة لخانقاه بياره ومدرستها العلمية الروحية المعروفة او بقراءة المكتبة الصوفية التراثية والمعاصرة معا.

ان هذا الكتاب هو حصيلة هذه الرغبة، وعصارة هذه الجهود اسهم به في كشف جانب من الحقيقة عن علم الحقيقة قدر طاقتي المحدودة المتواضعة: لعله يكون لي زادا وعونا لنهضة روحية اسلامية طاهرة في وطني العراق وطن الاولياء والعلماء والصالحين.

وطبقا لطبيعة موضوعاته وزعته على ابواب خصصت كل باب منها لتوضيح جوانب معينة تختلج في الاذهان، وتشغل بال المعنيين بالدراسات الروحية والفلسفية، والله ولي التوفيق والرشاد.

**امين الشيخ علاء الدين**
**النقشبندي**

# الباب الاول

## حقيقة التصوف



## مقدمة

من الحقائق المعروفة ان التصوف حالة وجدانية يتذوق فيها السالكون الخاشعون لذة التقرب الروحي من الله واجب الوجود، وخالق الموجود، وهي حالة يشرق فيها قبس من نور الهداية الربانية على قلوبهم فيهديها اليقين.

ومعلوم ان مثل هذه الحال لا تخضع للوصف المنطقي لذلك نلجأ الى المقارنة والمثال لمعرفة التصوف ، ونستهدي بتجارب رجاله واقوالهم في مذاقات التصوف واتجاهاته، ونستشهد برحلة الامام الغزالي المعروفة للبحث عن الحقيقة مثالا على حال من التصوف راودت صاحبها، وعاشت في وجدانه، وانسته كثيرا من عوالق الدنيا.

ونبدأ بنبذة عن مصطلح التصوف:

وتبعا لهذه الخطة، اتجشم عناء هذه الرحلة الشاقة فارغ اليد والفؤاد مستعينا برحمته سبحانه وحده وبالدعاء منه سبحانه لتوفيقي وهدايتي وهو سميع الدعاء فاقول وبالله التوفيق



# الفصل الاول

## مصطلح التصوف

لقد اختلفوا في مصطلح التصوف ونشوئه كما اختلفوا في مسماه وهو اول مشكلة تثار في التصوف الاسلامي.

والحقيقة ان كلمة التصوف ظهرت في القرن الهجري الاول بدليل ان الحسن البصري الذي يعد من كبار ائمة التصوف وعاش في المدة (٢١ـ١١٠هـ) (٦٤٢ـ٧٢٨م) روي عنه انه قال:

**«رأيت صوفيا في الطواف فاعطيته شيئا فلم يأخذه وقال: «معي اربعة دوانيق فيكفيني مامعي»**[١] كما روي عن سفيان الثوري وهو امام في الحديث والتفسير عاش في المدة (٩٧ـ١٦١هـ) انه قال: **«لولا ابو هاشم الصوفي ماعرفت دقيق الرياء»**[٢] فهو ليس باسم محدث احدثه البغداديون كما يقال.

ومن المعلوم ان اطلاق اسم معين على مفهوم معين او حالة كالتصوف ليس كاطلاق اسم معين على مولود جديد من بني آدم بل يمر ذلك الاطلاق بتطورات تبعا لتطور

---

١)ـ اللمع لاي النصر السراج الطوسي ص٤٢

٢)ـ المصدر السابق ص٤٢

المفهوم او الما صدق كما هو الحال في مصطلح (القراء والفقهاء والمحدثين). ذلك ان ناسا ظهروا فاختصوا بقراءة القرآن الكريم من الرعيل الاول فسموا بالقراء وظهرت جماعة تعنى بالحديث فسميت بالمحدثين، وتكونت جماعة من القراء تعنى ببيان الرأي والفتوى في الاحكام الشرعية سميت بالفقهاء ثم اعترت هذه المصطلحات تطورات معروفة في الدلالة على معانيها كما هو الحال ايضا في المستحدثات الجديدة كالميكانيكي والكهربائي:

وكذلك اطلق اسم الصوفي على المرء الذي اعتزل مباهج الحياة، وتوجه بقلب خاشع ولسان ذاكر وادب جم الى محراب العبادة قائم الليل، صائم النهار يبتغي رضوان الله وحده، جمع بين طهارة الجوارح وزكاة النفس وكأن ممن وقفوا موقف الاستجابة للامر الالهي «وذروا ظاهر الاثم وباطنه» وقد يواظب على ذكر، الله الله، مع حضور القلب حتى يتعود لسانه عليه دون قصد وقد يستمر في حال الذكر حتى يتعود قلبه على الذكر ويمحو اثره في اللسان وهكذا الى ان يبقى معنى الكلمة «الله» حاضرا في قلبه وحده فتزول صورة اللفظ وهيأته.

كما اطلق على هؤلاء:

الزهاد: لانهم زهدوا فيما عند الناس وآثروا في مالهم ولو كان بهم خصاصة.

والفقراء: لحاجتهم الى الله سبحانه.

والغرباء: لانهم يسيحون في الارض لعبادة الله سبحانه.

والشكفتية: لاعتزالهم في الكهوف.

والجوعية: لانهم لايأكلون الابقدر مايسد رمقهم ويعينهم على الطاعة.

وحيث ان هؤلاء الطاهرين اتشحوا بلباس من صوف في الاغلب شاع اسم الصوفي وتغلب على الالقاب الاخرى. واستقر هذا الاسم علما لمن سار على دربهم سواء من لبس الصوف منهم اومن تخلق باخلاقهم في الادب والسلوك.

قال ابو موسى الاشعري في وصف الرسول الكريم (ﷺ) **«انه كان يلبس الصوف ويركب الحمار»** وقال ايضا: [1]

**«يابني لو رأيتنا ونحن مع نبينا (ﷺ) اذا اصابتنا السماء وجدت منا ريح الضأن من لباسنا الصوف».**

قال الحسن البصري **«ادركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف»** [2] وتذكر مصادر عديدة ان اهل الصفة كانوا جماعة من اصحاب الرسول (ﷺ) لباسهم الصوف، لزموا ركنا خاصا من مسجد الرسول الكريم (ﷺ). وهولقب كما قيل اعطي لبعض فقراء المسلمين في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ممن لم تكن لهم بيوت يأوون اليها فكانوا يتكئون على مقعد خارج المسجد الذي امر الرسول ببنائه في المدينة.

والصوف هو رمز التواضع والمسكنة. ولذلك يوصف العابدون بانهم يلبسون الصوف تذللاً وتواضعا. اما الذين يراؤون الناس بمظهرهم الصوفي ويقطعون سبل الخير فهم مذمومون مدحورون عند الله ثم عند الناس.

وقد ذهب بعض المستشرقين والمحققين الى احتمالات اخرى منها:

١ـ ان اصل الكلمة من الصفاء.

٢ـ يعود في اصله الى اصحاب الصفة.

٣ـ يعود الى الكلمة اليونانية **«سوفيا»** اي الحكمة ولكننا توصلنا بعد تحقيق عميق الى

حقيقة ان الصوفي لم يطلق على هؤلاء الناس الا لتميزهم بلباس الصوف المعبر عن الادب والتواضع، وهو مختار معظم الكتاب والمحققين من القدماء والمحدثين وهو مما يستقيم مع قواعد اللغة.

---

(١) ـ طبقات ابي سعد جـ٤ ص٨٠

(٢) ـ الحلية جـ٢ ص١٣٤

# الفصل الثاني

## التصوف والفلسفة

من المعلوم كما ذكرنا في المقدمة ان الانسان تطلع في فجر خلقه الى معرفة ماوراء الطبيعة، باحثا عن طريق لها، وان اليونانيين سبقوا غيرهم في نقل هذا التطلع والبحث الى اطار المعرفة العلمية العقلية، واصطلحوا عليها بالفلسفة.

والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين هما: فيلا وتعني المحبة. وسفيا: وتعني الحكمة. ومعناها في جملتها محبة الحكمة كما روي ان فيثاغورس ٦٠٠ق.م وهو احد كبار فلاسفة اليونان الاقدمين، ذكر: اني لست حكيما ولكني احب الحكمة. وتتابع بعده قمم الفلسفة اليونانية وهم: سقراط ٤٦٨ـ٣٩٩ق.م وتلميذه افلاطون ٤٣٠ـ٣٤٧ق.م ثم ارسطو ٣٨٤ـ٣٢٢ق.م ومئات من المفكرين والفلاسفة. ولايزال الفلاسفة يتتابعون في كل امة وقوم، ولاتزال الفلسفة قائمة، ولكل فلسفة طريقتها الخاصة لتسلق ميادين ماوراء الطبيعة، او لمعرفة خالق الكون ومدبره.

والحقيقة ان كثيرين منهم واصلوا عناء الرحلة الطويلة، متعشقين بلوغ الحقيقة حتى بلغوا (علم اليقين). فاستقر مقامهم هنا ولم يساعدهم زادهم على بلوغ (عين اليقين) او (حق اليقين).

وسأحدد اجمالا حدود هذه المراحل بالقدر الذي يفيدنا في تبين الفرق بين التصوف وبين الفلسفة ونميز به دائرة كل منهما.

كانت الفلسفة اليونانية تعني المعارف كلها نظرية كانت ام عملية.
قال الفيلسوف اوغست كونت ١٧٩٨ـ١٨٥٧م:

**ان الفلسفة هي النظرية العامة للمعرفة.**

ونقل عن الفيلسوف الفرنسي نيلسين شاليه: **ان الفلسفة معرفة الحياة الذاتية وعلاقتها بالحياة العامة وبالكون كله.**

وقال ابن خلدون: **ان الفلسفة في الالهيات هي تأمل في الوجود.**

وقال بعض العلماء: الفلسفة: **اولها محبة العلوم، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم.**

وبهذا يتجلى لنا ان الفلسفة: علم باصول نتعرف به الى الوجود، ونستخلص من معرفتنا خطة نسير عليها نحو الهدف الاعلى.

وقال افلاطون نقلا عن سقراط: **ان الحكيم من خضعت عاطفته لعقله اما من خضع عقله لعاطفته فليس بحكيم.**

فالفلسفة ذروة المعرفة العقلية. وهي فكر يضيء طريق الحياة للانسان. وتعتبر بصورة عامةفكراً ناقدا لاحوال الحياة باحثة عن طرق معالجة معضلاتها.

ومع تعدد تعريفات الفلسفة منذ عهد اليونان الى عهود كانت، وديكارت، وهيجل؛ فان الفلسفة اشمل واعمق، لذلك نكتفي بما قدمناه للتعريف بالفلسفة.

اما لماذا لاتصل الفلسفة في ميدان الالهيات الى عين اليقين، اوحق اليقين كما يبلغهما التصوف فهذا مانبينه:

تبين لنا ان الفلسفة والتصوف هما وليدا الفكر المتطلع الى اليقين. ولليقين ثلاث درجات كما حددها العلماء.

### ١ـ علم اليقين:

ويعني التصديق الذي لايرقى الى درجة الاطمئنان التام.

ومثاله: ان يبحث الجائع عن مطعم في مدينة لايعرف مسالكها فيصادف عنوانا لمطعم او يرشده شخص الى مكانه فيعلمه، ولكنه من المحتمل ان يكون المطعم قد تحول الى شيء آخر، او ان العنوان المكتوب الذي صادفه لم يكن سوى «لافتة قديمة ملغاة».

### ٢ـ عين اليقين:

ويتحقق فيها اذا وجد الجائع في المكان المذكور في المثال الاول ناساياكلون ويشربون وحينذاك يزداد اطمئنانا وتصل معرفته الى عين اليقين ولكنه يبقى دون مستوى المعرفة الذوقية والشبع وفي درجة المشاهدة.

### ٣ـ حق اليقين:

وهنا يبلغ المرء ذروة اليقين والاطمئنان حين يتذوق الطعام فعلا، ويحس بامتلاك غايته من الشبع.

واستطيع القول بكل اطمئنان:

ان الفلسفة التي تعتمد مقدرة الانسان الفكرية للمعرفة لايمكنها الوصول الى حق اليقين في الالهيات. ذلك ان العقل البشري محدود متناه في طاقته كما هو حال الحواس كلها، وميدان حق اليقين في الالهيات لاحدود له **«والمحدود المتناهي لايحيط بما لاحد له ولا نهاية»** فالعقل لايدرك شيئا الابعد الاحاطة بحده الذاتي، اي الاعندما يكون محيطا بالمحدود احاطة شاملة فلايمكنه ادراك ماوراء الطبيعة مما هو خارج عن دائرة المادة.

ولتوضيح ذلك اقول:

ان العقل يعتمد ادوات ووسائل مادية يوظفها لمعرفة الاشياء، وهي الحواس الخمس: البصر، والسمع، الذوق، اللمس، الشم. وهذه الحواس لاتدرك مايقع خارج قوتها الحسية. ولمحدودية وظائفها لاشأن لها بما وراء الطبيعة.

والخلاصة ان ادراك ماوراء الطبيعة هو ادراك معنوي، وهو شيء وجداني له علاقة بالايمان وبالحس الوجداني. ولايفيدنا في هذا المجال منهج الفلاسفة المعتمد على العقل والحواس الخمس.

اما طريق التصوف فهو موصلك بعون الله الى حق اليقين. ذلك انه يعني تجلية مرآة القلب، وتزكية النفس الى الحد الذي يحس القلب فيه بوجود مدبر الكون، فيشرق فيه النور الالهي الذي يشعره بالاطمئنان. ففي الوقت الذي يبدأ القلب يحس بدفء الفيض الالهي فانه يصل الى (حق اليقين).

فياسعادة اولئك الرجال الابرار الذين ادركوا حق اليقين من الانبياء والرسل والحواريين والاصحاب والصالحين الذين اتبعوهم باحسان!!!

ولايعني ذلك ان معرفة الله لاتتم الا بالسلوك الصوفي او بالاسلام وحده ذلك ان ناسا عديدين لم يدركوا الاسلام، اولم يبلغهم الاسلام وهم مؤمنون، وان التفكير العقلي قاد معظم الفلاسفة من افلاطون الى كانت والى ماشاء الله الى الايمان.

والحقيقة ان العقل البشري قادر على التوصل بالاستدلال الى ان لهذا الكون مدبرا وربا عظيما، ولكنه لايتجاوز علم اليقين، ذلك ان الانسان يملك في ذاته غريزة حب المعرفة، الانرى الحاح الطفل في مساءلة والديه عن كل شيء حتى يملأ من الاجابة لان كل شيء جديد له. وان خزانة المعلومات من دماغه خالية الوفاض.

ومما يذكره الطفل في السؤال:

ماهذا القمر؟ لمن هذا القمر؟ من خلق القمر؟

ومع اننا نملك ثروة من المعلومات في هذا الموضوع الان، فان الاجيال القديمة كانت تقف مدهوشة حائرة في الاجابة، وهنا منطلق البحث!! ومنه تمخضت الفلسفة ومدارسها المختلفة.

ولغرض عون الانسان في ازالة حيرته بعث الله الانبياء والرسل.

وقد كانا طريقين لمعرفة الله: سادت الفلسفة في الجانب الغربي للشرق، وسادت الرسالات السماوية في الشرق الاوسط.

وفي الوقت الذي كانت المعجزات طريق الايمان بالرسل وبالرسالات، عني الفلاسفة بالدليل العقلي.

ولكل فلسفة نمط خاص في التفكير العقلي؛ فارسطو مثلا اعتمد مبدأ العلة الفاعلية والعلة الغائية للتوصل الى معرفة واجب الوجود. ومعنى ذلك ان لكل معلول علة اوجدته بموجب نظام. ومامن شيء يحصل اتفاقا وبالصدفة وبالخوارق. وكل مافي الكون خاضع لهذا الناموس الشامل غير ان هذه العلل تنتهي الى علة موجودة بذاتها لم تنشأ عن علة خارجة عنها ويسمى ارسطو هذه العلة «السبب الاول».

وكذلك الحال عند الفلاسفة المسلمين الا انهم حاولوا تقريب الفلسفة الى الدين، فالفارابي ركز نظرته العقلية على فكرة الواجب والممكن، واتضحت هذه الصورة عند

ابن سينا اذ توصل بها الى حقيقة واجب الوجود. وبمقتضى هذه الفلسفة يكون واجب الوجود هو الله مدبر الكون. اما المخلوقات فهي من الممكنات. اما الفيلسوف الكندي فقد نظر الى فكرة الاثر والمؤثر والسبب والمسبب ورأى ان هذا الكون منظم بديع. وحيث ان لكل اثر مؤثرا ولكل سبب مسببا فان للكون منظما مبدعا لاريب فيه.

هذه لمحة من العقل في طريق الايمان.

وقد استجمع السيد جون كلور مونس في كتابه القيم «الله يتجلى في عصر العلم»، اراء اربعين استاذا وخبيرا في المعرفة البشرية في عصرنا، آمنوا بالله سبحانه بتأملهم العقلي في عجائب الكون وقالوا جميعا. «**ان هذا الكون العظيم البديع لايمكن ان يتكون دون مهندس ازلي خالد**».

وهنا اقول:

امامنا طريقان لاثالث لهما: هما نظرية الصدفة ونظرية الخلق فاما ان نقول: ان النظام الكوني وجد صدفة كذلك ولا ارادة في تكوينه وهذا رأي الماديين الذين يرون ان الاصل هو المادة، او نقول: انه مخلوق، وهو رأي المؤمنين.

ولاثبات حقيقة الخلق، ولدحض فرضية الصدفة اقول:

لايعقل ان تكون الصدفة العمياء هي التي رتبت هذا النظام البديع لهذا الكون المادي، وجمعت مواده، ونسقت نواميسه، واوجدت هذه الانواع المختلفة من الموجودات حيوانا ونباتا وجمادا.

اما كيفية خلقه كما يتساءل الملحدون فأقول:

ان العقل اعجز من الاحاطة بسر النظام الكوني، وان الجهل بكنه الصانع، او بكيفية الصنع لايبرر انكار الصانع... ولتقريب هذه الفكرة الى الذهن اقول: ان العاقل لايقتنع بان التلفزيون مثلا وهو جهاز مادي محسوس وجد بالصدفة دون صانع لمجرد عدم معرفته بالصانع او بكيفية صنعه. واذا وجد العاقل في دار خالية في صحراء مقفلة تمثالا منحوتا بارقى فن، وقصيدة عصماء كتبت على لوحة معلقة فيها فانه يذعن للايمان بان لهذا التمثال نحاتا قديرا، ولهذه القصيدة شاعرا كبيرا. ومن الغباء تصوّر ان التمثال تكون دون تدخل ارادة احد بل بالصدفة او ان هذه القصيدة دبجت بفعل تراكم ذرات الغبار دون ارادة عاقل. وتصور نفس الموقف فيما اذا اكتشفت قصرا في الصحراء لاتعرف صاحبه فانك لاتنكر ان لهذا القصر صانعا دون ريب.

واي الخلقين ابدع؟

صنع تمثال وكتابة قصيدة ام خلق انسان يصنع هذه الامور؟ فاذا كانت الصدفة مرفوضة في صنع تمثال وقصيدة شعرية، وقصر في صحراء فكيف تكون مقبولة في خلق الانسان الذي صنع التمثال، وكتب القصيدة، وبنى القصر، وفعل الاعاجيب؟

فلا يقبل عقلا ان يكون نظام الحياة المنسق في الوانه وازهاره واصنافه ومخلوقاته من الذباب الى الفيل والى الغابات والجبال الراسيات، وليد صدفة عمياء.

من الذي خلق كل شيء بقدر؟

الايرى ان نظام الحياة في ارض يختل لو اختلت مقادير الاشعة الشمسية الثابتة!! فليس من المعقول ان ينكر المرء حقيقة ان لهذا الكون البديع مبدعا لمجرد انه لايحيط به علما ومعرفة. «ولماذا يؤمن الملحد بالمادة مع انه لايعرف كنهها؟». ولايعرف من اين ومتى وكيف اتت!!!!.

وتتلخص هذه الحقيقة في علاقة المنظَّم بالمنظِّم، والاثر بالمؤثر فاذا وجدنا شيئا مرتبا فلا نشك في ان وراءه عقلا مدبرا ومادمنا نجد الاثر فلا نشك في ان له مؤثرا، فلا صدفة في وجود دار في صحراء ولا في موقع قدم ارنب في طين او رمل.

ويخطر في بالي وعقلي مايقرب هذه الحقيقة الى الذهن ولعله لم يسبقني اليه احد والله اعلم، وهي فكرة «الزوجية» «الذكر والانثى». وقد ذكرها القرآن الكريم في آيات عديدة.

نفترض ان الصدفة «الطبيعية» كونت قبل مليارات من السنين ذكراً على الارض بكل مقتضياته وغرائزه، او كونت الانثى كذلك.

فهل يعقل ايها العقلاء:

إن تكوَّنَ الانثى عاصر الذكر وبالعكس؟

وان كانا توأمين ففي اي بطن تربيا؟

وان كانا جنينين فكيف عاشا؟

وان كانا طفلين فمن ارضعتهما؟

وهكذا تتوالى التساؤلات ولايجد العقل الواعي اي امكان لفكرة الصدفة في تكون

عناصر الذكورة والانوثة كالرحم والثدي والأرضاع والغريزة الجنسية في وقت واحد للجنسين. وفي هذا العدد الفخم من مقتضيات الزوجية لهذا العدد الضخم من الاجناس والانواع من الحيوانات والنباتات في وقت واحد وفي زمان ومكان واحد وفي اماكن متفرقة من الارض. فاذا كنا نرفض بوعينا ان بابا من خشب يمكن ان يتكون دون ارادة احد، فاننا نستخف القول دون شك بان هذه الزوجية الواسعة تكونت بالصدفة، (لمجرد ان القائل يجهل كيفية التكوين).

[ولاتثار فكرة التطور هنا، ذلك ان الحقيقة الماثلة هي ان الذكر يختلف عن الانثى فالقرد وان تحول الى ملكة جمال فذكره ذكر وانثاه انثى والخالق مبدعهما.]

والحقيقة التي يجهلها الملحدون والمتشككون هي ان العقل لم يمنح القدرة على ادراك كنه خالقه. فانه قاصر عن درجة عين اليقين او حق اليقين.

السنا قاصرين في ادراك كنه المادة والنفس والارض والسماء فلماذا هذا التطاول الى مالا حدود له؟

والواقع اننا لو تأملنا مافي اعاجيب العينين، والقلب ،و الدماغ او اي عضو في الحيوان لعلمنا ان مسألة الصدفة خرافة وان الايمان هو الحقيقة.

وهذا النوع من المعرفة هو علم اليقين. وهو طريق ايمان العلماء والفلاسفة والمفكرين قبل الاسلام وبعده اما طريق التصوف وهو مابحثه تفصيلا في كتابنا هذا بعون الله فهو الذي يوصل السالك الى عين اليقين اوحق اليقين. وهو الطريق الذي يجعل المؤمن يتذوق الايمان الحقيقي ويطمئن له. ويصفي النفس لتكشف الحقيقة بعين البصيرة فلايبقى مجال للريب في الضمير. وهو عين اليقين وحق اليقين.

ومن هنا يتبين ان طريق التصوف غير طريق الفلسفة او علم الكلام وان لكل منهما مجالا يختلف عن الاخر في المصدر والسلوك . فاذا كانت الفلسفة او علم الكلام معتمدة على العقل البشري في اثبات الواجب فان التصوف هو اعداد النفس لتذوقه.

ولاتعتبر الفلسفة اوعلم الكلام مصدرا للتصوف او اساسا له لاختلاف الطريق والمنحى لكل منهما. وللمعنى ذاته لايجوز اعتبار التصوف الهندي او الصيني اساسا له اثر في التصوف الاسلامي. ذلك ان التصوف الاسلامي **(اصيل نابع من الكتاب والسنة)**، وان حقائق الفلسفة اليونانية واخبار حكماء الهند او الصين او فارس نقلت الى العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، فقد ترجمت كتب الفلسفة اليونانية الى

العربية في عهد هارون الرشيد ٧٦٦ـ٨٠٩م وفي عهد الخليفة المأمون ٧٨٦ـ٨٣٣م. فلا الفلسفة اليونانية القديمة ولا الفلسفة الجديدة لافلوطين المشهورة (بفلسفة الاسكندراني) او فلسفة افلاطون الجديدة المنسوبة الى افلوطين ٢٠٣ـ٢٧٠م، بذات اثر في التصوف الاسلامي.

ويبدو ان الذي دفع بعض المستشرقين الى هذا الوهم، هو وجود بعض التشابه في منطلقات بعض من رجال التصوف ورجال الفلسفة لاسيما في نطاق فلسفة افلوطين،

وهو في الحقيقة استقراء ناقص لايحتج به. وان الحكم بمقتضى التشابه يتطلب في الاقل مقارنة علمية بين عدد من الفلاسفة وعدد من كبار مشايخ الصوفية «يكون الحد الادنى للرؤية المشتركة» يجري فيها التحليل الفكري بشكل موضوعي لآرائهم في الفلسفة والتصوف دون الركون الى بعض المواقف او الاقوال النادرة لبعض المشايخ ليس الا.

ان التصوف الاسلامي ظهر قبل نقل الفلسفة اليونانيةبمدة طويلة.

ولقد تشبث المستشرقون ببعض الاقوال المنسوبة الى بعضهم لتوكيد التشابه المزعوم بين التصوف وبين الفلسفة؛ ومنها ماينسب الى رابعة العدوية ١٨٥هـ من انها قالت:

**يارب: اني اعبدك لحبك ورضاك لاخوفا من نار جهنم.**

وقالوا زعما: **ان رابعة العدوية جعلت المحبة عنوانا لتصوفها وهي بذلك تشبه الراهبة المتنسكة.**

وعضّد مزاعمهم ما رأوا من قدر من الشبه بين فكرة الاشراق وهي تجلي نور الله وبين المنحى الفلسفي في هذا المجال، ولاحظوا افكارا تؤدي معنى الحلول والاتحاد من بعض الاقوال المنسوبة الى رجال متصوفين كبار.

**والحقيقة هي ان التصوف منهج قرآني يستهدي في السلوك بسنة الرسول الاعظم (ﷺ) وبآداب اصحابه. وقد ظهر قبل نقل فلسفة اليونان وحكم الهنود بقرون.**

**ومما يؤكد هذه الحقيقة ان اهداف التصوف وغاياته لاتلتقي مع اهداف الفلسفة وغاياتها. ذلك ان الاسلام هو اساس التصوف وغايته وهو الايمان بوحدانية الله سبحانه والالتزام بشريعة القرآن في العقيدة والتعامل والسلوك الذاتي والاجتماعي في ضوء السنة النبوية المطهرة.** وقد اجمع كبار علماء التصوف على ان التصوف هو الوقوف عند حدود

الاسلام ولكنه وقوف لايكتفي بالظاهر بل يتعدى الى القلب حتى يحقق تعاليم القرآن الكريم في سلوكه ويبلغ حق اليقين.

ويستشهد لمعرفة مقام التصوف في الاسلام بالحديث الشريف «**الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك**»*

ان هذا المقام ـ مقام الاحسان ـ وهو مقام يرتكز فيه التصوف الاسلامي يختلف عن مقام فيلسوف قاده العقل الى الايمان.

وقد ذكرنا سابقا حقيقة ان الانسان لم ينفك في التأمل عما وراء الطبيعة والتساؤل عن حقيقته ولكن اختلف افراده في هذه النزعة ومنهم من كرس كل حياته للبحث عن هذا السر واختار العزلة عن الناس من اجله. واطلق على هؤلاء في المسيحية «الراهب». ووصف الاسلام المؤمنين بانهم «**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**» سورة آل عمران.

لذلك نستطيع القول ان الانسان كان دائم البحث لمعرفة الطبيعة وما وراءها وان تشابه التصوف الاسلامي في هذه النزعة مع الاتجاه الصوفي في الانسان قبل الاسلام لايعني تأثره بنهج غير اسلامي في هذا المجال فهو تشابه في نزعة طبيعية، لاتشابه في نهج مقصود. وان التصوف الاسلامي هو سلوك طريق محمد (ﷺ) في العبادة، والتأمل والحياة.

ولو تأملنا في الحياة لوجدنا تشابها غريبا في كثير من ميادينها مرده تجانس الغريزة، او توارد الخاطر، او تماثل الحاجات وطرق اشباعها، وتشابه الظروف وعواملها، ولم يتأثر اللاحق فيه بالسابق.

وعلى سبيل المثال نذكر قصة العشق الذي ربط قيسا بليلى وهي قصة عرفت بقصة «مجنون ليلى»، في الادب العربي، وهي نفسها تتكرر في قصة «روميو جوليت» في الادب

---

* ابن خلدون, انظر رسالته شفاء السائل بتحقيق: محمد بن تاويت الطنجي

الانكليزي وفي قصة «مم وزين» في الادب الكردي و«شيرين وفرهاد» في الادب الفارسي. وفي علم تاريخ القانون شواهد عديدة على تشابه الاعراف القانونية في بلاد تتشابه الظروف الاجتماعية والاقتصادية فيها.

فاذا كان للتصوف الاسلامي بعض الشبه مع اتجاه في السلوك الانساني قد ظهر بشكل او بآخر قبله؛ فان هذا لايعني علاقة امتداد في الوجود بل يعني علاقة تشابه في تطلع الانسان ذاته.

ومما يعضد هذه الحقيقة ان التصوف الاسلامي يختلف في الهدف والسلوك عن المنهج المسمى بالتصوف غير الاسلامي مجازا اي عن تصوف الاديان والمناهج الاخرى. وهو تصوف تحدد مقامه في الشريعة الاسلامية كتابا وسنة، ووضح حقائقه كبار مشايخ الصوفية في مؤلفات قيمة قبل تسلل افكار الفلاسفة وحكماء الشعوب الى الفكر الاسلامي في ميادين الاخلاق والنفس والفلسفة.

# الفصل الثالث

## التصوف الاسلامي والشريعة الاسلامية

لخصنا التصوف في كلمتين هما: الذوق وهو تلمس المعرفة الحقيقية. وتجلي النور الالهي في قلب المؤمن العابد. وهما حالان لاسبيل للعقل اليهما. فمن اتخذ العقل وحده وسيلة لادراكهما تعقدت امامه السبل، وضاعت خطاه. ولايعني ذلك اننا نهمل قدر العلم، ومكانة العقل بل نرى ان العقل محصور في اطار التجربة المادية. وان التجربة الصوفية هي روحية صرفة. وساحة العلم هي المادة وكل حصيلة للحواس الخمس.

اما التصوف فيحلق بالانسان في اجواء الروح والضمير والنور الالهي ولكن دون ان يخرج عن حدود الشريعة الغراء. ذلك انه لايسترشد الابالكتاب والسنة ولايستلهم قيمه الامن سنة النبي وسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين وائمة العلم والدين ولكن يتميز باطار محدد منضبط صارم من السلوك ضمن الميدان الواسع للشريعة الغراء. فالشريعة الاسلامية قد تكتفي من المسلم باداء الصلاة كما هي، دون ان تفرض عليه حبس انفاسه كيلا يزيغ قلبه لحظة عن التفكر في ساعة القرب ولكن التصوف يقتضي عبء المراقبة بحيث يعيش المصلي كليا لحظات الوقوف والسجود بخشوع وخضوع دائمين ويحصل على بركات انوار يحس بها هو وحده « **قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**». ولذلك نقول: ان التصوف هو التزام بحدود الشريعة في اطار خاص وبانضباط متشدد، وبتمثل حقيقي جدي لمعانيها في نفسه وسلوكه فهو تقيد بجوهر الشريعة وحقيقتها يعيشه الصوفي بوجدانه وبروحه قبل جسده وبقلبه قبل جوارحه.

ومما يوضح العلاقة بين التصوف والشريعة مايقال: من ان الشرع يحكم بالظاهر، فاذا نوى شخص فعل اثم فلا يعاقب على نيته الاجرامية مالم يرتكب الجريمة فعلا،

ولكن التصوف ترويض للنفس على تجنب التفكير في الاثم، وتعويد لها على انشغال القلب كليا بما هو خير لكي يصبح وجدان الصوفي عشا للمحبة .

واذا كان عليك شرعا ان تنفذ تعاليم الاسلام في الصلاة والزكاة والحج بالحدود المبينة في كتب الفقه؛ فان التصوف يجعلك في طريق هذه الطاعة؛ لاتغفل عن ذكر ربك وتشعر بلذة روحية في مداومة عبادتك، والاستغراق في تأملك.

اذا استشهدنا بالصور المضيئة لسير رجال التصوف لعرفنا ان هؤلاء هم الصفوة المختارة من عباد الله الصالحين؛ وقفوا بأدب عال عند حدود الشريعة ولم يخرجوا عنها قيد شعرة. وفي القرآن الكريم آيات محكمات حددت بوضوح مقامات هذا الادب العالي في العبادة والتأمل. وسنفصله في موضعه، ومانعنيه هنا هو بيان ان طريق التصوف هو طريق الاسلام ليس الا.

قال ابن سينا في كتابه «الاشارات والتنبيهات»:

**«الزاهد هو من عزف عن مغريات الدنيا كليا. والعابد من قضى عمره في الصلاة لتنفيذ تعاليم ربه. والعارف من كان مستغرق التأمل في عظمة ربه سائلا منه عز وجل ان يملأ قلبه بنور معرفته»**. وقد تجتمع هذه الصفات في واحد فيكون زاهداً، عابداً، عارفاً. وهذا هو «الصوفي».

فتوضح لدينا ان التصوف هو جهاد من اجل الوصول الى معرفة الله في طريق الحس الوجداني. ومثل هذا الاحساس يتحقق بذوق في الضمير والقلب والوجدان لابذوق في اللسان. ويتحقق بالمشاهدة بالبصيرة لابالبصر. وستظهر هذه الحقيقة فيما نورده من اقوال سادة طريق التصوف في الفصل التالي.

# الفصل الرابع

## التصوف في اقوال كبار مشايخه

يتفق اعلام التصوف ونجوم سمائه على ان التصوف هو الحكمة. والحكمة معرفة الله وهي طريق سعادة الدارين. قال سبحانه: **«ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا»** سورة البقرة الآية٢٦٩. وقال تعالى في سورة الجمعة: **«هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»**.

فمن اراد ان يبلغ الحكمة اي معرفة الله؛ عليه ان يتحلى بادب الشريعة ويزكي نفسه ويجنبها من كل سوء. فاذا جاء عمله موافقا للشريعة، وامتلأ قلبه بنور العبادة استحق وجدانه ان يتجلى فيه نور الحق.

والى هذا يشير الحديث الذي يروى عن النبي (ﷺ) **«قلب المؤمن عرش الله»** وفي رواية عرش الرحمن..

قال سبحانه وتعالى في سورة النازعات:

**«واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى»**. ان المعرفة الصوفية هي من افضل المعارف ذلك انها معرفة الله ولاريب ان معرفة الله هي اساس كل فيض، واشرف من كل معرفة. وصاحبها من اشرف بني آدم.

والصوفي هو ذلك المسلم الذي قطع مراحل اليقين في الطريق حتى اطمأن قلبه بحق اليقين، كما قال تعالى في سورة الفتح **«هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم»**. ولايحصل هذا المقام الالمن جاهد وسعى بدليل قوله تعالى

في سورة النجم. «**وان ليس للانسان الاماسعى وان سعيه سوف يرى**» وان الانسان الذي يسعى مخلصا للتقرب من ذاته العلية يكون الله له وليا مرشدا بدليل قوله تعالى في سورة العنكبوت «**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**».

ان الصوفي ينشد معرفتين متلازمتين هما معرفة نفسه ومعرفة ربه: «**ومن عرف نفسه عرف ربه**».

ولاشك ان دائرة معرفة الله سبحانه اوسع من كل كتاب اوعقل ولكن معرفة النفس تضيء طريق معرفته سبحانه. فعلى المرء ان يذعن لعبوديته لربه، ويحاسب نفسه ويراجع ذاته فيما قدم واخر من واجباته ومسؤولياته في صلته بربه وبخالقه، وفي تهذيب نفسه وفي صلته باسرته وبمجتمعه.

وبهذه الروح التربوية المهذبة بازاحة الرذيلة في نفس المسلم، وبتحريك الاحساس بالحق وبالخير في ضميره*؛ يستعد وجدانه لمعرفة الله حقا. وهذا مفاده «من عرف نفسه عرف ربه». ذلك ان من عرف نفسه فعلا عالج خطرات الاثم فيه اما المغرور الذي لايلتفت الى نفسه فلا يمكنه سلوك هذا الطريق.

ويدل على المعنى نفسه قوله تعالى في سورة السجدة «**سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق**» وفي سورة الذاريات «**وفي انفسكم افلا تبصرون**».
قال ابو سليمان الداراني رحمه الله تعالى «**القلب الصوفي قد رأى الله. وكل شيء يرى الله لايموت. فمن رأى الله فقد خلد**».

قال الدكتور عبدالحليم محمود في معرض تقديمه مع صاحبه لكتاب «التعرف لمذهب اهل التصوف» للعالم الصوفي ابو بكر محمد الكلاباذي المتوفى ٣٨٠هـ:

«**كل كلمة خطها الصوفية كانت خالدة كالقلب الصوفي، خالدة لاتموت لانها ارتبطت بالله، واستهدفت رضاه، واقتبست من هداه، واشرقت بحبه، واضاءت بنوره. ولهذا آمن الصوفية بانهم احباب الله واصفياؤه واولياؤه وصفوة عباده وحراس ينابيعه وآياته**».

---

* وهذا هو ماقصده بعض المشايخ من قولهم والتصوف تخلية وتحلية

قيل لمعروف الكرخي اخبرنا عن المحبة. قال:

**«يا اخي ليست المحبة من تعليم الناس. المحبة من تعليم المحبوب»**.

وبهذا الربط الوثيق المستقل بالوجد والحب، وملهمات الانس والقرب، اصبح الصوفي اينما تولى فثم وجه الله لايرى سواه **«فأينما تولوا فثم وجه الله»** سورة البقرة. وكل شيء في الوجود بمثابة مرآة يرى فيها الصوفي وجه الله وآياته وقدرته ورحمته[1] قال ذو النون المصرى[2]:

**«آلهي ما اصغيت الى صوت حيوان، ولا الى حفيف شجر، ولاخرير ماء، ولاترنم طائر، ولاتنغم طلّ، ولادوي ريح، ولاقعقعة رعد، الا وجدتها شاهدة بوحدانيتك، دالة على انه ليس كمثله شيء»**[3]

ان طريق التصوف هو افناء النفس **«ان النفس لأمارة بالسوء»**. وقد رضي الله سبحانه عن الذين كبحوا جماح نفوسهم فقال **«ونهى النفس عن الهوى»** فيفني الصوفي هوى النفس وشهواتها فيما يحبه الله ويريده ويامر به فيكون كما يروي الحديث القدسي **«عبدي كن ربانيا تقل للشيء كن فيكون»** كما قال الامام الجنيد وهو شيخ المشايخ **«تكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفاته، فيكون فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات»**.[4]

انه اذن استبدال خلق بشري بخلق رباني وهو منزلة لاتعرفها الدنيا لغير الصوفية الاسلامية. فالفناء الصوفي **ليس** فناء جسد في جسد، ولافناء روح في روح انه فناء ارادة في ارادة وفناء اخلاق في اخلاق وصفات في صفات كما يقول الصوفية **«فانيا عن اوصافه باقيا باوصاف الحق»**.

فالتصوف سمو كمالي يصعد حتى تخفق اجنحته من افق القدس الاعلى ثم تخفق صاعدة حتى تنال شرف التخلق باخلاق الصفات الالهية. وقد عبر عنه الحديث القدسي **«كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»**.

---

(١) التعرف لمذهب اهل التصوف للكلاباذي ص٥

(٢) توفي ٢٤٥هـ. وهو من كبار عظماء التصوف

(٣) حلية الادب لابي نعيم جـ٩ ص٢٠

(٤) التعرف لمذهب اهل التصوف ص١٢٥.

قال الكلاباذي وهو احد كبار مشايخ التصوف:[1]

**ومن فناء الحظوظ حديث عبدالله بن مسعود قال:**

**«ما علمت ان في اصحاب رسول الله (ﷺ) من يريد الدنيا حتى قال الله تعالى ـ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ـ فكان عبدالله بن مسعود في هذا المقام فانيا عن ارادة الدنيا».**

لقد فني الصوفية في حب مولاهم، وتخلقوا باخلاقه، وتأدبوا بآدابه، وتربوا في محاريبه وعاشوا في ذكره ومناجاته فعلمهم، وطهرهم وزكاهم واصطفاهم واجتباهم واحبهم ورضي عنهم ففتح لقلوبهم ملكوت السماوات والارض يريهم عجائب كونه، وبدائع قدرته، واسرار خليقته وافاض عليهم هداياه وعطاياه علوما واذواقا كما قال تعالى **«واتقوا الله ويعلمكم الله»** سورة البقرة.

ومع ان الصوفي يعرف نعيم الجنة فانه يسعى لنيل القرب من صاحب الجنة، قال احد كبار مشايخ التصوف لاحد المريدين **«ان كنت تريد الجنة فاذهب الى ابن مدين وهو احد علماء الشريعة وان كنت تريد صاحب الجنة تعال اليّ»**

جاء في كتاب نفح الطيب: **الشريعة طريق الجنة والتصوف طريق الله.** ويعني الحقيقة.

قالت رابعة العدوية وهي الطائر الجريح في طريق المحبة:

**«الهي لااعبدك خوفا من نارك، او طلبا لجنتك ولكني احبك فاسجد لعظمتك».**

قال الدكتور زكي مبارك[1]: **التصوف يوجب نكران الذات. وقال: كنت اعرف التصوف موصولا باشارات ورسوم وتقاليد فعدت لاأعرفه الا في القلب والروح.**

قال ابو نصر السراج المتوفى ٣٧٨هـ، صاحب كتاب اللمع:[2]

**«قد اجيب عن معنى التصوف باجوبة مختلفة، منهم ابراهيم بن المولد الرقي، قد ذكر مائة جواب، وفي كتاب نشر المحاسن الغالية لليافعي ذكر الف جواب حول مصطلح التصوف».**

---

(١) جاء ذلك في مقدمة كتابه «التصوف الاسلامي» ص١٦

(٢) اللمع لابي نصر السراج الطوسي ص٤٧

قال الشيخ احمد الشرباصي:[1]

**«التصوف مذهب اخلاقي، اجتماعي، نفسي له منشؤه، وتاريخه واسلوبه، وطريقته، وبرهانه، وادلته، ورجاله، وابطاله، وكتبه، ومصادره وفوائده ومآخذه»**

والحقيقة كما ذكرت سابقا: ان من اراد ان يفهم التصوف فعليه ان يسير في رحاب عالمه الواسع، جوابا في آفاقه، رحالة لاكتشاف مدارجه كما هو حال من اراد ارتياد عالم مجهول.

وان عالم التصوف لايدرك بسهولة فهو مشاهدة وتذوق واشراق نور الله في القلب وله مقامات واحوال. ومقاماته تشبه مقامات الدنيا كما يقال فلان مدير مثلا. وهي مقامات يمنحها الله سبحانه* للمتقين من عباده. والحال تختلف عنها لانها زائلة تأتي وتزول اما المقام فثابت في صعوده الامن حرم من نعمة ربه بذنب ارتكبه.

لذلك يصعب تعريف التصوف صعوبة التعريف بطعم ثمرة فاكهة لشخص لم يذقها في حياته كالكمثرى والتين فقال: انه حلو المذاق ذلك ان السكر حلو المذاق ايضا وكذلك العسل والتمر. ولكل طعمه الخاص. وهل تتشابه الحموضة في كل من الرمان والخل مثلا؟

فاذا كان الشيء وجدانيا، او اشراقا الهيا، ومقاما معنويا، فكيف يعّرف به لمن لم يذق شيئا منه ولم يدخل هذا الميدان؟

**جاء احد المريدين الى الشيخ محي الدين بن عربي ١١٦٥-١٢٤٠م فقال له: ان الناس لايصدقون طريقتنا.**

**فقال الشيخ: اذا طلب منك احد حجة لمعرفة هذا الطريق فاسأله: كيف تعرف ان العسل حلو المذاق؟.**

**فاذا قال: قد ذقته وبالذوق يعرف. فقل له: وكذلك التصوف لاتعرفه حتى تذوقه.**

---

(١)- جاء ذلك في بحثه المنشور في سلسلة الثقافة الاسلامية ١٩٦١

المقام، مكتسب، قار ثابت، فيه معاناة وجهد، فهو من تقدير الساعي وجهده ومعاناته، اما الاحوال فمواهب لدنّية، ومنح وعطايا.

والحقيقة ان الذين سكروا بتذوق نعيم التصوف، وتعلقوا بثمار حدائقه الغنّاء، وغرقوا في بحار لطفه وكرمه سبحانه متأملين عظمة الله سبحانه ورحمته بخلقه، لن يجدوا فرصة للتعريف بما يجدون في انفسهم. ولو وصفوا لقالوا: ان هذا العالم طيب المذاق، ان ثماره طيبة، فمن كان منكم رشيدا فليأت ليكون له حظ في هذا النعيم المقيم والفرح الدائم، وماصنعوا غير ذلك.

ومما زاد من صعوبة استيعابه ان اصحاب التصوف يتحدثون بلغة خاصة يسود فيها المعنى المجازي والرمزي، وان ايا منهم تحدث بلغة حاله ومقامه حين تحدث عما هو فيه. لذلك ان ماكان عليه اي من هؤلاء الاعلام وعبر عنه بلغته الخاصة لايمثل الاجانبا من التصوف.

وعلى هذا يكون للتصوف تعريفات بقدر حال كلٍ ومقام كلٍ. ولكنهم جميعا يقصدون هدفا واحدا.

وقد اسندت تعاريف عديدة الى كبار رجال هذا الميدان قد وصلت الى الف. ونورد الان بعضا منها:

١- قال الشيخ معروف الكرخي المتوفى ٢٠٠هـ:[١]

**«التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما في ايدي الخلائق».**

٢- قال الشيخ ابو سليمان الداراني:[٢]

**«يأتي على الصوفي احيان لايعلمها الاالله ويكون مع الله في احوال لايعلمها الاالله».**

٣- قال ابو تراب النخشبى (ت٢٤٥)هـ:[٣]

**«الصوفي لايكدره شيء، ويصفو به كل شيء»**

٤- قال بشر الحافي (١٥٠-٢٢٥)هـ:

**«الصوفي من صفا قلبه»**

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص٤١

(٢) التذكرة جـ١ ص٢٣٣. انظر نشأة التصوف الاسلامي للدكتور ابراهيم البسيوني ص٢١

(٣) عوارف المعارف.

٥- قال الشيخ بايزيد البسطامي (١٨٨-٢٦٦)هـ:
«الصوفية اطفال في حجر الحق».

٦- قال ابو يعقوب السوسي:
«الصوفي هو الذي لايحزن ولو فقد كل شيء ولايمل في طريق الوصول الى المراد»

٧- قال الشيخ ابو الحسين النوري (ت٢٩٥)هـ:
«الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفس، وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا في الصف الاول والدرجة العليا مع الحق، فلما تركوا كل ماسوى الله صاروا لا مالكين ولا مملوكين»

٨- قال الشيخ جنيد البغدادي «ت٢٩٧ هـ»:
«التصوف هو ان يميتك الحق عنك ويحييك به»[1]

٩- قال ايضا:
«ان تكون مع الله بلا علاقة»
«الصوفي كالارض يطرح عليها كل قبيح ولايخرج منها الآكل مليح»[2]
«الصوفية هم مع الله وحده ولايعرفهم غيره».
«التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ماهو اولى على الابدية، والنصح للامة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة»[3].

١٠- قال حسين الحلاج (ت٣٠٩)هـ.
«الصوفي وحداني الذات لايقبله احد ولايقبل احدا».[4]

١١- قال الشيخ ابو بكر الشبلي (ت٩٤٥)م.
«التصوف هو الجلوس مع الله بلا همّ».[5]

---

(١) عوارف المعارف ص٤٣
(٢)عوارف المعارف ص٤٣
(٣) الكلاباذي ص٢٥ (٤) الرسالة القشيرية ص١٢٩ (٥) الرسالة القشيرية ص١٢٩

١٢- قال الشبلي ايضا:

**«الصوفي منقطع عن الخلق، متصل بالحق كقوله تعالى: «واصطنعتك لنفسي»، قطعه عن كل غير ثم قال له: لن تراني.**

١٣- قال ابو الحسن الحصري:

**«الصوفي هو من لايعود الى ذنب تركه، ولايطمئن قلبه الابربه متوكلا على ربه الذي يعلم ماقدر له»**

١٤- قال ابو سعيد ابو الخير «ت٤٤٠»هـ:

**« الصوفي من دفع ماعليه، واعطى مافي يديه»**

١٥- قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني (٤٧٠-٥٦١)هـ:

**«اكسب مال الدنيا في طريق الحلال ولكن ضعه على كفك لا في صميم قلبك».**

١٦- سئل الشيخ محمد بن علي القصاب شيخ الجنيد: ماهو التصوف؟

**أجاب: اخلاق كريمة. ظهرت في زمان كريم من رجل كريم. مع قوم كرام.**

١٧- سئل سحنون من معاصري الجنيد ماهو التصوف؟ فقال:

**«ان لاتملك شيئا ولايملكك شيء»**[1]

١٨- قال الشيخ عمرو بن عثمان المكي (ت٢٩٨)هـ:

**«التصوف هو ان يكون العبد في كل وقت بما هو اولى به الوقت».**

١٩- قال الشيخ ابو النصر السراج (ت٣٧٨)هـ:[2]

**«الصوفيه هم العلماء بالله، وباحكام الله، العاملون بماعلمهم الله تعالى المتحققون بما استعملهم الله عز وجل، الواجدون بما تحققوا، الفانون بما وجدوا، لان كل واحد قد فني بما وجد»**

٢٠- قال ذو النون المصري «ت٢٤٥»هـ:

**«آية معرفة الله ثلاث: اولها؛ لايطفيء نور معرفة الله نور ورعه وثانيها؛ لايتكلم بباطن في علم ينقضه ظاهر الكتاب والسنة وثالثها؛ لاتحمله الكرامات على هتك استار محارم الله»**

---

(١) انظر في هذه التعريفات الرسالة القشيرية ص١٢٧ ومراجع التصوف الاخرى

(٢) اللمع ص٢٦

٢١ـ قال سهل بن عبدالله التستري «ت ٨٩٦»م: [1]

**«الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر، وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر»**

٢٢ـ قال ذو النون المصري:

**رأيت امرأةببعض سواحل الشام، فقلت لها:**

**من اين اقبلت رحمك الله؟ قالت من عند اقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا. قلت واين تريدين؟ قالت الى رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله. قلت صفيهم لي فأنشأت تقول:**

**قوم همومهم بالله قد علقت**
**فمالهم همم تسمو الى أحد**

**فمطلب القوم مولاهم وسيدهم**
**ياحسن مطلبهم للواحد الصمد**

**ماان تنازعهم دنيا ولاشرف**
**من المطاعم واللذات والولد**

**ولا للبس ثياب فائق انق**
**ولالروح سرور حل في بلد**

**الامسارعة في اثر منزلة**
**قد قارب الخطو فيها باعد الابد**

**فهم رهائن غدران وأودية**
**وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد**

٢٣ـ قال يوسف بن الحسين:

**«لكل امة صفوة، وهم وديعة الله الذين اخفاهم عن خلقه فان يكن منهم في هذه الامة فهم الصوفية».**

---

(١) انظر عوارف المعارف ص٤٣، تذكرة الاولياء ص٢٦٤

٢٤- قال ابو سعيد الخراز (ت ٢٦٨هـ):
**«الصوفي من صفى ربه قلبه فامتلأ نورا ومن حل في عين اللذة بذكره الله»**(١)

٢٥- قال جعفر الخلدي (ت٣٤٨هـ):
**«التصوف طرح النفس في العبودية والخروج من البشرية والنظر الى الحق بالكلية».**

٢٦- قال الشبلي:
**«التصوف بدؤه معرفة الله ونهايته توحيده»**

٢٧- قال ابو بكر الكتاني (ت٣٢٢هـ):
**«التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء».**

٢٨- قال الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند (٧١٧- ٧٩١هـ):
**«طريقتنا هي الادب».**

٢٩- سئل ابو محمد الجريري: ماهو التصوف؟
**فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني.**

٣٠- قال ابو الحسين النوري «ت٢٩٥هـ»:(٢)
**«ليس التصوف رسما ولاعلما ولكنه خلق لانه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق باخلاق الله ولن تستطيع ان تقبل على الاخلاق الالهية بعلم او رسم»**

٣١- قال النوري ايضا:
**التصوف الحرية والكرم وترك التكلف والسخاء.**

٣٢- قال الشيخ محمد امين الكردي الاربيلي (ت ١٩١٣م)(٣):
**«الشريعة شجرة والطريقة اغصانها، والحقيقة اثمارها»**

---

(١) نشأة التصوف الاسلامي ص٢٢
(٢) تذكرة الاولياء
(٣) تنوير القلوب ص٤٠٩

٣٣ـ قال ابو بكر الكتاني:
**التصوف: صفاء ومشاهدة.**
ان هذه العبارة الموجزة جمعت بين عنصري الوسيلة والغاية.
اما الوسيلة فهي الصفاء واما الغاية فهي المشاهدة.(١)

*جمع العلامة نيكلسون مايقرب من مائتي تعريف ورتبها زمنيا قاصدا الخروج من جهده بتعريف جامع للتصوف، فما استطاع، وقرر ـ ماقرره المشايخ من قبله: بان التصوف لم يمكن معرفة كنهه وحقيقته. انظر الفصل الخاص بتعريف التصوف: نشأة الفلسفة الصوفية للدكتور عرفان عبدالحميد.

---

(١) نشأة التصوف الاسلامي ص٢١



# الفصل الخامس

## التصوف في تجربة الامام الغزالي (١)

(١) غني عن التعريف (١٠٥٩ ـ ١١١٤)م. (٤٥٠-٥٠٥)هـ.

ان حجة الاسلام الغزالي خير من عرف التصوف وعرّفه، فقد سلم بان الشريعةوالطريقة واحدة ولكن الشريعة تعنى بظاهر الامور، ويعنى التصوف بما في القلوب. ورأى ان التصوف لايدرك بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات.
قال الغزالي في كتابه احياء علوم الدين:

**«الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى. ومهما حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بانوار العلم. واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة، واشرق النور في القلب، وانشرح الصدر. وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية».**

وقد وردت هذه الحقيقة التي تؤكد ان التصوف هو اتباع للشريعة بالقلب وبالجوارح لاباللسان فقط في امهات مراجع علم التصوف منها؛ احياء علوم الدين للغزالي، والرسالة القشيرية للشيخ عبدالكريم بن هوازن، والتعرف لمذهب اهل التصوف للشيخ محمد الكلاباذي وقوت القلوب للشيخ ابي طالب المكي (٣٨٦هـ) واللمع للشيخ ابي نصر السراج، ومكتوبات الامام الرباني، وتذكرة الاولياء للعطار، والمواهب السرمدية وتنوير القلوب للشيخ محمد امين الكردي.

لتوسيع افاق المعرفة في رحاب التصوف القي الضوء على التجربة الصوفية للامام الغزالي المحلق في سماء المعرفة والبصيرة كما كتبها بنفسه في كتابه «المنقذ من الضلال».
وفيه يقص الامام حياته الفكرية المتنقلة من الدراسة المستفيضة الى الشك ثم الى اليقين وخلاصة هذه الرحلة كما قال:

**«فقد سألتني ايها الاخ في الدين ان ابث اليك غاية العلوم واسرارها، واحكي لك ماقاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار. فابتدرت لاجابتك الى مطلبك» ثم قال: «ولم ازل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن. وقد اناف السن على الخمسين» اقتحم لجة هذا البحر العميق، واخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور، اتوغل في كل مظلمة، واتهجم على كل مشكلة، واتقحم كل ورطة، واتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف اسرار مذهب كل طائفة لاميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا**

اغادر باطنيا الا واحب ان اطلع على بطانته ولاظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته، ولافلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولامتكلما الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولاصوفيا الاواحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبدا الا واترصد مايرجع اليه حاصل عبادته ولازنديقا معطلا الا واتحسس وراءه للتنبيه لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته.

وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي، وديدني من اول امري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لاباختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا.

وقال: فقلت في نفسي اولا: انما مطلوبي، العلم بحقائق الامور فلابد من طلب حقيقة العلم: ماهي؟

فظهر لي: ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لايبقى معه ريب، ولايقارنه امكان الغلط والوهم. ولايتسع القلب لتقدير ذلك، بل الامان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه - مثلا - من يقلب الحجر ذهبا، والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وانكارا فاني اذا علمت: ان العشرة اكثر من الثلاثة. فلو قال لى قائل: لابل الثلاثة اكثر بدليل اني اقلب هذه العصا ثعبانا، وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم اشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه. فاما الشك فيما علمته فلا. ثم علمت: ان كل مالا اعلمه على هذا الوجه، ولا اتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لاثقة به، ولاامان معه. وكل علم لا امان معه فليس بعلم يقيني. ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي: عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة الافي الحسيات والضروريات.

ثم قال: فلما خطرت لي هذه الخواطر [وهي الشك في كل معقول ومحسوس] وانقدحت في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر. اذ لم يكن دفعه الابالدليل. ولم يمكن نصب دليل الامن تركيب العلوم الاولية، فاذا لم تكن مسلمة لم يكن تركيب الدليل. فاعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين انا فيهما على السفسطة بحكم الحال لابحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على امر ويقين.

ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر.

ولما سئل رسول الله (ﷺ) عن الشرح ومعناه في قوله تعالى «فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام» قال: هو نور يقذفه الله تعالى في القلب.

وقال الغزالي: ان المقصود من هذه الحكايات: ان يعمل في كمال الجد في الطلب حتى ينتهي الى طلب مالايطلب، واسترسل في بيانه الرائع فقال:

«ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله، وسعة جوده انحصرت اصناف الطالبين عندي في اربع فرق:

١- المتكلمون: وهم يدعون انهم اهل الرأي والنظر.

٢- الباطنية: وهم يزعمون انهم اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم.

٣- الفلاسفة: وهم يزعمون انهم اهل المنطق والبرهان.

٤- الصوفية: وهم يدعون انهم : خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة.

فقلت في نفسي: الحق لايعدو هذه الاصناف الاربعة. فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع. فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ماعند هذه الفرق. ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما اردت ان اصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي. وانما مقصوده حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها عن تشويش اهل البدعة فلم يكن الكلام في حقي كافيا ولا لدائي الذي كنت اشكوه شافيا. ثم اني ابتدأت بعلم الفلسفة.

ثم قال «فشمرت عن ساق الجد من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ واقبلت على ذلك في اوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وانا . . . ممنو بالتدريس والافادة لثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد فاطلعني الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم في اقل من سنتين.

وقال: رأيت انهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام: الدهريون، الطبيعيون، الالهيون.

الصنف الاول الدهريون: هم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القدير وزعموا ان العالم: لم يزل موجودا كذلك بنفسه، بلاصانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا وهؤلاءهم الزنادقة.

والصنف الثاني الطبيعيون: وهم قوم اكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات واكثروا الخوض في علم تشريح اعضاء الحيوانات. فرأوا فيها من صنع عجائب الله تعالى، وبدائع حكمته مااضطروا معه الى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على غايات الامور ومقاصدها. ولايطالع التشريح وعجائب منافع الاعضاء مطالع الا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان لاسيما بنية الانسان.

الا ان هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به فظنوا ان القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه ايضا وانها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم اذا انعدم فلايعقل اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا الى ان النفس تموت ولاتعود فجحدوا الاخرة وانكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولاللمعصية عقاب. فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام.

وهؤلاء ايضا زنادقة لان اصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الاخر وهؤلاء جحدوا اليوم الاخر وان آمنوا بالله وصفاته.

الصنف الثالث الالهيون: وهم المتأخرون منهم مثل سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون استاذ ارسطاطاليس وارسطو هو الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم.
ثم صنف الغزالي علومهم فقال:

اعلم ان علومهم ستة اقسام:

«رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية».

وبعد مناقشتها قال: ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف مايزيف منه علمت ان ذلك ايضا غير واف بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولاكاشفا للغطاء عن جميع المعضلات. وكانت قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الامور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق، عنّ لي ان ابحث عن مقالاتهم، لاطلع على مافي كتبهم.

وقد فصل الغزالي آراءهم وانتهى الى انه ليس مع هؤلاء شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء.

ثم تناول تجربته مع التصوف فقال:

ثم اني لما فرغت من هذه العلوم اقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت ان طريقتهم انما تتم بعلم وعمل. وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله.

وكان العلم ايسر على من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: «قوت القلوب» لابي طالب المكي. وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وابي يزيد البسطامي قدس الله ارواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت مايمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع فظهر لي ان اخص خواصهم مالايمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات...

وكم من الفرق بين ان يعلم حد الصحة وحد الشبع واسبابهما وشروطهما وبين ان يكون صحيحا وشبعان، وبين ان يعرف حد السكر وانه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين ان يكون سكران، بل السكران لايعرف حد السكر وعلمه وهو سكران ومامعه من علمه شيء. والصاحي يعرف حد السكر واركانه ومامعه من السكر شيء. والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها وهو فاقد الصحة كذلك فرق بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطها واسبابها وبين ان يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا.

فعلمت يقينا: انهم ارباب الاحوال لا اصحاب الاقوال. وان مايمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق الا مالاسبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك.

وكان قد ظهر عندي: انه لامطمع في سعادة الاخرة الابالتقوى وكف النفس عن الهوى. وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب من الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لايتم الابالاعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق. ثم لاحظت احوالي:

فاذا انا منغمس في العلائق، وقد احدقت بي من الجوانب. ولاحظت اعمالي واحسنها - التدريس والتعليم - فاذا انا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولانافعة في طريق الاخرة.

ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها: طلب الجاه، وانتشار الصيت. فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال. فلم ازل اتفكر فيه مدة وانا بعد على مقام الاختيار اصمم العزم على الخروج من بغداد، ومفارقة تلك الاحوال يوميا،

واحل العزم يوما واقدم فيه رجلا، وأؤخر عنه اخرى. لاتصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة، الا وتحمل عليها جند الشهوة حملة فتفترها عشية، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني سلاسلها الى المقام ومنادي الايمان ينادي: الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الاقليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل فان لم تستعد الان للاخرة فمتى تستعد؟.

ثم انتقل الغزالي في قصته الى كيفية تدبير اختفائه وخروجه خشية معارضة الخليفة وكبار العلماء له ثم قال:

«ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم ادخر الاقدر الكفاف وقوت الاطفال.. ثم دخلت الشام واقمت بَه قريبا من سنتين لاشغل لي الاالعزلة والخلوة، والرياضة، والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس، وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق، اصعد منارة المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي.

ثم رحلت منها الى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي. ثم تحركت فيّ داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله (ﷺ) بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز. ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه.

فآثرت العزلة به ايضا، حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر ودمت على ذلك مقدار عشر سنين. وانكشف لي في اثناء هذه الخلوات امور لايمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي اذكره ينتفع به.

اني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا. فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء النبوة على

وجه الارض نور يستضاء به.

وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة: طهارتها - وهي اول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى. ومفتاحها - الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة - استغراق القلب بالكلية بذكر الله. وآخرها: الفناء بالكلية في الله.

ومن اول الطريقة تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وارواح الانبياء، ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح لايمكنه الاحتراز عنه.

وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول. وكل ذلك خطأ. وقد بينا وجه الخطأ في كتاب «المقصد الاسنى» بل الذي لابسته تلك الحالة لاينبغي ان يزيد على ان يقول:

وكان ماكان ممالست اذكره

فظن خيرا ولاتسأل عن الخبر

وهنا استشهد بابيات للشيخ محمد بهاء الدين النقشبند قدس سره توضيحا لما قاله الغزالي قال النقشبند:

**«في الوقت الذي اظل ساكنا اجد نفسي ناطقا لي صوت ولي قول ومثلي في ذلك كالخط المكتوب ينطق وهو ساكت لايقول وفي الوقت الذي لااعمل ولا اجدى افيد غيري، مثل علامات الحساب في الجمع والطرح يعرف بها الحساب وهي لادخل لها في الحساب.**

**ثم قال:**

**لادري كيف افهمك معنى القرب يا ايها الزاهد من اهل الظاهر سوى اني اشبهه بماء الورد في الورد». ويريد بذلك ان قربه منه كقرب ماء الورد في الورد.**

**واعود الى تجربة الغزالي الصوفية اذ قال بعد ذلك:**

**«وبالجملة فمن لم يرزق منه شيء بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم. وكرامات الاولياء على التحقيق هي بدايات الانبياء». ثم تناول تطهير القلب فقال:**

**«ان الذين يقول الله سبحانه فيهم «في قلوبهم مرض» هم اولئك الذين لم يطهروا**

قلوبهم ويعني بالقلب حقيقة الروح التي هي محل معرفة الله دون اللحم والدم» وان البدن كما قال الغزالي له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة، وختم المفكر الصوفي الغزالي تجربته بقوله:

واما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفا ورجاء وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لاينفك عنها البشر في الفترات وذلك لايدل على ضعف الايمان فالمؤمن مفتن تواب. وهو بعيد عن الاصرار والاكباب.



# الباب الثاني

## ردود تساؤلاتٍ عن التصوف وقضاياه

## اولا - متى نشأ التصوف الاسلامي؟

توضح فيما سبق ان التصوف الاسلامي هو الشريعة الاسلامية عينها، ويعني اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. ولكن المتصوف يعنى بمجاهدة النفس، ويتوجه الى محراب العبادة لأداء لواجب ديني فحسب بل شوقا بحبه. وقد يستعذب العذاب في سبيله مرددا قوله تعالى **« قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا»**.

واذا كان العشق المجازي يدفع المحب للفداء في سبيل حبيبته فكيف الحال مع العشق الحقيقي؟

وتمثل هذه الحالة رابعة العدوية اذ تقول:[1]

**«ماعبدته خوفا من ناره، ولاحبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه»**

فالتصوف نشأ مع بزوغ فجر الاسلام واشراقه في قلب النبي الكريم محمد (ﷺ). وقد شع النور الحقيقي من معدن النبوة في قلوب خلفائه الراشدين واصحابه الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وقد تميز البعض منهم في الاشراقة المحمدية مثل الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي وحارثة بن مالك الذي قال الرسول (ﷺ) في حقه: **من سَرَّهُ ان ينظر الى من نور الله قلبه فلينظر الى حارثة بن مالك**.

وذكر القشيري في رسالته ان اصحاب النبي الكريم حازوا كل مكرمة بشرف الصحبة وحيث انه لافضيلة اكرم منها قيل لهم «الاصحاب» وسمى من صحبهم «التابعين» وفي عصر التابعين تسللت شيئا فشيئا اغراض دنيوية وظهر ناس امتعضوا من هذه الظاهرة، وضاقت صدورهم بها فاختاروا العزلة فرارا بدينهم من الفتن واكتفاء بالنصيحة لاخوانهم فاطلقت على هؤلاء تسميات منها: الصوفي. الزاهد والحقيقية ان «الزاهد» كان معروفا عند العرب قبل الاسلام وبعده ولكن «الصوفي» عرف في عهد التابعين واطلق على الذي ابتعد عن مفاتن الدنيا من القصور والجواري والاموال، واستغرق في عبادة الله وذكره. واذكر لذلك دليلين:

---

(١) قوت القلوب ص١١٣ جـ٢، نشأة التصوف الاسلامي ص١٨٩

١ـ قال الامام الحسن البصري (٢١ـ١١٠هـ) :
**رأيت صوفيا في الطواف فاعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي اربعة دوانيق فيكفيني مامعي»**

٢ـ قال الامام سفيان الثوري (٩٧ـ١٦١هـ):
**لولا ابو هاشم الصوفي ماعرفت دقيق الرياء.**
قال سيدنا عمر (رض) في وصف النبي الكريم:
**بأبي انت وامي يارسول الله... لبست الصوف وركبت الحمار.**

واستطيع القول: ان التصوف الاسلامي هو ماتمثل في سنة الرسول(ﷺ) واشرقت هذه الحقيقة في سلوك الاصحاب الاخيار الذين تميزوا بالبصيرة ثم يتجلى في سلوك رجال مثل الحسن البصري وداود الطائي، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد البغدادي، ثم ذاع وانتشر اسما ووصفا، وعنوانا ولقبا ومثاله «كلمة الحواري» التي كانت تعني «القميص الابيض» ثم اطلقت على فئة مخلصة كحواري سيدنا عيسى عليه السلام.

**ثانيا ـ كيف نثبت تطابق التصوف الاسلامي مع الشريعة الاسلامية؟**

من المعلوم ان جملة من الشبهات تثار حول صحة هذا التطابق واهمها:

١ـ يقال ان التصوف بدعة وابرز دليل على ذلك ماينسب الى المتصوفين الكبار من امثال الشيخ بايزيد البسطامي، ومحي الدين العربي، و«ذو النون المصري» والحلاج، والشيخ السهروردي المقتول في حلب [وهو غير السهروردي المدفون في بغداد وهو صاحب كتاب عوارف العارف، ورئيس الطريقة السهروردية].

٢ـ قد يبلغ اتباع المشايخ حد الشرك والكفر من تقديس مشايخهم لاسيما بعد وفاتهم.

٣ـ سلكت جماعات من المتصوفة سبل الضلال واضلت الناس باسم التصوف لمصالحها الخاصة وهم قطاع الطرق ولبعضهم افكار غريبة تصطدم مع حقائق الاسلام كوحدة الوجود، والحلول والاتحاد.

ولكني اقول في دحض هذه الشبهات:
ان الشطحات اقوال لاتتفق مع تعاليم الدين الاسلامي الحنيف. ولكن الصوفي قد يشعر بحالة غير طبيعية بسبب استغراقه في ذكر الله سبحانه فيصبح كالسكران الذي

لايسأل عما يهذي به ادبيا. والحقيقة ان هذه الشطحات تعبير مجازي عما يحسون به من الكشف الذوقي ذلك انهم يعودون الى استقامتهم بعد زوال هذه الحال. ويروى ان كثيرين من الفقهاء افتوا بشرعيتها ومنهم الشيخ (الشعراني) الذي صحح شطحات الشيخ محي الدين العربي وفقا لتعاليم الاسلام. ومن امثلة الشطح مانسب الى الشيخ بايزيد البسطامي «ماتحت عباءتي الا الله» وهو قول ظاهره كفر ولكنهم يؤولونه بانه حينما يبلغ الصوفي مقام «سلطان الاذكار» اومقام «الفناء في الله» يستغرق قلبه وكل جوارحه في ذكر الله فلايرى شيئا غيره سبحانه فلا يكذب حين يقول ذلك، ولكنه يخالف ظاهر الشرع.

واقول: ان اوضح دليل على ان التصوف الاسلامي هو الدين الاسلامي بعينه هو سلوك واقوال رجال هذه الطريقة اذ تقيدوا بحدود الشريعة وامتازوا بورعهم وجعلوا تصفية النفس شعار حياتهم ولم نجد في التصوف امرا مغايرا للاسلام فهو التوبة والقلب الزاكي، والذكر والمجاهدة وغيرها من المقامات والاوصاف التي نزلت بشأن كل منها آيات قرآنية محكمة.

ان الخطوة الاولى في التصوف هي التوبة وهي الاقلاع عن كل فعل سيىء والندم عنه، اما من ظل غاويا فقد وصفهم القرآن الكريم «صم بكم عمي فهم لايعقلون»

ان القرآن الكريم ذكر القلب في آيات عديدة سيأتي الاستشهاد بها في مواضع مختلفة ويكفي ان نشير الى الآية الكريمة في معرض الذم «كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» وفي معرض المدح «وجاء بقلب منيب».

«يوم لاينفع مال ولابنون الامن اتى الله بقلب سليم».

وفي القرآن الكريم اشارة الى القلب في اكثر من (١٥٠)مرة يفهم منها: ان القلب قد يكون محلا للايمان والتقوى وقد يكون محلا للسوء.

وتكون التوبة بعد الاحساس بالندم ولكن كيف يتحقق الندم؟ أبالهداية الالهية ام بالتأمل ام بصحبة الصادقين؟

ان النفس لامارة بالسوء كما قال تعالى على لسان يوسف «وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء» وعندما يحصل الاحساس بالندم تصبح النفس لوامة قال تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى»

وفي هذه الحال تتوجه النفس الى التوبة والتوبة هي المرحلة الاولى في التصوف الاسلامي قال تعالى «وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون». فتبين ان

التوبة وهي اول خطوة على عتبة التصوف مطابقة لدستور الشريعة وتعاليمها وسيأتي تفصيل اكثر لها في مبحثها في مقامات التصوف.

وكذلك المجاهدة فان بعضا من الناس يعارض هذه الفكرة ويظن انها مخالفة للاسلام محتجا بان الدنيا خلقت للتمتع بها بدليل قوله تعالى **«يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين» «قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق» «ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين»** ولكن هؤلاء لم يستوعبوا سياق الآيات التي لاتدعو الى الانهماك في الملذات بل توبخ اولئك الذين يحرمون الطيبات كما حدث لبعض الصحابة الكرام. وحين ارادت نسوة الطواف حول الكعبة عاريات نزل قوله تعالى **«خذوا زينتكم عند كل مسجد»** والزينة اللباس.

واذا كانت المجاهدة تعني تزكية النفس من الصفات الذميمة كالكبر وجمع المال، والظلم والحسد، والتفاخر، والغيبة وغيرها من الاخلاق المذمومة فان محو هذه الصفات لايتحقق بالاماني بل لابد لها من مجاهدة وفطم لنزوات النفس الجامحة وشهواتها العارمة لتسهيل احلال صفات الفضيلة محل الذميمة كالصدق محل الكذب والقناعة محل الطمع.

ان تزكية النفس تتحقق بتجنب الصفات الذميمة والتصوف لايحرّم الحلال ومايضعه لنا من مراسم الرياضات الفكرية والجسدية هو من قبيل وصفة الطبيب لمريضه الى ان يشفى: كما قال البوصيري المتوفى (٦٩٦هـ)

والـنـفس كـالـطفـل ان تهـمـلـه شـبَّ عـلى
حـب الـرضـاع وان تـفـطـمـه يـنـفـطم

وهكذا يستمر طالب العلم في التمرن والسعي والمذاكرة الى ان يصبح العلم ملكة فلا يحتاج عندها الى مزيد من القراءات.

وتزكية النفس هي فرع مهم من شجرة التصوف والمجاهدة في سبيلها هي من تعاليم الاسلام الحنيف والنفس ان اهملت جمحت وشردت وادت بصاحبها الى المهلكة قال سبحانه وتعالى **«ونعلم ماتوسوس به انفسكم» « قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس»**.

ومن الواضح ان النفس مُهلكة ان لم تفطمها عن الشهوات ولم تعهدها بالتربية

والرياضة وقد امرنا القرآن الكريم بمجاهدة النفس وصفاتها الذميمة كما وضح لنا طرق الاستفادة المباحة من اموال الدنيا وطيباتها. والتصوف لم يخرج البتة عن حدود القرآن الكريم في ذلك. قال تعالى **«ولا تعد عيناك عنهم، تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا»**.

فعليك ان تجاهد نفسك وتلازمها بالمقاومة والتوبيخ لكي تنال الثواب، فالله سبحانه قال **«المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا»** وقال ايضا **«وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور»** وقال سبحانه **«وماهذه الحياة الدنيا الالهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون»**. وباختصار:

ان التصوف لاينحو الا الى ترسيخ قيم الاسلام ولايحارب الكسب الحلال وبناء الاسرة الطيبة ولكنه يقول «لاتبع دينك وآخرتك في سبيل دنياك» «ولاتبع حياءك من اجل جمع المال» «ولا تتخم بطنك بالاكل فيصبح عالة على جسمك» ولايكن المال وردك الدائم في الليل والنهار ولكن لاتنس نصيبك من الدنيا. اعمل لدنياك قدر مكوثك فيها، لاقدر بقاء احفاد واحفاد لاحفاد لك. لاتخلط الحرام بالحلال.

اما التقوى وهي شعار صوفي فمصدرها القرآن الكريم ولم يأت التصوف ببدعة منها في الاسلام وهي كما يقال لها مراحل ثلاث:

١- ان يتقي نفسه من الكفر.
٢- ان يتقي نفسه من المعاصي.
٣- ان يتقي نفسه من الانهاك في كسب المال.

قال الشاعر الصوفي المولوي في تعريفه للولي:
**لو وزن سلوكه وتقواه في مراحلها الثلاث لم يختلف قيد شعرة عن الشرع.**
وقد عاب القرآن الكريم اولئك المنهمكين في الدنيا بقوله سبحانه **«وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما»** وقال ايضا **«والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم»**

اما الذكر فقد وردت في القرآن على عدة معان فتارة قصد بها القرآن الكريم كما في قوله تعالى **«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»** الحجر ٩ وتارة قصد بها الصلاة **«ياايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع»** سورة الجمعة ٩. ولكن الغالب من معانيها التسبيح والتهليل والتكبير.

قال تعالى «**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الابذكر الله تطمئن القلوب**» الرعد الاية٢٨ .

وللدلالة على اهمية الذكر في تصفية النفس حذر القرآن الكريم الغافلين فقال تعالى «**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين**». وقال تعالى «**ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه**».

فاتضح ان التصوف اذ يرشدنا الى الذكر الدائم لصقل النفس انما يسترشد بالقرآن الكريم وبتعاليم الاسلام الحنيف وسنفصل في مبحث الذكر في موضعه.

وقد تبين ايضا ان التقوى التي تعتبر منهج التصوف لبلوغ الامل مصدرها القرآن الكريم فقد وردت مائتي مرة تقريبا بصيغ مختلفة في القرآن الكريم قال تعالى «**واتقوا الله ويعلمكم الله**» فالتقوى مجلبة لنور المعرفة ومعرفة الله هي الاساس كما قال تعالى «**ياايها الذين آمنوا اتقواالله وكونوا مع الصادقين**» وقال سبحانه «**ان خير الزاد التقوى**» ويفهم منها ان التقوى الظاهرية لاتكفي بل لابد من التقوى في الباطن ايضا بدليل قوله تعالى «**اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم**» وقوله سبحانه «**ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب**».

وبعد بيان هذه الحقيقة نتعرف على القلب الذي قد يكون مستقر رحمته سبحانه ومقاما لنوره جل وعلا كما يمكن ان يزيغ بفعل الهوى فهو في رحاب التصوف محرك ماكنة الحياة ومصدر المشاعر والاحاسيس الخيرة والشريرة وهو البرهان على مقام العبد في عالم الروح وهو اول منزل ينحاز اليه الصوفي بالتزكية. والذي يجرى على لسان الصوفية بشأن القلب ومنازله لا يخالف تعاليم الدين بل يؤكدها.

وللقلب كما هو معلوم معان عديدة منها اللحم الصنوبري في الجانب الايسر من الصدر ويطلق على ماهو مركز الشعور الانساني العاطفي ومنطلق التوجه نحو الخير او الشر في الانسان (والقلب عند المتصوفة ياتي بالمعنى المقصود في القرآن الكريم) منه ماهو مريض ومنه ماهو سليم قال الله سبحانه «**افيطمع الذي في قلبه مرض**» «**ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم**» ووردت «**في قلوبهم مرض**» في سبعة مواضع من القرآن الكريم وكل هذه الامراض معنوية وليست طبيعية بايولوجية قال سبحانه «**كلا بل ران على قلوبهم**» وكذلك يصدأ القلب معنويا، فقال سبحانه «**فانه آثم قلبه**» والقلب يعمى في الضلال ويبصر بالهداية كما قال تعالى «**افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن**

**تعمى القلوب التي في الصدور»** والمقصود هو ميدان المعنويات لا المحسوسات بدليل قوله تعالى **«أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها» «قلوبهم منكرة» «لاهية قلوبهم» «ختم الله على قلوبهم» «رب اشرح لي صدري»**

وهكذا يتضح بما ليس فيه شك ان ماورد في اقوال علماء التصوف ورجاله بشأن القلب والصدر هو اقتباس من القرآن الكريم. وان مقامات التصوف والادب الصوفي مقتبسة من القرآن الكريم واوصاف المؤمنين فيه من امثال «الصادقين، الصادقات، القانتين، القانتات، التائبين التائبات، الخاشعين، الخاشعات، السائحين السائحات، الموقنين المخلصين المحسنين، المخبتين، العابدين، المتوكلين، المتقين، الابرار، المقربين، المصطفين الاخيار» وهي لست ببدعة، وورد في الحديث الشريف (كما يروى) **«قلب المؤمن عرش الرحمن»**

## ثالثا - ماهو منهج التصوف؟

سيكون الكلام بعد الان مع المؤمنين بالاسلام دينا وبالتصوف طريقة ومنهجاً، فنقول: ذكرنا الكثير عن التصوف وتعاريفه العديدة التي عبرت عن اختلاف الاحوال والمقامات لكبار رجال التصوف، وقيل ان ايّ تعريف يمثل مذاقا خاصا لصاحبه وكلهم يرون ان التصوف مجاهدة مسلم بسلوك صوفي لتحقيق اوامره سبحانه تحقيقا كاملا، ولتطبيق القرآن الكريم والسنة النبوية سرا وجهرا، روحا وجسدا، ظاهرا وباطنا وهي طريقة الخواص. وان هذا الجهد العظيم يهدف الى غايتين اولاهما، رضوانه سبحانه وثانيهما، الوصول الى حق اليقين، وعين اليقين. اي الايمان الكامل بالرؤية او بالذوق والحس الوجداني بتزكية القلب وتطهيره من الرغبات الفاسدة، وتزيين القلب بكل خلق حسن، حتى يصبح القلب مستودعا لنور الله ويتنور قلب الصوفي بنور وجهه سبحانه، وحين يصبح القلب كذلك يصل اليقين ومن تنور قلبه بنور الله، رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه فتح الله عليه ابواب رحمته، ومن صقل قلبه بمعرفة الله، لايعبد احدا غيره، ويصل الى درجة الاحسان وهي احدى درجات التصوف. قال الرسول (ﷺ) **«الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك»**.

ومن المعلوم (**ان الصوفي الحقيقي لايغفل عن ذكر ربه طرفة عين**) وهو ماتعنيه درجة الاحسان عند المتصوفين.

ونوضح حقيقة اننا لانقصد بالصوفي الفئة المخصوصة من اتباع الطرق الصوفية بل

نقصد معنى اوسع يشمل عباد الله جميعا قادريين او نقشبنديين او غيرهم من عباد الله ممن توسطوا طرقا صوفية اخرى او لم يتوسطوها.

ومن المعلوم ايضا ان التصوف عبارة عن تطبيق ظاهر الشرع وباطنه، وهو فن خاص له اساتذته وادلته كما هو الحال في كل فن وعلم. فلا يجوز الخوض فيه دون معرفة طريقه واذا كانت معرفة علوم الشرع الظاهرية تحتاج الى درس لدى معلم ومذاكرة مع العلماء فان المعرفة الصوفية وهي معرفة قلبية وعقلية تحتاج ايضا الى مرشد. فهل يصبح الشخص الذي تعلم الطب دون معونة استاذ طبيبا حقا في ميدان العمل؟ وكذلك علم التصوف يحتاج الى مرشد. ولانعتقد انك تصل مقصدك في مرحلة العمل دون الاستعانة بالمرشد المطلوب ولذلك يقال: ان التصوف الاسلامي هو تطبيق طريق وسلوك خاص وهو ايضا التزام بمنهج التصوف طريقة وسلوكا. ولكن اذا لم تهتد الى مرشد فهل تتخلى عن غايتك وهي رضوان الله سبحانه وعين اليقين؟ وهل تستعين بادعياء الطريقة؟ وما اكثرهم!! وهل تجعل الاعمى دليلك في هذا الطريق الصعب والمخيف؟
الجواب كلا.

وهنا اشير الى مبحثي الولي والمرشد فأقول:
ان افضل السبل لتجربة المرشد تفحص مدى تطابق سلوكه الكلي مع الشريعة الاسلامية اولا، ومدى معرفته بالشريعة وعلومها ثانيا. ذلك ان من لايطبق الشريعة تماما لايجوز اتباعه والجاهل غير قادر على هداية غيره.
قال تعالى «أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم»

فيجب على المريد تفحص اعمال هؤلاء المدعين مشايخ طرق، ومتزيين بزيهم وعاكفين في زواياهم تكايا اوخانقاهات فان تطابق سلوكهم مع الشرع وكانوا علماء فمن الجائز ان يكونوا ائمة مرشدين، والا فلا خير فيهم «مااتخذ الله وليا جاهلا». ومن بلغ درجة الولاية علمه الله سبحانه «واتقوا الله ويعلمكم الله»

فاذا تصورنا ان مريدا لم يجد من يدله فما الذي يفعل؟

نلجأ الى القرآن الكريم «واتقوا الله ويعلمكم الله». فعليه ان يتقي الله في دينه، ويحافظ على ذكره سبحانه وهو كفيل برحمته وهو ارحم الراحمين، وان العبد الذي يقول بملء قلبه: «اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم» فان الله هاديه لامحالة ويتحقق ذلك بجهاد النفس «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا». وللعاملين في طريق

معرفته وحبه بشرى عظيمة في القرآن الكريم اذ يقول سبحانه **«قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»** وفي الحديث القدسي **«انا جليس من ذكرني»**

ولاشك ان مداومة العبادة تقرب العابد الى الله سبحانه. ورد في الحديث القدسي **«لايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها.»** فالله سبحانه بيَّن لنا طريق القرب منه فقال لنبيه **«واسجد واقترب»** والسجدة هي العبادة بانواعها، وان الله سبحانه يستجيب دعاء الداعين **«وادعوني استجب لكم»** **«ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير»** **«الحمدلله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا ان هدانا الله»** ولكن على المرء ان يكون مستقيما على طاعته، مراقبا لاعماله، يقظا لوساوس الشيطان، وحذرا من الانزلاق في مهاوي الغرور والغفلة، مرددا مع عباد الله المهتدين **«ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب»**

وهكذا يتضح ان التصوف يتحقق بارشاد المرشدين، وبالتمسك بتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة من التقوى والمجاهدة والذكر والنوافل ودعاء الهداية لعل الله سبحانه يهديه الى طريق محبته وعبادته وتهجده ليلا قال تعالى **«تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون»**

وان طريق التصوف تسليم للشخص الذي يعلم العبد طريق التصوف، ويقال له «المرشد» «الشيخ» «الدليل» وغيرها ويقال للراغب في السلوك «السالك» «المريد» «الصوفي» «درويش»

ولكن كيف نصل الى الله سبحانه عن طريق المرشد؟
علينا اولا ان نتحرى عن صفات المرشد فعليه:

١ـ ان يتطابق سلوكه مع ميزان الشرع.

٢ـ ان يكون عالما بالشريعة الاسلامية، ذلك ان الطريقة جوهرها فمن لم يفهم الشريعة فكيف يفهم جوهرها؟

٣ـ ان يكون عارفا بمسالك الطريق.

٤ـ ان يكون قد تخرج على يد مرشد كامل في حلقة متصلة بسيد الكون سيدنا محمد (ﷺ).

٥- ان يكون قد بلغ درجة البقاء بعد الفناء وتنور قلبه بحق اليقين.

٦- ان يكون طبيب القلب خبيرا بمداواة الامراض المعنوية ويحس به مريدو. جاء في كتاب نعت البدايات وتوصيف النهايات:

**«الشيخ من عَلّمك بقاله وانهضك بحاله. الشيخ من افاد الطالب وفتح المطالب. الشيخ من كمل في ذاته وكمل بصفاته. الشيخ من اذا حللت حماه، وجدت به الغنى عما سواه من الناس، الشيخ من يفيدك في الشهادة والغيب ويطهر سرك بسره من العيب».**

وعليه يجب ان لايسلّم المريد نفسه لكل متشيخ ومتصوف فلقد كرم الله الانسان وانعم عليه بالعقل وهداه بالرسالات السماوية **«لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم»**.

**«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»** الاسراء٧٠

**«وسخر لكم الشمس والقمر دائبين»** سورة ابراهيم

**«وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر»** «سورة النحل»

**«وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا»** سورة الجاثية. فاذا كان هذا كرامة الانسان عند ربه فكيف يعقل ان يقبل المذلة والاستكانة امام شخص آخر مثله؟

فيجب التحري العميق عن المرشد الكامل كي لايضيع العمر هباءً.

والمريد: **من ينشد التصوف باحثا عن مرشد كامل عارف، وحين يطمئن اليه قلبه ويحس بدفء الايمان في صدره وبأثر المرشد في قلبه، عليه ان يسلّمه زمام ارادته ويخضع لتطبيق نصائحه ولكن عليه ان لايغتر بما يراه من كرامات للشيخ وكشوفات اذ لو خالف عمله الشرع ولو مقدار شعرة فلا يصلح مرشدا بل يكون قاطع طريق ومن لم يلتزم بالسنة النبوية فهو ليس بمرشد، وكرامته من قبيل استدراج الشيطان وسحرة الهند او الصُّدفة.**

ورد في كتب التصوف ان بايزيد البسطامي «رض» ذهب لزيارة شخص كان المعروف انه ولي كامل وعند لقائه رأى ان المرشد يتفل متوجّها الى القبلة فرجع دون السلام عليه قائلا ان عمله مخالف للسنة فليس بمرشد، فعلى المرشد ان يتقى اكثر من اي انسان آخر فلا يجوز له قبح الاقوال، والضحك العالي، وجمع المال والكبر والعمل الوضيع، والغيبة ومجاملة البعض على حساب الاخرين دون مراعاة العدل. والحقيقة ان:

١ـ المرشد الحقيقي هو من يريد الهداية للجميع ويسعى لذلك دون كلل ودون مصلحة ذاتية .

٢ـ المرشد غير الحقيقي . من يسعى لجمع السذج حوله لتقديم الهدايا والذبائح وهو نوعان :

ا ـ العالم الظاهري العارف بالتصوف عن طريق المطالعة . ومن الصّعب كشف هذا النوع لانهم يخفون حقيقتهم، ولكن الميزان الصحيح هو عجزهم عن التصرّف بالقلوب .

ب ـ فئة الجهال لاسيما الذين ورثوا المشيخة عن اجدادهم ولم يكسبوها بانفسهم .

٣ ـ الفئة المتوسطة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولكنها لاتبلغ باحد الى مرحلة اليقين، فالاستماع الى نصائحهم مفيد اذا كانوا علماء ولكن لايفيدون (طلاب اليقين) .

ويبقى القرآن الكريم والسنة النبوية معيار تقدير المرشد وصدقه او كذبه ويمكن ان نشير الى معيار معقول لتقدير المرشدين في بعض تصرفاتهم، فاذا كان المرشد يطبق نصائحه على نفسه واقرب الناس اليه فهو صادق في ارشاده والا فلا .
قال سبحانه **«يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون»** سورة الصف

وان ابن نوح وامرأة لوط مثالان يدلان على ان القرابة لاتنفع اذا كان العمل غير صالح .
ومن هذا المجال سمعتم بقصة تطبيق عمر رضي الله عنه لحد الشرع في ولده حتى مات دون ان تأخذه به رأفة في دين الله وهذا هو حق اليقين .
((وانيّ هنا كاتب لاناصح وانيّ احوج الى من ينصحني ولكن انقل آراء اهل الذكر، جعلني الله منهم وهداني الى الصراط المستقيم)).

وبعد العثور على المرشد الحقيقي فما الذي نفعل؟
من اراد الوصول فعليه التماس الطريق من المرشد كما هو حال اي تلميذ او طالب صنعة هادفا الى واحة اليقين يمشي خطوة فخطوة، مرحلة فمرحلة، يتخطى مخاوف الطريق بفضل مرشده الى ان يحط رحاله في المنزل المقصود بادئاً بالتوبة، منتهيا بمرحلة البقاء بعد الفناء .

ولكن كيف نصل الى الله عن طريق التصوف؟
وهل يجوز الاذعان للمرشد؟
وهل يعتبر المرشد واسطة ام سببا، ام وسيلة؟

وما الذي يستطيع المرشد فعله؟ ...... إذاً:

على المريد ان يكون امام مرشده كالميت بين يدي الغاسل.
يتوب على يديه ويُسمَّىٰ «بالتمسك» اي الدخول في حلقة التصوف. وكل سلسلة ترتبط بمرشد كبير وتتصاعد الحلقات الى ان تصل الى النبي الكريم محمد (ﷺ) وتسمى «سلسلة الطريقة».

والدرس الاول في النصوص يسمى «تلقين الطريقة». وهو درس يلقيه المرشد بنفسه او احد خلفائه وموضوعه التوبة، ثم يُعلِّم الذكر، وفي النقشبندية يُعلِّم علاوة على الذكر «الرابطة» ايضا اي كيفية العلاقة الروحية مع المرشد.
وبعد ذلك يصبح مريدا.

ومن البيّن ان المرشد الصحيح لايلقن درسه هذا الابعد تأكده من التزام المريد بالواجبات الدينية، لا كما يجري الآن في زماننا.
ومَثَلُ المريد كطالب العلم يتلقى علومه مرحلة بعد مرحلة حتى يصبح طبيباً اومهندسا او معلما.

وقد يختلف مريد عن آخر باختلاف جهاده، او باختلاف منزلة مرشده وامكانه في رفع درجات مريديه كما هو حال الفقهاء، فمنهم من يبلغ درجة الاجتهاد المطلق ومنهم من يبلغ درجة اقل.

وفي بعض الاحيان يأخذ المرشد بيد مريده ليوصله الى اعلى درجة وصلها هو بنفسه وهنالك يعترف له بان هذا حده وعلى المريد هناك ان يسير دون مرشد، او ينتقل الى مرشد اعلى منزلة كما هو الحال في حياة (النقشبند) ونشير اليها. وكذلك في علوم الشريعة قد ينتهي الطالب في مرحلة عند استاذ معين ثم يرقى الى مرحلة اخرى اعلى تحتاج الى استاذ اعلم والتوبة بمثابة عهدٍ اَمامَ المرشد ويسمى «بالبيعة».

وتظهر البيعة الصوفية في ايام الشيخ عبدالقادر الگيلاني الذي كان الناس يتوافدون عليه جماعات لمبايعته على التوبة وتشير آيات قرآنية الى مبايعة الصحابة مع الرسول الاكرم (ﷺ) منها قوله تعالى «**لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة**»

وقوله تعالى «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم» الفتح ١٩

وقد ذكرنا ان المرشد هو من تخرج في مدرسة مرشد آخر ووصل الى مرحلة البقاء بعد الفناء.

انشد الشاعر الصوفي مولوي قصيدة بعثها الى مرشده (الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي) قال فيها:

**ايها الشيخ الغني في حظ عظيم مستمر في لب الحقيقة الاحمدية.**

**تجاوزت مرحلة الفناء وانت الان في قمة جبل البقاء.**

وحيث ان المرشد الكامل طبيب يعالج الامراض المعنوية كالحسد والكبر... فقد وُصِفَ المرشدون «بالحكماء العارفين».

وان التوجُّه (اي توجه الشيخ نحو مريده لمعالجة ما في قلبه) قد يحصل بين المريد وبين الشيخ من مكان بعيد ايضا ولايشترط ان يكون في مجلس واحد فقط. وصورة هذا التوجه:

ان الشيخ يجلس في حلقة الذكر تجاه المريد متوجها بقلبه نحو قلبه فيلتقي يساره بيساره غامضا العينين. يترقب المريد البركة من الشيخ او خليفته ويحس في هذه الجلسة الروحية، بدفء روحي. وهذا التصرف الروحي بمثابة عملية جراحية يتأثر بها المريد وقد لايطيق الاثر فيصيح ثم يغمى عليه في بعض الاحوال واذا كان توجه الشيخ هادفا لايصال مريده الى مقام اعلى يسقط المريد كالسكران ولايفيق الابعد ساعات او يوم. وقد يضحك فرحا بما وصل اليه، وقد يرقص ايضا. ولكن هذه المظاهر قد تمارس تمثيلا لاحقيقة من قبل اولئك الذين يخدعون البسطاء.

وهل للسبب والوسيلة اساس شرعي في الاسلام؟

نقول: إن لكل شيء سببا، انسانا كان او مصنوع يد انسان من الآلات والمكائن، فالانسان يحتاج الى وسيلة لتحقيق رغباته وهو محتاج الى معلم وهذا لايتنافى مع وجوب الاعتقاد بعون الله وارادته كما ان المريض محتاج الى طبيب ولا يجوز له ان ينكر هذه الحاجة، فعلينا ان نراجع الطبيب ونلتزم بارشاداته شريطة ان نعتقد ان الشافي الحقيقي هو الله سبحانه. وما كان تحت قدرتنا البشرية المحدودة فعلناه، وما كان تحت قدرته الالهية اللامحدودة وحده دعوناه راجين ولذلك يوصَفُ سبحانه بانه «مسبّبُ الاسباب»

قال سبحانه في سورة المائدة «**يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**».

وواضح ان الوسيلة هي التقوى والعمل الصالح بدليل قوله تعالى «**اتقوا الله**» «**وجاهدوا في سبيله**» فعلى المسلم ان يبتغي الوسيلة للوصول الى مرضاته سبحانه.

ومادمنا نحتاج الى المعلم في مسائل الفقه فاننا نحتاج اليه في مسائل اعمق وهي دروس تصل بنا الى عين اليقين ولكن الوسيلة لاتكون مقصودة بالذات وانما المقصود هو الله سبحانه، السنا ساجدين لله سبحانه، ونحن نتوجه الى الكعبة المشرفة؟ هل نقصد الكعبة ذاتها؟

قال الله سبحانه في قصة ذي القرنين «**انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شي سببا**» سورة الكهف، فالسبب والوسيلة لايضادان منهج القرآن الكريم ان لم يعتقد بانهما مؤثران حقيقة.

وقد امر الله سبحانه ان يتقرب المسلم من الصالحين اذ قال «**ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**» التوبة.

ان سنة الله سبحانه ان يولَد الانسان من ابوين فهل ينتظر طفل دون ابوين بحجة ان الله سبحانه هو الخالق ؟ ولكن لولا ارادة الله سبحانه لما ولد الطفل، «**وانه هو خلق الزوجين الذكر والانثى**»

وكذلك الموت قال سبحانه «**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم**» السجدة ١١ ولكن لايجوز القول (بان الموت بيد ملك الموت).

ومثله طلب الرزق حيث يحتاج الى سبب ووسيلة مع قوله تعالى «**ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**» الذاريات ٥٨

وقال سبحانه «**وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**» السجدة (٢٤) فهي اشارة الى المرشدين العلماء الفقهاء.

ونخلص مما مضى الى القول بانه كما ان اللجوء الى الاسباب والوسائل الظاهرية لتصريف الشؤون الحياتية، والى الفقهاء والعلماء لتعلّم الدين والدنيا ضروريان فاللجوء الى المرشد الكامل للوصول الى الغاية المطلوبة في المعنويات ضروري كذلك، والمقصود في الحالات جميعها (هو الله سبحانه).

ولن يبلغ المريد مبتغاه مالم يحقق ادب التوقير في سلوكه مع مرشده. ومايروى عن ابي يزيد البسطامي «**من لاشيخ له فشيخه الشيطان**» معناه ان من يسلك طريق معرفة

الله في الشرع او في التصوف فعليه ان يستعين بمرشد او معلم وبدونه يكون عرضة لاضلال الشيطان.

ومن الدلائل على ان الصوفي الحقيقي هو الملتزم بتعاليم القرآن والسنة النبوية سراً وجهرا ان خلق الصوفي هو خلق القرآن الكريم وهو مسترشد بسيرة الرسول الاعظم سيدنا محمد (ﷺ).

وقد اشاد القرآن الكريم بخلقه العظيم **«وانك لَعَلىٰ خلق عظيم»**.

وجاء في القرآن الكريم في الخلق العظيم آيات بينات منها:

**«خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين» الاعراف ١٩٨**

**«فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفرلهم وشاورهم في الامر، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين».**

**«واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين» القصص ٥٥**

قيل لذي النون المصري، وهو احد كبار المتصوفين: **من هو اكثر الناس همّاً فقال: من كان خُلقهُ سيّئا.**

وقال الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي **«طريقنا هو الادب كله»**

فالصوفية هم اطهر الناس واتقاهم، والصوفي من استغرق في محبة ربه ولم يفتر لحظة عن ذكر ربه، ولايتصور منه الا الفعل الحسن ذلك انه تربى في مدرسة الاخلاق الاسلامية وكبح جماح نفسه. نعم ان الفضلاء كثيرون ولكن الصوفية في ذروة الفضل.

قال شاعر صوفي في المقارنة بين سيدنا موسى وسيدنا محمد (ﷺ):رأى محمد ربه، وسمع موسى صوت ربه.

فأين السماع من الرّؤية؟

ان ايمان الصوفي هو ايمان الشهود اما ايمان غيرهم فايمان استدلالي وقد وصف كبار مشايخ التصوف عبر التاريخ الاسلامي بالفتوة والتواضع واعانة الناس ، والصفات الحميدة ولايضيرهم ماينسب الى المتشيخين وذلك ان **«كل نفس بما كسبت رهينة»**

وهل يصح القول بان الاسلام غير نافع بحجة ان ناسا مسلمين انحرفوا عن جادته؟ فالمسلمون في واد والاسلام في واد آخر.

ان ارقى درجات التربية هي التربية الروحية القلبية، فاذا كان المنبع صافيا كان الماء صافيا واذا كان كدرا لايصفيه شيء. ان المنبع هو القلب والضمير فاذاصفا القلب صفت الاعمال، وهذا هو التصوف الذي يسعى لتطهير القلب من كل قبيح «الى الحد الذي يصبح فيه القلب قابلا ليكون مستقرا لنور الله سبحانه» ومثل هذا القلب المستضيء بنور معرفته سبحانه يكون قلبا رحيما لايؤذي احدا قط.

فانظر الى العالَم الذي يضمّ صفوة من امثال هؤلاء، هل يخاف احد معهم من السرقة، او الخيانة، او الكذب، او سوء الطوية،؟ فالكل اخوة في دين الله ومستعد لخدمة الانسان والانسانية فهذا هو عالَم التصوف. ومن لم يسلك هذا السلوك الحقيقي فليس بصوفي ومن ابتغى اخضاع الناس لارادته بحجة المشيخة فهو ليس بصوفي او شيخ او قطب بل هو مدّع للتصوف ليس الا، ويطلق المتصوف المدعي على المتزيين بزي المشايخ او المريدين المقلدين لهم في مظاهرهم، والحقيقة انهم متظاهرون وممثلون للأدوار.

ان الشريعة هي معيار المصداقية، فقد يظهر البعض مجذوبا ولكنه في الحقيقة متهرب عن العمل متكاسل، والبعض يرفع عن نفسه التكاليف الشرعية مع انهم ليسوا مجانين يحبسون في المصحات العقلية، وليسوا اصحاء يذهبون الى ميدان العمل، وليسوا عبادا لله في المساجد، ولكن البسطاء من الناس قد ينسجون لهم حكايات من الكرامات لاأساس لها، فالمتصوف والمتشيخ، هم الناس الذين يهملون تعاليم الشرع، ويخدعون الناس بمظاهرهم.

كيف يبلغ الصوفي مرحلة اليقين؟

لها طريق واحد هو تزكية النفس وتحصل بالاخلاص في عبادته سبحانه وفي ذكره باللسان وبالقلب تحت ارشاد مرشد او بدونه تائبا توبة نصوحا تجعله مستمرا في طاعته ذاكرا الله الى ان يرضاه سبحانه ومن رضي الله عنه شرح الله صدره بنوره ويصبح القلب بصيرا وحين يفتح الله عين البصيرة في قلب المسلم تزاح الاستار على الاسرار ويشهد الايمان «عين اليقين».

وكيف يصبح خلق المسلم بعد بلوغه درجة اليقين؟

من اعتقد جازما بعين اليقين ان الله يراه فلا تبقى ذرة من رياء في عبادته ويتجنب كليا كل عمل مخالف لشرع الله اذ لايقدم عاقل على السرقة وهو يعلم ان صاحب المال يراه.

وحيث انه لايغفل عن ذكر الله ولانشراح صدره بهذه البركة المعنوية فان سلوكه يتحول الى سلوك محمدي ملتزما بشرع الله ولسنة نبيه (ﷺ) انها درجة لامقام فوقها سوى مقام النبوة من حازها انتقل من عالم الناسوت الى عالم الملكوت. **«عبدي كن ربانيا تقل للشيء كن فيكون»**. وحين يبلغ هذه الدرجة لايعبده سبحانه خوفا من النار او طمعا في الجنة ولكن حبا لله سبحانه.

ومن البين ان الشيخ عمر ضياء الدين النقشبندي ممن حازوا هذه الدرجات اذ يقول في قصيدة صوفية له:

**اني اليوم فقيه مدرسة التوحيد**
**وفريد دائرة التفريد**
**سبقت غيري في التنزيه**
**واني اليوم مصباح قافلة طريق التمجيد**
**واني قائد معسكر التجريد.**

ويمكن ان يكون المرء صوفيا مريدا لمرشد، او صوفيا لامرشد له، او صوفيا مرشدا دون ان يبلغ هذه الدرجات، فضلا عن درجات «الغوثية» «القطبية» او الابدال والاوتاد، وهذه درجات تشبه ملاكات موظفي الدولة وكل له مسؤوليته في عالم المعنويات.

كيف نطبق تعاليم الشرع ظاهره وباطنه؟

نرى ان من ولد في اسرة مسلمة يسجل مسلما ومن ولد في اسرة مسيحية سُجّل مسيحيا..

لكن من يبلغ (١٥) عاما يكون اهلا لتحمل المسؤولية الدينية فمن نفذها كان صالحا ومن عصاها كان في ضلال مبين.

ومن طبق الشرع ظاهرا اصبح مسلما ولايصبح مؤمنا الابعد قناعته والقناعة لاتحصل باكراه **«لااكراه في الدين»**. **«قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم»** سورة الحجرات١٤.

وقد يكون المرء مسلما مؤمنا معا ولكن تعتريه الوسوسة والرّياء والعُجب فيكون غافلا عن عبادته

فان نوى شخص ارتكاب اثم فانه لايحاسَبُ على نيته اذ قد يندم عليه او لاينجح فيه ولكن العابد الصوفي (هو من لاينوي ارتكاب الاثام لانه طاهر في قلبه وضميره)

قال سبحانه «وذروا ظاهر الاثم وباطنه» الانعام ١٢٠

وقال جل جلاله «وان تبدوا مافي انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة ٢٨٤

وقال سبحانه «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد»

وقال تعالى «قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن» الاعراف ٣٣

وقال سبحانه «ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن» الانعام ١٥١

كلها تؤكد اخلاص القصد والنية وتزكية النفوس من الميول الاثيمة. فان المرء لايفيده العمل الشكلي الفارغ من اخلاص القصد وان احاسيس القلب والضمير مما يمكن اخفاؤها عن الناس فمن اراد تزكيتها فهو دليل ايمانه.

ومن اهم صفات التصوف، الايثار. ونشير هنا الى مجاهدة الشيخ محيي الدين العربي ضد الصليبيين المحتلين والشيخ نجم الدين الكبري مؤسس الطريقة الكبراوية ضدّ المغول.

قيل: ان جنگيز حاصر خوارزم وفاوض الشيخ نجم الدين رئيس الطريقة الكبروية على تركه المقاومة وخروجه من المدينة لقاء العفو عنه وعن آلاف يحددهم الشيخ، ولكن الشيخ الذي كان عمره آنذاك ثمانين سنة رفض عروضه وقال اننا لسنا بافضل من غيرنا وقاتل مع المقاتلين دفاعا عن مدينتهم حتى قتل سنة ٦١٨.

ان علماء التصوف كانوا دوما اهل ايثار وعلم وادب، وان الادب العالمي شاهد على تفوقهم في الادب، يحس المرء ببركة كلامهم في الشعر والنثر يطرب اصحاب القلوب الرقيقة عند سماع ادبهم.

[وفي صفحات التاريخ نماذج وامثلة لما قاموا به من اصلاح بين الناس وكان لاجدادي رحمهم الله دور كبير في اصلاح ذات البين ولولا الظن باني قد اقصد الافتخار لرويت قصصا نادرة لخدماتهم في هذا الميدان]

ان سجل عظماء التصوف كنز ثمين في التراث الاسلامي وان ضياعه خسارة لاتعوض.

((ومن المعلوم ان ائمة المذاهب المعتبرة هم من كبار علماء التصوف ايضا)).

# الباب الثالث

المقامات

## مقامات التصوف

١ ـ التوبة
٢ ـ الانابة
٣ ـ الزهد
٤ ـ الورع
٥ ـ القناعة
٦ ـ الصبر
٧ ـ الشكر .
٨ ـ التوكل
٩ ـ التسليم
١٠ ـ الرضا
١١ ـ المحاسبة
١٢ ـ الخوف والرجاء .
١٣ ـ الفقر
١٤ ـ الصدق
١٥ ـ المراقبة
١٦ ـ الاحسان
١٧ ـ القرب
١٨ ـ الاخلاص
١٩ ـ الفناء
٢٠ ـ البقاء
٢١ ـ التوحيد
٢٢ ـ التجريد
٢٣ ـ التفريد
٢٤ ـ التنزيه
٢٥ ـ العبودية

ذكر المقام في القرآن الكريم عدة مرات منها قوله تعالى **«عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا»** سورة الاسراء ٧٩. وقوله تعالى **«ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»** سورة القمر ٥٤، ٥٥. وفي نفس المعنى ذكرت **«درجات»** وتعتبر كالمقامات منها قوله تعالى **«نرفع درجات من نشاء»** سورة يوسف٧٦ وقوله تعالى **«لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم»** سورة الانفال. وقوله تعالى **«تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض. منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات»** البقرة ٢٥٣
ويُفهم من هذا ان درجات القرب منه تتفاوت حتى بين الانبياء ولكن المقام يطلق في مصطلح التصوف على الدرجة، ينالها السالك في طريق التصوف.

ومنهم من جعل هذه الدرجات عشرا ولكن بعضهم جعل لكل درجة عشر مراحل فالمجموع مائة مقام ودرجة.
ولكل مقام منها معناه الخاص. لايحس به الاّمن ناله. ونسترشد في بيانه بالآيات القرآنية الكريمة، وبآراء كبار علماء التصوف فيه ونذكر هذه المقامات.
التوبة، الانابة، الزهد، القناعة، الورع، الصبر، الشكر، التوكل، التسليم، الرضا، المحاسبة، الخوف والرجاء، الفقر، الصدق، المراقبة، الاحسان، القرب، الاخلاص، الفناء، البقاء، التوحيد، التجريد، التفريد، التنزيه، العبودية.
وتعتبر التوبة اول مقام للمنقطعين الى الله سبحانه فمن المناسب ان يكون البدء بها.

## ١)- التوبة:

وهي واجبة على كل مسلم كما قال سبحانه **«وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون»** سورة النور. وقال سبحانه ايضا: **«يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا»**.

ومعنى النصوح هي التوبة التي تستقر في القلب، وتؤدي الى تغيير في السلوك نحو الطاعات ومثل الخير. قال تعالى **«ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»**.
والدليل على ان الامر هنا للوجوب هو ان الله سبحانه يصف الذين لايتوبون بانهم ظالمون قال سبحانه: **«ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون»**.

ويصف التائبين بان الله يحبهم قال تعالى **«ان الله يحب التوابين»**.
يروى عن علماء التصوف: ان التوبة هي اصل كل حال ومقام في التصوف فلا يصل مقام او حال الالمن سبقت توبته.
وللتوبة درجات ثلاث اولها التوبة قال سبحانه: **«واني لغفار لمن تاب وآمن وعَمِل**

**صالحا**. وثانيها الانابة قال تعالى: «**وجاء بقلب منيب**» وثالثها الاوبة قال سبحانه: «**نعم العبد انه اوّاب**».

فكل من تاب خوفا من العذاب وطمعا في الثواب فهو صاحب توبة، ومن تاب حياءً من ربه فهو صاحب انابة. ومن تاب اذعانا وتسليما لعظمته سبحانه فهو اوّاب.

قال ذو النون المصري[1]: **توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة**. قال عبدالله التميمي: **شتان بين تائب يتوب عن اللذات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات**. «اي حسناته هو»

قال سهل بن عبدالله: **التوبة ان لاتنسى ذنبك**.

قال الشيخ جنيد البغدادي: **التوبة ان ينسى ذنبه**.

وكل واحد منهما يشير الى حال، فسهل اشار الى احوال المريدين واما جنيد البغدادي فاشار الى توبة المحققين. لايذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم دوام ذكره سبحانه.

ويروى عن الشيخ رويم بن احمد انه كان يقول:

«**عليك التوبة من التوبة**».

ويؤول هذا القول بانه يفيد ان التائب عليه ان يستغرق في العبادة لا ان يشغل فكره وقلبه بتوبته وينسى ذكر ربه.

ونقول: ان التوبة حد فاصل وسد منيع بين سلوك التائب قبل توبته وبين سلوكه بعد توبته. وذكر البعض شروطا لها وهي:

الندم على ماعمل من المخالفات وترك الزلة في الحال، والعزم على ان لايعود الى مثل ماعمل، وتطبيق تعاليم الشرع.

قال شيخ الاسلام عبدالله الانصاري الهروي [٣٩٦-٤٨١]هـ في كتابه منازل السائرين «**ولايتم مقام التوبة الابالانتهاء الى التوبة مما دون الحق ثم رؤية علة تلك التوبة، ثم التوبة من رؤية تلك العلة**».

ومعنى ذلك ان مقام التوبة يتحقق لمن ينسى كل شيء الا الله سبحانه فليست التوبة انقطاعا عن السيئات، واتصالا بالحسنات فحسب بل تكون في النهاية كما ذكرنا.

قال ابن القيّم الجوزية (٦٩١-٧٥١)هـ تعليقا على هذا المقام[2]:

---

(١) الرسالة القشيرية ص٤٨

٢- مدارج السالكين شرح منازل السائرين ص٢٨٧

**«والذي ساقهم الى ذلك سلوك وادي الفناء في الشهود فلا يشهد مع الحق سببا ولا وسيلة ولارسما البتة».** ثم قال **«ونحن لاننكر ذوق هذا المقام وان السالك ينتهي اليه ويجد له حلاوة ووجدا ولذة لايجدها لغيره البتة، وانما يطالب اربابه والمشمرون اليه بامر وراءه وهو ان هذا هو الكمال وهو اكمل من حال من شهد افعاله ورآها ورأى تفاصيلها مشاهدا لها صادرة عنه بمشيئة الله وارادته ومعونته فشهد عبوديته مع شهود معبوده ولم يغب في شهود العبودية عن المعبود ولابشهود المعبود عن العبودية فكلاهما ناقص. والكمال ان تشهد العبودية حاصلة بمنة المعبود وفضله ومشيئته، فيجتمع لك الشهودان فان غبت باحدهما عن الاخر فالمقام مقام توبة وهل الغيبة عن العبودية الاهضم لها...؟»**

وهذا معنى فكرة التوبة عن التوبة، اي فناء العبد في ذات الحق والبقاء للحق وحده. وان ماجعل الصوفية تسلك هذا الطريق امل الوصول الى الشهود ورؤية الحق بعين البصيرة والقلب **«فلا يشهد مع الحق سببا»** ولايحتاج الى دليل لانه وصل الى المدلول ولايحتاج الى الوسيلة لانها محتاجة قبل الشهود وعين اليقين. ثم قال «ان السالكين لايقفون عند هذا الحد ولايهدأ بالهم عنده بل يستشرفون افقا اعلى وهو الكمال في معرفة الله سبحانه وهو اعلى منزلة. ويتحقق الكمال اذا شهد العبودية حاصلة بمنه وفضله سبحانه قال تعالى **«قل لاتمنوا عليَّ اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين»** «الحجرات»، وقال سبحانه **«وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»**.

واذا وصل حُبّ العبد لربّه حدّاً أنساه نفسه ولايذكر فيه الا ربّه فقد وصل مقام التوبة.

## ٢) الانابة:

ذكر الشيخ عبدالله الدهلوي في كتابه (ايضاح الطريق): **ان الانابة هي المقام الثاني بعد مقام التوبة.** ولم يعتبرها من المقامات بعضهم.

والانابة[1] هي الرجوع من الغفلة الى الذكر. وقيل ايضا هي الرجوع الى الله من كل شيء. والمنيب هو من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه.

---

(١) انظر معجم مصطلحات الصوفية ص٢٥-٢٦

وفي لغة الناس «فلان راجع» ومعناه انه رجع من سيئاته الى فعل الحسن، ومن المخلوق الى الخالق، وهذا الرجوع في التصوف يتحقق فيها اذا نسي التائب الراجع نفسه واستغرق في ذكر ربه.

وتقسم انابة العبد الى ثلاثة انواع:

انابة النفس وهي ان يخصصها لطاعة الله وانابة بالقلب وهي تخليته عما سواه، وانابة بالروح وهي دوام الذكر حتى لايذكر غيره ولايتكفأ الابه.

قال الشيخ عمر السهروردي (٥٣٩-٦٣٢)هـ:

**«المنيب الراجع عن كل شيء يشغله عن الله الى الله.. والمنيب من لم يكن له مرجع سواه».**

وقال ايضا: **«ان الانابة لاتصح الالمن حقق مقام التوبة ولاتستقيم التوبة الابصدق المجاهدة ولايصدق العبد في المجاهدة الابوجود الصبر»**

اما الشيخ عبدالله الهروي فيستشهد بالاية الكريمة **«وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون»** الزمر ٥٤. ويقول الانابة ثلاثة اشياء:

- **الرجوع الى الله من اجل سلوك الخير والندم على مابدر منه.**
- **الرجوع الى الله وفاء لربوبيته والاستقامة على هذا الوفاء.**
- **رجوع قلبي الى الله استجابةً لامره تعالى «وانيبوا».**

## ٣) الزهد:

وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم وهي في سورة يوسف قال تعالى **«وَشَرَوْه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين»**. وهي غير الزهد المقصود من مقامات التصوف.

والزهد هو الرضا بالقليل والقناعة بالموجود ويعني العزوف عن مفاتن الدنيا من المال والجاه. وهو من صفات السالك الصوفي.

والزهد بهذا المعنى لايختص بالاسلام فقد كان بين العرب زاهدون قبل الاسلام اذ نجد زهادا من امثال ورقة بن نوفل وسطيح وقس بن ساعدة ومن اتباع الديانات الاخرى ومن الاحناف من العرب الذين اتبعوا تعاليم ابراهيم عليه الصلاة والسلام.

وعرف بعض اصحاب الرسول الكريم(ﷺ) بالزهد، منهم بلال، وابو ذر وسلمان واصحاب الصفة.

وحث عليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

**«ياايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور» سورة فاطر الاية ٥**

**«وماهذه الحياة الدنيا الالهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» (العنكبوت ٦٤).**

**«المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا». «سورة الكهف ٤٦».**

وردت آيات عديدة واحاديث صحيحة تحثّ على الزهد.

ولايعني الزهد الكسل والبطالة بل يعني القناعة بالقليل والاكتفاء بالحلال والعزوف عن الحرام.

وعُرف بعض العلماء المسلمين بالزهد مثل «الشيخ الحسن البصري» «ت١١٠هـ» والشيخ ابراهيم الادهم ت ١٦١ والشيخ داود الطائي (ت ١٦٥) وفضيل بن عياض (ت١٨٧) وشقيق البلخي (ت١٩٤) وكثيرين من غيرهم.

قال النبي (ﷺ) **اِزْهَدْ في الدنيا يحبك الله وازهد مافي ايدي الناس يحبوك**. رواه ابن ماجة.

قال الامام علي **«الزهد ان لاتبالي مَنْ اكل الدنيا من مؤمن او كافر».**

قال الجنيد البغدادي **«الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب».**

قال ابو سليمان الداراني: **الزهد ترك مايشغل عن الله.**

**قال** السري السقطي: **لايطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولايطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه.**

قال يحيى بن معاذ: **لايبلغ احد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعِزّ بلا رياسة.**

قال بشر الحافي: **الزهد مُلكٌ لايسكن الا في قلب مخلى.**

قال السقطي: **الزهد ان لاتأخذ من احد شيئا، ولاتسل احدا شيئا، ولايكن معك وتعطي منه احدا شيئا.**

قال جنيد البغدادي ايضا: **الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبّع.**

وفي الزهد اقوال لايتسع لها الإكتّاب مستقل.

وقال الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين:

**ان المرء الذي يكره الدنيا فانه يفكرّ في هذه الكراهية. اما الذي يحب الدنيا فان قلبه متعلق بهذا الحب. والزهد ان يكون فكرك فيه سبحانه**.(وهذا من قبيل التوبة عن التوبة).

ويتوضح لنا مما سبق ان الزهد هو تطهير القلب عن التعلق بالدنيا ومفاتنها من المال والجاه لان القلب عند الصوفية محل حب الله وحده. ومن اراد ان يستقر نوره في قلبه فعليه ان يبعد عنه ما سواه.[1]

وليس معنى ذلك ان الكسب حرام، بل لك ان تكسب المال الحلال دون ان تربط قلبك به او تشعر بالمذلة بسبب الفقر فالفقر احد درجات الزهد والزهد احد مقامات التصوف بعد التوبة.

قال ابن عجيبة وهو احد كبار علماء التصوف:

**زهد المسلمين هو الاكتفاء بما يسد الرمق اما زهد الصالحين منهم فهو الابتعاد عن كل شيء يبعدك عن الله اما زهد العارفين فهو اخراج ماسوى الله من قلبك. وذكره سبحانه ليلا ونهارا دون غفلة**. ومثل هذا الزهد يوصل العبد الى مراده.

## ٤)- الورع:

وهو التجنب عن كل معصية والتحقق في الحرام والحلال لا للتوقي من الحرام فقط بل **للتوقي** من كل امر فيه شَبَه الحرام.

ولايقتصر ميدانه على امور المعيشة بل يشمل التدخل فيما لايعنيه او الافتاء دون فقه او علم.

وفي الحديث النبوي الصحيح: **من حُسْنِ اسلام المرء تركه مالايعنيه. ملاك دينكم الورع**.[2]

---

(١) انظر عوارف المعارف للسهروردي. وقوت القلوب لأبي طالب المكي، والرسالة القشيرية. في موضوع الزهد.

(٢) اللمع ص٧٠.

كن ورعا تكن اعبد الناس.[1]
دع مايريبك الى مالايريبك.
قال ابو بكر الصديق: كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام[2]
جاء في التعريفات للجرجاني: [3]
الورع ترك الشبهات مخافة الوقوع في الحرام.
وقيل: الورع هو ان لايتكلم العبد الا بالحق غضب او رضي، وان يكون اهتمامه بما يرضي الله وان اهل الورع على ثلاث طبقات: منهم من تورع عن الشبهات وهي مابين الحلال البين والحرام البين. ومنهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ويحيك في صدره عند تناولها، وهذا لايعرفه الا ارباب القلوب والمتحققون. واما الطبقة الثالثة في الورع فهم: العارفون والواجدون.
قال ابراهيم الادهم: الورع ترك الشبهات وكل مالايعنيك.
قال الشيخ معروف الكرخي: احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم[4]
وفي الحديث النبوي الصحيح «ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما امور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا ان لكل مَلِكٍ حمى الا وان حمى الله محارمه» صحيح البخاري.
قال سفيان الثوري: ليس شيء اسهل من الورع وهو ان تترك كل امر تتردد فيه
واتضح مما سبق: ان الورع الصوفي مستمد من السنة النبوية الصحيحة. يستقيم عليه رجال التصوف حتى يصبح خُلقاً راسخا في سلوكهم ومقاما من مقاماتهم.
وقد يبلغ بهم الورع حدا يتسترون به على كراماتهم وكشوفاتهم الروحية مخافة تسلل الغرور الشيطاني الى داخل ذواتهم. وهذا هو المقصود بقولهم «لاكرامة الاّلحكمة». اي لايجوز اظهار الكرامة الاّ لحكمة.
قال ابو طالب المكي:
قال بعض الصوفية: من احبّ ان يعرف ورعه غير الله سبحانه فليس من الله في شيء.

---

(١) القشيرية ص٥٣.
(٢) القشيرية ص٥٣.
(٣) انظر معجم مصطلحات الصوفية ص٢٦٦.
(٤) القشيرية ص٥٤.

## ٥)- القناعة :

وهي الاكتفاء بالقوت الضروري، والاختصار على مالابد منه من الملبوس والمفروش والمأكول، وايثار القليل عل الكثير. قال ابو هريرة: قال رسول الله ﷺ يوما: **يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار**.[١] روي عن النبي ﷺ انه قال: **القناعة كنز لايفنى**.

قال ابو عبدالله بن خفيف: **القناعة ترك التشوف الى المفقود والاستغناء بالموجود**. وقال محمد بن علي الترمذي: **القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق**[٢] والقناعة ليست بمقام مستقل عند بعضهم بل هي مقدمة لمقام الرضا كما ان الورع مقدمة لمقام الزهد.

وقالوا: ان القناعة نقيض الحرص. والحرص هو التهالك على جمع المال من كل وعاء ليلا ونهارا والقناعة هي الاستغناء بما منح الله والعمل بما يَسَّرَ الله لاستقامة الحياة.
ومن لم يكن قانعا بماليده، لم يتبع سنة النبي(ﷺ) ومن لم يتبع السنة النبوية لايبلغ مقام الولاية.

والقناعة اراحة للنفس: اذا ملكها المرء ارتاح في الدنيا من اول خطوة ولم ينظر الى ماعند الناس مهما ملك وملكوا. وان لم يملكها المرء اتعبته الهموم، حتى يموت ويترك كل شيء ولذلك قيل: «فقير كلّ ذي حرص، غني كلّ من يقنع»

## ٦) - الصبر :

وهو الرضا بمكاره الدنيا ومصائبها وحبس النفس عن الشكوى منها. وليس من السّهل ان يرضى المرء بالبلوى في حال الابتلاء وان يقول «ماجاء من الله فهو خير». ولكن رجال التصوف يتجاوزون هذا المعنى فلا يفرقون بين البلاء والنعمة وكلاهما من الله سبحانه فيستقبلونهما بنفس القدر من طيب النفس ويشكرون الله سبحانه على كل

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية ص٢١٩
(٢) القشيرية ص٧٥

نعمة صغيرة او كبيرة وقد مدح الله الصابرين وذكرهم في كتابه الكريم فقال:

**انما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب.**

**اولئك يؤتون اجرهم مرّتين بما صبروا.**

**واصبر ان الله مع الصابرين.**

**«والعصر ان الانسان لفي خسر، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»**

وكثيرا ما يأتي الصبر والتقوى معا في القرآن الكريم»

**«وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور»**

**«والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون»**

وعظمة مقام الصبر تعود الى انه لله وحده لالغيره كما انه تحمّلٌ للمكاره. ومعظم رجال التصوف الكبار يرون ان مقام الصبر اعلى من مقام الشكر ذلك ان الصبر حال البلاء اما الشكر فهي حال النعمة ولاشك ان تحمّل المكاره اشد من تحقيق الشكر مقابل النعم، ولذا قال سبحانه وتعالى «**اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا**» ولم ترق درجة الشكر الى حد (مرتين). وكذلك قال سبحانه «**انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب.**

ونرى في الناحية الثانية ان الله سبحانه وتعالى يشرك عباده من الوالدين في الشكر فقال «**ان اشكر لي ولوالديك**» اما بالنسبة للصبر فقال «**ولربّك فاصبر**» «**واصبر لحكم ربك**»

ومن دلائل عظمة مقام الصبر انه مقام اولي العزم من الرسل قال سبحانه وتعالى «**فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل**».

وفي اكثر من تسعين موضعا في القرآن الكريم ياتى وصف الصابرين وخلق الصبر تعليما لعباده وسلوكا لهم يروي عطاء عن ابن عباس انه قال: **مرَّ الرسول ﷺ بجماعة من اصحابه كان من بينهم عمر رضي الله عنه فقال لهم:**

**هل انتم مؤمنون حقا؟**

**قال عمر: نعم يارسول الله.**

**قال(ﷺ): ماهي علامة ذلك؟**

**قال عمر: نشكر الله على النِعَم، ونصبر على البلاء، ونرضى بقضاء الله ...**

**قال رسول الله ﷺ:**
**والله انكم مؤمنون حقا.**
**قال** ابو طالب المكي في قوت القلوب «ص٤٠٧ جـ١»
**«وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين: فمن كان مقامه الصبر كان حاله الشكر عليه فهو افضل لانه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر كان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه، فقد صار الصبر مزيدا للشاكر في مقامه»** ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقال ابو طالب المكي ايضا «الصابر العارف افضل من الشاكر العارف لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكأنه قد فضل الغنى على الفقر وليس هذا مذهب احد من القدماء.

ولاشك ان كبار رجال التصوف يجوزون هذا المقام الكبير فلا تهزهم نكبات الدنيا وان صعبت، ولا تُضعف ارادتهم مغريات الحياة اذ اصبح الصبر خلقا دائما وملكةً لهم فلا يتغيرون بتغيرات احوال الدنيا.

قال ذو النون المصري: **الصبر هو التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة.** وقال الجرجاني في شرح رياض الصالحين **«الصبر هو ترك الشكوى من الم البلوى لغير الله».**

## ٧ ـ الشكر:

اظهار الرضا بِنِعَمِه سبحانه وجريان اللسان بالذكر والثناء عليه سبحانه

**والشكر** مقام آخر من مقامات التصوف. وهذه المقامات هي مستمدة من آيات الله **سبحانه** **اومن** السنة المطهرة وهي معالم لسلوك المؤمنين. ولكنها ترقى الى منزلة خاصة في التصوف بحيث تصبح هذه الأوصاف والمقامات سجايا واخلاقا وملكات دائمة يتمتع بها قلب الصوفي المؤمن.

وقد جاءت ايات كريمة في حق الشكر ووصف الله سبحانه نفسه بالشاكر مقابل الاعمال الصالحة لعباده فقال تعالى **«ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم»** (البقرة ١٥٨) وفي سورة النساء ١٤٧ قال تعالى **«وكان الله شاكراً عليما»** وطلب سبحانه من عباده شكره فقال **«اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور»** سبأ ١٣» وقال **«فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولاتكفرون»** وقد خص سبحانه وتعالى الشاكرين بجزاء وفير فقال **«وسنجزي الشاكرين»** وقال سبحانه «. **لئن شكرتم لازيدنكم»**

**«سورة ابراهيم٧»** وقال سبحانه **«ومن يشكر فانما يشكر لنفسه»** القمر. ثم يخبرنا سبحانه بان النعم كلها لطف من الله سبحانه لاسيما نعمة الايمان والاسلام فيقول سبحانه **«ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم»** الحجرات٧. وهذه نعمة كبيرة قال سبحانه **«فضلا من الله ونعمة»** ثم قال سبحانه

**«يمنون عليك ان اسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين»**.

قال سبحانه **«ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكّى منكم من احد ابدا»** النور٢١
وقال ايضا **«ومابكم من نعمة فمن الله»** سورة النحل ٥٣
وفي سورة والضحى **«وأما بنعمة ربك فحدث»**

فعليك الاعتراف بنعم الله عليك وشكره سبحانه عليها لا ان تولّي وجهك، وتخرس لسانك وقد امر الله سبحانه بحمده وشكره على نِعَمه ومَدَحَ الشاكرين من عباده قال سبحانه في حق سيدنا ابراهيم في سورة النحل ١٢٠-١٢١ **«لم يك من المشركين، شاكرا لأنْعُمِه»** وقال في حق نوح **«انه كان عبدا شكورا»**

فما هو الشكر لغة؟ وماهو الشكر في مصطلح الصوفية؟
الشكر لغة: الثناء على الجميل «عرفان الجميل»،
الشكر عند الصوفية له معنى اعمق وهو، شكر اللسان وشكر الاركان وشكر الجنان. ولكل نعمة شكر خاص عند المتصوفين وليس الشكر عندهم مجرد القول «اشكرك يارب» فشكر اللسان، هو ان نذكر الله به وان لاتقول الا الخير، وشكر الاركان، هو ان تستعملها لكسب الحلال ولعبادة الله سبحانه ولاتخطو بها خطوة الى مانهى الله عنه.

وشكر الجنان ان تذكر الله بقلبك وان لايكون فيه غيره سبحانه، وكذلك شكر المال هو صرفه في طريقه سبحانه.
يقول اهل التصوف: ان الكلمة الاولى في القرآن الكريم هي الحمدلله ليعلمنا كيف نحمده سبحانه ونثني عليه بصفاته **«الرحمن الرحيم مالك يوم الدين»**
ومن افضل النعم عند العلماء نعمة الاسلام ذلك انه هدايةُ من الله سبحانه ولطف منه.

وكذلك يرى اَعلام التصوف ان الشكر نفسه يحتاج الى شكر، ذلك ان الشكر يستوجب الخير والبركة **«لئن شكرتم لازيدنكم»** وفي هذا خير ونعمة تستحق الشكر وروي **«ان افضل الذكر لااله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله»**

**قال القشيري: شكر البدن هو استخدام الجوارح في سبيل رضوانه وحده سبحانه، واستغراق القلب في ذكر الله سبحانه وحده، واستخدام اللسان في الحمد والثناء له سبحانه وحده وصرف المال في سبيل الخير ومصالح المسلمين.**

قال ابو طالب المكي: **الشكر هو الاعتراف بان النعم كلها من الله سبحانه**
ويقول ابو عثمان وهو من اعلام التصوف:

**شكر العامة على المطعم والملبس، وشكر الخواص على مايَرِدُ على قلوبهم من المعاني.**

## ٨) - التوكل

وهو مقام آخر من مقامات التصوف يحتل منزلة كبيرة خاصة عندهم. سُئل ابراهيم الخواص وهو احد اعلام التصوف:
**الى اي شيء قادك التصوف؟**
**فقال: الى التوكل.**

والتوكل هو تفويض الامر الى شخص، والمقصود هنا هو ان يصل المرء بعبادته وحُبّه لربه ومعرفته له سبحانه الى قناعة تجعله يُسلّم امره في دينه ودنياه لربه فلا يعتمد الاعليه. ومعلوم ان المرء لايصل بسهولة الى هذه القناعة التي تجعله امام ربه كالميت بين يدي الغاسل اوكالمريض بين يدي طبيبه.

قال سبحانه **«ومن يتوكل على الله فهو حسبه»** سورة الطلاق ٣ وقد بين الله سبحانه ان التوكل من صفات المؤمنين فقال في محكم كتابه العزيز **«وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين»** سورة المائدة٢٣

ومن ثمرة التوكل ان المرء المتوكل يكون حبيب الله سبحانه **«ان الله يُحبّ المتوكلين»** سورة آل عمران ١٥٩
**ولكن ماهو التوكل؟**

**هل يعني التوكل العزوف عن مباشرة الاسباب كأن يمتنع عن مراجعة الطبيب مثلا اعتمادا على الله وحده في الشفاء؟**

كلا، ليس في الاسلام كتاب او سنة اوسيرة للسلف يقرّ ذلك المعنى للتوكل، فاذا مرض المسلم فعليه البحث عن الاسباب لشفائه وهي الطبيب والدواء، ولكنه يجب ان

يؤمن بأن الشفاء بيد الله سبحانه لابيد الطبيب، وكذلك يعمل المسلم في مزرعته ولكنه يؤمن بان الرازق هو الله سبحانه. فاذا استقر في قلبك مثل هذا الايمان سلّمت امرك بيده متوكلا عليه سبحانه فلا تيأس لمعضلة نزلت ولا تغترّ بمكاسب حصلت. كثيرا مانقول: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولاقوة الابالله. فان تأمّلنا في معانيها، وصدقنا بما فيها فانه يكفي لنكون عارفين مؤمنين ومن اهل التصوف. ان كلمة «بسم الله» تعنى اني ابدأ عملي بسم الله ويتضمن اعترافا بعبوديته واقرارا بربوبية خالقه وكذلك «توكلت على الله» «ولا حول ولاقوة الابالله».

وقد عد بعض العارفين للتوكل ثلاث مراتب:

**فالاولى** وهي ادناها: ان تكون مع الله كالموكل مع الوكيل الشفيق الملاطف **والثانية** وهي اوسطها: ان تكون مع الله كالطفل مع امه لايرجع في جميع اموره الا اليها.
**والثالثة** وهي اعلاها: ان تكون مع الله تعالى كالمريض بين يدي الطبيب.
فالتوكل عبارة عن الاخذ بالاسباب مع الاقتناع بانها لاتضر ولاتنفع الاباذنه سبحانه.

وقال العارف بالله ابن عجيبة رضي الله عنه **«التوكل ثقة القلب بالله حتى لايعتمد على شيء سواه، او التعلق بالله والتعويل عليه في كل شيء علما بانه عالم بكل شيء وان تكون في يد الله اوثق منك بما في يدك»**

وقال القشيري رحمه الله **«التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لاتنافي التوكل بالقلب بعد ماتحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى وان تعسَّر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره»**.

وقد روى الترمذي انه جاء رجل الى رسول الله على ناقة له فقال: **يارسول الله أأرسل ناقتي واتوكل؟ فقال** ﷺ:
**«اعقلها وتوكل»**.
قال القشيري: **التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في ايدي الناس.**
وقال ابو علي الدقاق: **التوكل ثلاث درجات التوكل تم التسليم ثم التفويض والتوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الاولياء،والتفويض صفة الموحّدين.**
وقال سهل بن عبدالله: **على المتوكل ثلاثة واجبات: ان لايطلب شيئا من احد ولايمتنع عن قبول شيء من احد وان لايُبقي شيئا لغده.**

وباختصار اقول: ان ثمرة التوكل هي الطمأنينة والسعادة حيث يؤمن المتوكل بان الله سبحانه مطلع على حاله وهو الرازق الشافي وهو ارحم الراحمين، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لذا يلجأ الى الاسباب دون ان يعتقد بانها المؤثرة الحقيقية، فالله هو خالق الاسباب. فالتوكل مبعث السعادة والرضا والشجاعة والرجولة فلا يخضع لاحد خضوع المذلة والاستكانة ولايستعين الابربّه. ومع انه يأخذ بالاسباب في الظاهر الا ان قلبه متعلق بربه وحده. ولايطلب شيئا لنفسه من ربه لانه يؤمن بان الله مطلع على حاله.

واود ان استشهدببيتين من قصيدة لي هما من قطوف هذه الثمرة لاختم بهما موضوع التوكل، وترجمتهما:

**في لطفك اطمع لافي الكنز والدرر**<br>
**سيان في لطفك ان اكون في الفقر او الخير**<br>
**ما الذي اطلب ان لم اتبيّن ماهو الافضل؟**<br>
**فليكن لي«ربي»ماهو الاحسن، واكون كذلك ربيّ**

**٩) - التسليم:**

وهو الانقياد لامر الله تعالى، وترك الاعتراض فيما لايلائم، وقيل هو الثبات عند نزول البلاء من غير تغيير في الظاهر والباطن.

قال سبحانه وتعالى «**ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما**» سورة الاحزاب٢٢.

فالتسليم يأتي بعد الايمان ويعني ان تُسلّم نفسك لمن تؤمن به. ومَثَله كمن يقتنع بحذاقة طبيب فيسلم نفسه اليه حتى اذا اخذ مبضعه وشق بطنه بعد تخديره فلا ينطق بشكوى ضدّه في حالة مرضه بل يشكره على حسن صنيعه.

قال السري السقطي: **ثلاثة يتبين بهن اليقين: القيام بالحق في مواطن المهلكة، والتسليم لامر الله عند نزول البلاء، والرضا بالقضاء عند زوال النعمة.**

وربط صاحب قوت القلوب(١) بين التوكل والتسليم وللتوكل عنده ثلاث درجات:

---

(١)قوت القلوب (٢)قوت القلوب ج٢ص٧٣.

اعلاها من توكل عليه للاجلال والتعظيم، واوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف، وادناها من توكل عليه تسليما له وتحببا اليه. وقال: قد يكون الخيرة فيما لايعلم العبد وقد يكون فيما يكره مما يعلم الله سبحانه حسن عاقبته، فعليه التسليم لحكم الحاكم والرضا بقسم القاسم. قال تعالى.. **«كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبّوا شيئا وهو شرلكم والله يعلم وانتم لاتعلمون» سورة البقرة.**

وهو مقام ادخله ابو طالب المكي في مقام التوكل وكذلك الشيخ ابو نصر السراج. اما الشيخ احمد الفاروقي المعروف بالمجدد للالف الثاني (٩٧١-١٠٣٤) في مكتوباته والشيخ عبدالله الدهلوي[1] مرشد مولانا خالد النقشبندي، فيذكرون عشرة مقامات منها التسليم، وكذلك الملا حامد البيساراني (١٢٢٥-١٣١٠). وجاء في كتاب القدسية للشيخ محمد بهاء الدين البخاري الملقب بالنقشبند: **ان التسليم هو ادب الصوفي مع مرشده قبل كل شيء بمعنى ان يسلم امره بيد مرشده حتى يتعلم طريقه ثم يبلغ مقام التسليم لربه، وحينذاك ينال مقام العبادة والتسليم.**

## ١٠ ـ الرضا:

قال صاحب اللمع: **ان الرضا مقام شريف.**

قال القشيري في كتابه الرسالة القشيرية:

**وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال او من المقامات فأهل خراسان قالوا الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه انه يؤول الى انه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه واما العراقيون فانهم قالوا الرضا من جملة الاحوال وليس ذلك كسبا للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الاحوال. ويمكن الجمع بين اللسانين فيقال بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الاحوال وليست بمكتسبة.**

وباختصار اقول: الرضا هو السرور ورضا القلب بما يحصل ورضوان الله هو الرضا من عمل عبده فيحل النور في قلبه وتتنزل البركات عليه، اما رضا العبد فهو السكون

---

(١) ايضاح الطريق.

والاطمئنان بما يصيبه

وليس في هذا مايخالف الشرع، فان الله سبحانه يجازي عباده بقوله «**رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم**» «المائدة ۱۱۹» ومعنى ذلك ان هذا العابد المؤمن فاز بمقام الرضا وهو فوز عظيم

ومع ان هذا الجزاء في الجنة الا انه من عمل الدنيا

وقال سبحانه وتعالى «**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**» البقرة (۲۰۷) وكل ذلك لتحقيق رضوان الله سبحانه.

والرضا هو ان يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله عز وجل[1]. سئل الجنيد رحمه الله عن الرضا فقال: **الرضا رفع الاختيار**

وقال القناد رحمه الله: **الرضا سكون القلب بمُرّ القضاء.**

وجاء في الرسالة القشيرية ان الرضا اخراج الكراهية من القلب حتى لايكون فيه الاّفرحٌ وسرور.

وقال ابن خفيف: **الرضا سكون القلب الى احكامه وموافقة القلب بمارضي الله به واختاره.**

وقال ابن عطاء رحمه الله: **الرضا نظر القلب الى قديم اختيار الله تعالى للعبد؛ لانه يعلم انه اختار له الافضل فيرضى به ويترك السخط.**

وقال تعالى «**وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شرلكم**» وقال ايضا «**فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**» **النساء۱۹**

ولذلك نرى ان مقام الرضا من المقامات القلبية العالية فاذا ماارتاض الجسد والروح بالعبادات وتطهر القلب من الكدورات النفسية والجسدية يتزين قلبه بالخصال الحميدة فيجلس في مقام الرضا راضيا مطمئنا.

وعند معظم اعلام التصوف كالسراج والقشيري والسهروردي البغدادي ان مقام الرضا اخر درجات المقامات لذا ينتهون عندها في مباحثهم وينتقلون بعدها الى مباحث الاحوال. وهم يقولون: ان مقام الرضا اكبر من مقام الصبر ذلك ان المرء عندما يبلغ

---

(۱) اللمع ص۸۰

مقام الرضا يستقبل كل مكروه بالسرور ويعتبره خيرا اتاه من ربه، حتى الموت، الاترى ان بلالا الحبشي رضي اللهعنه ضحك عند استقبال الموت وقال: **سألقى حبيبي محمدا ﷺ وكل الاحباب في الجنة.**

وقد نصح الرسول (ﷺ) اصحابه مرات بالرضا بقضاء الله.

قال ابو على الدقاق: **ليس الرضا ان لاتحس بالبلاء، انما الرضا ان لاتعترض على حكم القضاء.**

**والحقيقة ان مَنْ مَلَكَ حب الله شغاف قلبه كيف لايرضى بما قضاه الله وقدره.**

**وهذا لايعني ان العبد لايعمل او لايرجو ربه داعيا ابعاد البلاء عنه فالله سبحانه قال: «ادعوني استجب لكم»** سورة غافر٦٠

وقال: **«هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه»** الملك ١٥

فلك الحق ان تدعو ربك لينزل رحمته عليك ويبعد المصيبة في طريقك، ولك الحق في ان تكسب وتكد وتعمل في حدود الشرع، ولك الحق في الدفاع عن كسبك وعن عرضك.

وان حياة الرسول العظيم ﷺ هي المثال والاُسوة الحسنة لنا في كل عمل وكل سلوك فقد جاهد لنشر رسالة الاسلام حتى رُمي بالحجارة في الطائف واُدميت رجله الشريفة وقد توفي اولاده القاسم وابراهيم واستُشهد عمّه حمزة بيد المشركين، ومع ذلك كان يقول ﷺ في دعائه **ان لم تكن ساخطا عليَّ فلا ابالي.**

واقول ان الرضا من اكبر مقامات التصوف وهومقام صاحب الولاية الكبرى واخر درجات النفس المطهرة ومعلوم ان النفس تكون لوامة ثم مُلهَمَة ثم مطمئنّة ثم راضية وفي الاخيرة مرضية.

قال تعالى **«ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية»** «سورة الفجر»

## (١١)- المحاسبة:

المحاسبة، لوم النفس وعتابها، وموازنة التصرفات والاقوال بميزان الشريعة والتساؤل حين مراجعة الذات حول مايعمل ليكون السالك على بينة. ذلك ان النفس امارة بالسوء ولولا كبح جماحها لضل المرء وانتهى امره.

ويدل على ذلك قوله تعالى «**ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغدٍ واتقوا الله ان اللهخبير بما تعملون**» سورة الحشر ١٨

وواضح ان تربية النفس على مراجعة الذات، والتصرفات اليومية تعود المرء على السمو وللصوفية مدرسة سامية في هذا المجال. ولمجاهدتهم في محاربة الهوى اثر فيما احتلّوه من المنزلة الروحية عند ربهم.

## ١٢- الخوف والرجاء:

يتردد الخوف والرجاء بين الحال والمقام في علم التصوف. منهم من جعله من المقامات ومنهم من جعله من الاحوال. ومن الثابت في التصوف ان الحال قد تستقر مقاما.

والخوف يتأصل في القرآن الكريم والسنة النبوية: قال سبحانه «**ويرجون رحمته ويخافون عذابه**» الاسراء ٥٧. كما قال تعالى «**يدعون ربهم خوفا وطمعا**» السجدة١٦ وقال تعالى «**انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رَغَبا ورَهَبا وكانوا لنا خاشعين**» «الانبياء٩٠» فعلى المسلم ان يخشى ربه في الوقت الذي لايجوز له الياس من رحمته قال سبحانه وتعالى «**لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم**» الزمر ٥٣.

ولكن الأمل لايقطع الخوف بل لابد من ان يكون اضعاف الرجاء. وان خوف الصوفي اشد لانه يعلم الدين عين اليقين قال تعالى «**انما يخشى الله من عباده العلماء**». ومعلوم ان الرسول (ﷺ) كان اخشاهم من ربه لانه اعلمهم به جل وعلا. قال (ﷺ): **شيبتني هود واخواتها لان في هذه السور كثيرا من الوعيد، «الابُعداً لثمود، الابُعداً لعاد قوم هود، الابُعداً لمدين كما بعدت ثمود»** . فالحالتان ضروريتان، - الخوف والرجاء.

قال سهل بن عبدالله: **ان الخوف والرجاء كالذكر والانثى لايثمران الا بالتقائهما فان التقيا كانت التقوى. والتقوى تثمر اليقين.**

وفي القرآن الكريم آيات تحضّ على الخوف،قال تعالى « **وخافونِ ان كنتم مؤمنين**» آل عمران١٧٥ وقال تعالى «**وَايّاي فارهبون**» البقرة ٤٠. وقال سبحانه «**وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**» الاعراف ١٥٤.

وروي عن الرسول (ﷺ) قال: **انا اَخْوَفكم لله تعالى.**

وقيل ان الخوف هو الحياء من المعاصي والمناهي والتألم منها.

ومن اقوال اعلام التصوف: ان المرء عليه ان يُحذّر من نفسه اكثر من عدوه. وعليه ان يخاف من ربه وحده قال تعالى.. **«فلا تخافوهم وخافونِ ان كنتم مؤمنين»** آل عمران ١٧٥.

وليس الخوف بالقول ولابسكب الدموع بل هو كما قال اعلام من التصوف: امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه. ومن خاف ربه اتبع الشرع واتصف بالورع وكان من المتقين.

وهو من اخلاق الصوفية وسجاياهم.

قال ابو سليمان الداراني: **مافارق الخوف قلبا الآّ خرب.**[1]

قال ابن عجيبة: **للخوف ثلاث درجات: اولاها للمسلمين الذين يخافون عقابه سبحانه، والثانية للمسلمين الذين يخافون عتابه سبحانه والحرمان من قربه. والثالثة للخواص الذين يخافون من الحرمان من النظر اليه يوم القيامة ويخافون ان يعدوا ممن اساؤا الادب.**

وان هذا الخوف يمزجه الرجاء ولايتذوق آثاره المعنوية الامن سار على درب جهاد الاولياء الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه.

وللتوسع في هذا المقام يراجع كتاب قوت القلوب والرسالة القشيرية واحياء علوم الدين وغيرها من امهات كتب التصوف.

اما الرجاء فقد ورد ايضا في القرآن الكريم:

قال سبحانه **«قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم»**الزمر٥٣.

وقال سبحانه ايضا **«ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم»**البقرة٢١٨.

والرجاء يختلف عن التمني، اذ الراجي هو الذي يأخذ باسباب الطاعة طالبا من الله الرضا والقبول،بينما يترك المتمني الاسباب والمجاهدات ثم ينتظر من الله الاجر

---

(١) قوت القلوب ص٤٦٥

والمثوبة. وهذا مفهوم من قوله تعالى «**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا**» الكهف١١٠. ولهذا يقف رجال التصوف كثيرا عند الخوف والرجاء حتى يصبحا خُلقين ثابتين.[1]

ومن اقوالهم: من اراد ان يسلك طريقنا عليه ان يكون صاحب الخوف والرجاء بحيث لايطغى خوفه على رجائه فييأس ولايؤدي به الرجاء الى ان تقوده نفسه الى مزالق الهوى. بل عليه ان يحلق بجناح الخوف والرجاء حتى يصل الى قمة جبل اليقين ويحوز رضوانه سبحانه.[2]

## ١٣- الفقر:

مقامٌ آخر من مقامات التصوف ولايعني الفقر المادي فحسب، بل العبد هو فقير الى الله سبحانه وان كثر ماله، فكما ان المحتاج ينظر الى الغني لمساعدته في عوزه كذلك الفقير الى الله يرفع اكف الضراعة اليه طالبا رحمته وعونه. قال سبحانه وتعالى «**ياايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد**» سورة فاطر ١٥. وقال تعالى «**والله الغني وانتم الفقراء**» سورة محمد ٣٨.

فان لم يعتبر المسلم نفسه فقيرا اليه فقد خالف تعاليم دينه وعلى المسلم ان يفتخر بالفقر لا ان يشعر بالمهانة في فقره ويطلب الغنى من اجله، وعليه ان يسعى لتأمين حياته دون المغالاة في سعيه ويحظى هذا الخُلق بثناء المنطق والعقل وبترويج قوانين هذا العصر المتميز بسيادة الاتجاه الاجتماعي في توزيع الثروة بشكل عادل في ظل فُرصٍ متساوية للعاملين في المجتمع. وفي الحقيقة والواقع نحن جميعا عباد الله لايفضل احد احدا الابقدر تقواه كما قال سبحانه وتعالى «**ان اكرمكم عندالله اتقاكم**» وليس للغنى اثر في مقياس الاكرمية والافضلية فمن الممكن ان يكون احدنا اغنى مالا، واكثر اولادا، واحسن صوتا ولكن لايجوز له ان يغتر او يتكبر، بل عليه ان يشكر ربه على نعمه حتى يتجمل غناه بتقواه ويحبه الناس. لذا لايسعى رجال التصوف للغِنىٰ، وان منحهم الله

---

(١) الرسالة القشيرية ص٦٠.
(٢) انظر حقائق عن التصوف.

الثروة والاموال بقوا فقراء في انفسهم يكسبون الحلال بيد وينفقونه باليد الاخرى على منافع المسلمين حتى انهم يفضلون الفقر على المال كما روي عن الرسول (ﷺ): **الفقر فخري**. وقد سُمّي المتصوفة اصلا بالفقراء، لانهم لم يسعوا الى المال فان اتاهم خير انفقوه ولم يمسكوا به.

جاء في كتاب معجم مصطلحات الصوفية:

**الفقر مقام شريف، وسمي الصوفية فقراء لتخليهم عن الاملاك وحقيقته ان لايستغني العبد الابالله ورسمه عدم الاسباب كلها، والفقير نعته السكون عند العدم، والبذل والايثار عند الوجود.**

وفي الرسالة القشيرية ص١٢٣: **نعت الفقير ثلاثة اشياء، حفظ سرّه، واداء فرضه، وصيانة فقره**. وقال ابو بكر المصري، وقد سئل عن الفقير الصادق فقال: **الذي يملك ولايميل.**

قال ابو عبدالله الحصري: **مكث ابو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء وهو صائم**. والحقيقة ان تاريخ رجال التصوف حافل بنماذج مضيئة في هذا النوع من الايثار وانهم لم يكونوا ضد الكسب الحلال ولكن ضد جمع المال وضمّه الى بعضه. وكل من حظي بهذه الصفة كان له هذا المقام وهو مستمد من تعاليم القرآن والسنة المطهرة قال سبحانه وتعالى في سورة التوبة ٣٤، ٣٥ **[[والذين يكنزون الذهب والفضةولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم. يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون]]** كما قال تعالى **«تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ولافسادا والعاقبة للمتقين»** القصص ٨٣. وقال رسول (ﷺ) **«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»** وقال (ﷺ) **«حب الدنيا رأس كل خطيئة»**.

ان هذه النصائح هي مصدر السلوك الصوفي فالفقر عندهم اطيب واشرف فان اعطاهم الله سبحانه مالا، او اتاهم من ميراث او عمل فلن يتعلق به قلبهم ولن يجعلوا جمع المال هدفهم بل ينفقونه في سبيل الله في صلاح الاهل والولد وفي عون الفقراء وان حرموا من المال لايسألون الناس.

ونختم حديثنا عن الفقر بنصيحة للنبي الى اصحابه:

**«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله».**

## ١٤ - الصّدق:

هواستواء السِّر والعلانية وذلك بالاستقامة مع الله تعالى ظاهرا وباطنا وتلك الاستقامة بان لايخطر بباله اِلّاالله فمن اتصف بهذا الوصف، اي استوى عنده الجهر والسر وترك ملاحظة الخلق بدوام مشاهدة الحق يسمى «صدّيقا»(١)

والصديقية درجة عالية تأتي بعد النبوة وهي للاولياء. وقد تأسس هذا المقام على ست درجات: الاسلام، الايمان، الصّلاح، الاحسان، الشهادة، المعرفة، وهي خلاصة مقام **«مَنْ عَرَفَ نفسه عَرَفَ ربّه»** فمن حاز هذا المقام فقد بلغ علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وزال امامه حجب اليقين. والصدق نقيض الكذب.

ولابد ان يتحقق الصدق في العمل وفي الضمير وفي القول، فاذا وعدت بشيء فعليك الوفاء بما وعدت والاّ لم تكن صادقا بل كاذبا، وقد ذكر القرآن الصدق في مواضع كثيرة وذكر ايضا «مدخل الصدق» «مخرج الصدق» «مقعد الصدق»، «ولسان الصدق» «وقدم الصدق». قال تعالى: **«وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق»** وذكر تعالى على لسان ابراهيم **«واجعل لي لسان صدق في الاخرين»** وقال تعالى **«وبشر الذين آمنوا اَنّ لهم قدم صدق عند ربهم»** وقال ايضا **«ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»**.

وجعل الله سبحانه الصدق من اوصاف عباده الصالحين فقال تعالى: **«اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون»** «البقرة ١٧٧» وقال سبحانه **«والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون»** ومدح سبحانه الصادقين في سورة الحجرات الاية ١٥ **«انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون»**.

في سورة الحشر ١٨ **«وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون»** وقال سبحانه في سورة آل عمران الاية ١٧ في معرض اوصاف احباب الله سبحانه **«الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار»**

وان سيدنا ابابكر حاز مقام الصديقية فكان الصديق، والانبياء حازوا هذا المقام فوق نبوتهم قال تعالى في سورة مريم الابة ٤١

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية ص١٥٠

**«واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا» «واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا»** الاية ٥٦.

وفي سورة يوسف ٤٦ **«يوسف ايُّها الصديق»** وقال سبحانه **«هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون»** سورة ياسين.

وقال سبحانه في سورة المائدة بحق ام عيسى **«وأمهُّ صديقة»** وقال في سورة النساء **«ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا»**.

والمقصود هنا ان مقام الصدق مقام كبير وشريف يتحقق بالعبادة الصادقة، وبعد اجتياز امتحانات صعبة في الحياة ذلك ان مجرد الصدق في القول لايكفي لذلك بل لابد من صدق الضمير والقلب والاحساس. والتظاهر بالصدق لايكفي ان لم يصدقه العمل ولم يستقر في القلب. قال سبحانه وتعالى **«اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون»**.

وهذه الصفة الحميدة من صفات الله سبحانه

قال سبحانه **«ومن اصدق من الله حديثا»**

وقال سبحانه **«ومن اصدق من الله قيلا»**

وفي سورة الاحزاب يقول سبحانه **«قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله»**. وقال سبحانه **«ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»**.

قال العلامة ابن ابي شريف في حواشي العقائد:

**الصدق استعمله الصوفية بمعنى استواء السر والعلانية والظاهر والباطن، بان لاتكذب احوال العبد اعماله ولا اعماله احواله**. اي لابد على المريد المتحلي بالصدق ان يستوى سره وعلنه في الطهر والصدق وبذلك يتسلق سريعا درجات الايمان فالصدق قوة محركة تدفع الصادق الى عِليّين وهو صفة لازمة لكل مقام واصل الى معرفته سبحانه.

فعلى المسلم ان يكون صادقا في محاربة هواه، وصادقا في جهاده لتصحيح سلوكه.

وعليه ان يكون صادقا في كل خطوة يمشيها وان يكون صادقا مع ربه.

وحينذاك يُكتب مع الصديقين.

قال الشيخ معروف الكرخي: **«ما اكثر الصالحين واقل الصادقين في الصالحين»**

قال النبي ﷺ **«دع مايريبك الى مالايريبك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة»** وقال (ﷺ) **«آية المنافق ثلاث: اذا حَدَث كذب، واذا وَعَد اخلف، واذا ائتمن خان»**.

**فالصدق من اعظم خصال السالكين نهج الصوفية، فهم صادقون في اقوالهم وافعالهم واحوالهم.**
**وفي ختام موضوع الصدق أذكر قولا لجنيد البغدادي «حقيقة الصدق ان تصدق في مواطن لاينجيك منها الاالكذب».**

---

## ١٥- المراقبة:

---

المراقبة من المصطلحات الشائعة بين القوم وعدها بعضهم من الاحوال قال الشيخ السراج في كتابه اللمع:
**المراقبة حال شريف.**
**افتتح ابو القاسم القشيري موضوع المراقبة في كتابه بهذه الآية الكريمة «وكان الله على كل شيء رقيبا» الاحزاب٥٢**

**والمراقبة تعني: ان الصوفي يتذكر دوما ان الله سبحانه يراقبه قال تعالى «الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب» التوبة ٧٨**

**وَرَدَتْ المراقبة في مواضع عديدة من القرآن الكريم وهي وظيفة الملائكة الذين هم عن اليمين وعن الشمال قعيد. ولكننا لِتَعَوُّدِنا على تفسير كل شيء بمنطق العقل والمعرفة المادية يصعب علينا فهم معنى مراقبة الملائكة، اما اذا قيل لنا ان الاقمار الصناعية تراقب من اعالي السماء ادق شيء في الارض بادرنا الى تصديقه مع اننا لانعلمها، ذلك انها امور محسوسة مادية، وكذلك المراقبات الالكترونية والتحقيقات التي يحفظها جهاز الكومبيوتر من امور خيالية بالغة الدقة، ومع انها من صنع الانسان فاننا نصدقها، ولكن البعض يصعب عليه الاعتقاد بمراقبة الملائكة لاعمال العبد، وبأن الله حفيظ لكل شيء.**

**اما اهل التصوف فلا يغفلون عن حال المراقبة ويؤمنون بِانَّ الله رقيب عليهم ومن كان له مثل هذا الايمان لايخطيء في سيره او سيرته. قال سبحانه في سورة الزخرف ٨٠ «ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم.. بَلىٰ ورُسُلنا لديهم يكتبون» وقال سبحانه في سورة الملك ١٣ «وَاَسِرّوا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور» وقال سبحانه في سورة البقرة (٢٣٥) «واعلموا ان الله يعلم مافي انفسكم فاحذَروه واعلموا ان الله غفور حليم».**

وقال تعالى «الم يعلم بان الله يرى» العلق ١٤
وقال سبحانه وتعالى لهارون وموسى «قال لاتخافا انني معكما اسمع وارى».
وقال سبحانه «وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون».

ومثل هذه الايات كثيرة فعلينا ان نتدبر معانيها ونتمثل بارشاداتها وان الصوفية هم في حال المراقبة دوما لايحيدون قيد شعرة عن آدابها، خاضعين لاوامر ربهم خاشعين وبهذه الصفة ينالون حال القرب من الله سبحانه. ويرى بعض اعلام التصوف ان المراقبة تأتي بعد مقام «الرضا» ويرى بعضهم انها تأتي بعد مقام الاحسان، وكل منهم عبر عن الحال التي مربها في تجربته الروحية لاسيما اذا اعتبرنا المراقبة من الاحوال فالحال منحة إلهية تحصل مع كل مقام.

ولكن كيف تتم المراقبة؟ وماهي نتيجتها؟

المراقبة في الطريقة النقشبندية هي سلوك المريد لوصول غايته بتوجيه مرشده فَمَثَل مرشده كالطبيب الذي يشخص الدواء لعلاج مريضه او كاستاذ يُعلِّم مدى استعداد تلميذه فيلقنه معرفة الطريق حسب قدرته لفهمه ويبعث في قلبه النشوة الروحية التي تستحثه على المزيد او كمهندس يضع كل شيء في موضعه وبحجمه.

فان لم يكن له مرشد فليسر في الطريق لعل الله يهديه الى سواء السبيل. يعتكف التائب العابد في مكان طاهر خال متوضئاً متوجها الى القبلة يتضرع الى ربه في هذه الحال ان ينزل رحمته عليه ويملأ قلبه بنور الهداية ويُحسن ان يتلو القرآن في خلوته. وكثيرون وصلوا غاياتهم في طريق المراقبة.

تناول اعلام التصوف موضوع المراقبة في كتبهم وخلاصتها: ان من يرى ان الله مُطَّلع عليه رقيب لافعاله لايتوجه قط نحو عمل يخالف تعاليم ربه. فهل يعقل ان يقدم عاقل على عمل سيّءٍ كالسرقة مَثلاً امام صاحب الدار؟
فاذا علمتُ ان الله يراقبني فكيف آتي عملا يخالف امر ربي؟
واذا تحققت هذه المراقبة استوى لديه السر والعلن وطبق تعاليم الشرع وحينذاك تكون الثمرة وايّة ثمرة؟

## ١٦- الاحسان:

الاحسان مقام آخر من مقامات التصوف، وللاحسان مضامين عديدة تتحدد حسب المقام والمناسبة فقد يقصد به التقرب الى الله سبحانه بالعبادة وقد يقصد به منح العطايا

والصدقات او غيرها. قال سبحانه وتعالى **«من جاء بالحسنة فله عشر امثالها»** الانعام ١٦٠

قال سبحانه **«واحسنوا، ان الله يحب المحسنين»** البقرة ١٩٥

قال تعالى **«وبالوالدين احسانا»** البقرة٨٣

وقال تعالى **«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين»** العنكبوت٦٩

**«وأحسن كما احسن الله اليك»** القصص ٧٧

**«ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى»** النحل ٩٠

**«هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان»** الرحمن٦٠.

وتلتقي معاني الاحسان ومضامينه في انها نقيض السيئة قال تعالى **«فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات»** الفرقان٧٠ قال تعالى **«واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات»** هود ١١٤.

ويتبين من هذه الآيات ان الاحسان قد يأتي بمعنى العبادة (الصلاة) وقد يأتي نقيض السيئة.

ولكن ماهو الاحسان في نظر التصوف؟

يعود الاحسان في نظر التصوف الى الحديث النبوي الشريف الذي يروى فيه ان جبريل عليه السلام ياتي الى النبي في صورة آدمي ويسأله عن الايمان والاسلام والاحسان لكي يُعلّم الناس دينهم وفي آخر سؤال له: **قال يارسول الله ماهو الاحسان؟ قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. قال جبرائيل صدقت.** فتعجب منه الصحابة اذ لم يكن تبدو عليه علامات السفر وكان يسأل ثم يصدّق. فسألوه(ﷺ) من كان السائل؟ فقال رسولالله(ﷺ) انه جبريل اتاكم يُعلّمكم دينكم.

فلنعد الى الحديث المشهور **«الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك»** لنرى ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة كالصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها وان الايمان هو عقيدة في القلب واعمال تصدقها. ولكن الاحسان لُبّ الايمان والاسلام ويعنى ان تؤدي اسلامك وايمانك بافضل اداء بالجسد وبالروح. ويتحقق الاحسان فيما اذا اعتقد بان الله مُطّلع على حركاته وسكناته. فاذا كان في الصلاة يرى كأنه واقف فعلا امام ربه خاشعا مطمئنا دون ان يتوزع باله بين هموم الحياة الدنيويّة او يسرع في اداء الحركات الظاهرية. ولاشك ان الصلاة الحقيقية هي ان تكون بدرجة الاحسان **«كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك»** وهو المقصود بالخشوع الوارد في القرآن الكريم

وان الله سبحانه وصف هؤلاء العابدين الخاشعين، بالمفلحين.
قال تعالى **«قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون»** المؤمنون٢
وقال تعالى **«الم يَأنِ للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزّل من الحق»** الحديد ١٦ ويتحقق الخشوع في ان يعتقد المصلي بان الله حاضر وناظر اليه وهو مقام الاحسان وهو مقام يفرض الخشوع في قلب المصلي المؤمن، فالاحسان في العبادات يتحقق بالخشوع، وبالخشوع يتحقق الفلاح **«قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون»**.

ويبرز هذا المقام فيما اذا نظرنا الى نقيضه حيث تصبح العبادة فارغة المضمون والجوهر، ممزوجة بالرّياء، وقريبة من الشرك «اَعاذَنا الله» ان لم تكن لله سبحانه خالصة قال سبحانه وتعالى **«فَوَيلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يُراؤن»** سورة الماعون. ومثل هذه الصلاة لاخشوع فيها وهي لاترقى في الدرجة الى الصلاة الخاشعة لاهل مقام الاحسان.

فمن اراد ان يقبل الله عبادته، ويحظى يوم القيامة برضوانه، عليه ان يعبدالله وحده قال سبحانه وتعالى **«فَمَنْ كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملا صالحا ولايُشرك بعبادة ربه احدا»** الكهف ١١٠
واقول انه مقام يناله من اجتاز مقامات التوبة والانابة والزهد والتوكل والاخلاص والشكر والرضا. وهو عند كبار اَعلام التصوف مقدمة درجة المراقبة.

## ١٧- ألقرب:

وهو من الاحوال الخاصة للسالكين تتحقق لهم بعد ان يطهروا قلبهم ونفسهم من كل خصلة سيئة وتستعد نفوسهم لهذه المنزلة العالية.
يقول صاحب اللمع:
وحال القرب: لعبد شاهد بقلبه قرب الله منه فتقرب الى الله تعالى بطاعته، وجميع همه بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علانيته وسره.

نحن نعلم جميعا ان الله تعالى قريب منا. وفي القرآن الكريم آيات لبيان ذلك وهذا القرب نوعان: قرب العباد الذين يخشون الله في السر والعلن ويعبدونه مخلصين له الدين. وقرب العباد الذين اسرفوا على انفسهم فما استقام سلوكهم وفي هذا المعنى

العام جاء قوله تعالى «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد» وقال تعالى بشأن من حضرته الوفاة «ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون» الواقعة ٨٥.

والقرب «الصوفي» حالة قرب العبد من الله بما قَدّمه من جهاد النفس وعبادة الله بشكل ينسى نفسه ولايذكر الا ربه ويصل الى درجة «فناء النفس» و «بقاء الله» وهذه الحال موضع التهمة حيث يوجه البعض اليهم تهمة الحلول، والاتحاد، او وحدة الوجود. والموضوع لايخرج عن ان الصوفي في هذه الحال « حال القرب» يخرج عن طوره لما يحس به في ذاته من بركة القرب، فتصدر منه اقوال لايقبلها قاموس الشرع. والحقيقة انه صاحب حالٍ لايعي مايقول ولايقول ذلك في حال وعيه بل يعتبرها مخالفة للشريعة في حال تذكره.

وللشيخ النقشبند محمد بهاء الدين بيت من شعر في هذا المقصد معناه:

ايها العابد الزاهد الذي لايرى غير الظاهر
ما الذي تسألني في حال القرب
انا قريب منه وهو قريب، كقرب ماء
الورد من رائحته الطيبة

لاشك ان الرائحة الطيبة شيء يختلف عن الماء والماء شيء اخر يختلف عن الرائحة فامتزجا معا واقتربا وليس حلولا ولا اتحادا.

وهكذا عندما يتحدث القرآن عن قرب الله من عبده كقرب الوريد «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد».

وكيف هذا القرب؟

هل هو قرب الذات من الذات؟ كلاّ. ذلك انه كفر بل هو قرب علم الله سبحانه. وهذا الاحساس بالقرب يدخل ضمن البصيرة لا الحواس الخمس. ومَثَلَه مَثَل قرب الطفل من قلب الوالدين فالطفل لايدخل في قلب الوالدين ولكن احساس الوالدين بالقرب منه كأنه جزء منهما لاينفصل فان شَعَرَ اصبع من الطفل بأذى يفقد الوالدان راحتهما وامنهما.

ولنا من القرآن شواهد وبراهين. قال سبحانه وتعالى: «واسجد واقترب» العلق١٩.

وكذلك جاء في سورة مريم ٥٢ «وناديناه من جانب الطور الايمن وقَرّبناه نجيا» وقال

سبحانه «السابقون السابقون اولئك المقربون».
ولكن كيف نتقرب اليه سبحانه؟

استشهدنا سابقا بالاية الكريمة «واسجد واقترب»
وقال سبحانه «ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا» الانسان ٢٦ وفي سورة سبأ ٣٧ «وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون».
ومفاد تفسير هذه الاية ان الايمان والعمل مما يقرب المسلم الى ربه. ومعلوم ان اعلى مقام في الاخرة عند الله هو المقام المحمود الذي وعد الله به نبيه محمدا ﷺ وحين يبشره ربه بهذا المقام يأمره بالصلاة في الليل تهجدا ليحظى بهذا المقام فقال تعالى «ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا» «الاسراء ٧٩»

وجاء في الحديث القدسي «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وماتقرّب اليّ عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه، ومايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها....»

والمقصود هنا القرب الذي يحصل بكثرة الصلاة والعبادة وبذلك يصبح حبيب الله تعالى بحيث يكون سمعه وبصره ويده وكأن الله سبحانه يمنحه قوة جديدة تفعل الاعاجيب.

---

## ١٨ ـ الاخلاص:

وهو مقام اخر من مقامات التصوف
والمطلوب في التصوف كما ذكرنا ان يصبح المقام والحال مَلَكات وسجايا راسخة بما يقدّمه العبد من الرياضة الروحية والجهاد النفسي وملازمة الطاعات وحينذاك تفيض عليه بركات معنوية لايعلمها الا الله ولايفهمها الا صاحبها.

وهنا نذكر مقام الاخلاص وهو عبادة لله خالصة لا رياء فيها ولاغرور ومن اجل رضوان الله سبحانه وحده كما قالتها رابعة العدوية «لااعبدك خوفا من نارك او طمعا في جنتك...» وليس معنى ذلك ان مشايخ التصوف لايخافون النار ولايطمعون في الجنة ولكن مقصودهم هو انه حتى لو لم تكن النار او الجنة فاننا نعبدك حبًّا لذاتك.

قال ابو القاسم القشيري «والاخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب اليه سبحانه دون شيء اخر من تصنع لمخلوق او اكتساب

محمدة عند الناس او محبة مدح من الخلق او معنى من المعاني سوى التقرب به الى الله تعالى»[1]

ويوصي سبحانه نبيه في سورة الزمر، بالاخلاص في عبادته ثلاث مرات اذ يقول **«قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين» «قل الله اعبد مخلصا له ديني» «فاعبدالله مخلصا له الدين، الالله الدين الخالص»** وجاء في سورة البيّنة **«وما اُمروا الاليعبدوا الله مخلصين له الدين»**. وان الرياء يُعتبر بمنزلة الشرك في القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الكهف ١٠٠ **«فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا»**

روي مسلم عن النبي ﷺ انه قال:

**ان الله لاينظر الى اجسامكم ولاَ الى صُوَرِكم ولكن ينظر الى قلوبكم»**

وهذه اشارة الى العبادات التي تؤدى بالجوارح، كالصلاة والحج ويؤكد الحديث النبوي الشريف ان اخلاص القلب هو معيار القبول والرضا من العبد.

قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى: **«الاخلاص على ثلاث درجات: اخلاص العوام والخواص وخواص الخواص.**

فاخلاص العوام: هو اخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والاخروية، كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور. واخلاص الخواص: طلب الحظوظ الاخروية دون الدنيوية. واخلاص خواص الخواص: اخراج الحظوظ بالكلية فعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية محبة وشوقا الى رؤيته».

ان آمال مشايخ التصوف هي بلوغ منتهى درجة العبودية في اخلاصهم للوصول الى الحق وليس لهم مطمع آخر. فان لم يسلكوا بهذه الروحية لن يبلغوا مقام الاخلاص.

وفي طريق السالكين المريدين آفات لابد من تحذيرهم من مخاطرها لتكون اعمال السالك خالصة لوجهه تعالى، وهذه الآفات حُجبٌ تعرقل سيره الى الله تعالى واهمها:

الحجاب الاول: رؤيته لعمله واعجابه به وحجابه به عن المعمول له وبالعبادة عن المعبود.

فالذي يخلصه من رؤية عمله علمه بفضل الله تعالى عليه وتوفيقه له وانه مخلوق هو وعمله لله تعالى فلابد ان نشكره سبحانه على هدايته إذْ انَّ كل خير يصدر منه هو محض

---

(١) الرسالة القشيرية ص٩٥

فضل من الله ومنة **«ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد»** سورة النور٢١ فان التزم المريد بهذا وتَخلَّصَ من ربقة الرياء فقد نجا وفاز بمقام الاخلاص.

الحجاب الثاني: طلبه العوض لعمله ولاسيما العوض الدنيوي كطلب السمعة والشهرة وحب الظهور وكذلك طلبه للاحوال والمقامات والمكاشفات والمعارف فلا تكون عبادته خالصة لوجه ربه.

ولهذا يقول العارف الكبير الشيخ ارسلان رحمه الله ناصحا كل ملتفت الى غير مطلوبه ومحبوبه ومقصوده **«يأأسير الشهوات والعبادات وياأسير المقامات والمكاشفات انت مغرور»**.

واقول: ان اسير العبادة هو من يستعظم عبادته وصلاته وقيامه ويتوقع لنفسه كشفا وراءها».

وبعضهم يرون ان مخاطر توقع الكشف في ان بعضهم ان حصل على المقام، يغتر قلبه فكأنه ماعبدالله سبحانه الا لنيل المقام لالحب الله، فالمقام يصبح الغاية والمقصود، لذا يرى البعض ضرورة حضور المرشد الكامل ليأخذ بيد السالك خطوة خطوة حتى ينال المقامات دون اخطاء او حسرات.

وعلى السالك سواء كان له مرشد ام لا مراعاة امرين اولهما؛ مراقبة عيوبه في سلوكه حتى لايتكرر خطؤه. وثانيهما؛ علمه بما يستحقه الرب جل جلاله من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة.

## ١٩- الفناء — ٢٠ البقاء:

هما بحر لا ساحل له، ولاحد لعمقه من درجات رجال التصوف الذين هم وحدهم عرفوهما وتحدثوا عنهما.

قال الامام الرَّبَّاني في مكتوباته: **«الفناء مليء بالعثرات، ومعرض لطوارىء وتغيرات وهو اخيرا بحر لانهاية له»** لذا لم يقبل بعض ما قيل فيه وقال: **صاحب هذه الاقوال لم يصل الى منتهى هذا المنزل وتوهَّم ان الفناء كذلك.**

وجاء في كتاب «القدسية» للشيخ محمد پارسا وفيه اقوال الشيخ النقشبند: «ان الشيخ ابا سعيد احمد بن عيسى الخراز (ت٢٧٧، او ٢٧٩) هـ هو اول من تحدث في البقاء والفناء» ولم اجد في المصادر الاخرى اشارة الى هذا. ولكن الباحث المعاصر الدكتور عرفان عبدالحميد يرى ان أبا يزيد البسطامي سَبَقَهُ في بحث الفناء. وأرى ان ابا يزيد عاش المقام بنفسه ولم يتحدث، اَماَّ الخراز فقد كتب فيه.

قال ابن العربي «البقاء يقترب معناه من الابدية» ولكنه ليس مقابلا للازلية وهو مقابل لكلمة «النفاد» قال تعالى «ماعندكم ينفد وماعند الله باقٍ»[1] وتبين لي ان الفناء نوعان: اولهما؛ يعود الى سلوك العبد نفسه ويتجلى في مدى أصراره على كبح جماح نفسه وتزكيته بالطاعات وعلى تصفية الشوائب السّيئة في سلوكه النفسي والبدني. كما ان عنصر البقاء يتجلى في مدى قدرته على احلال الخصال الحميدة محل الصفات الذميمة.

ويظهر ايضا في مدى قدرته على التطبع بالفضائل وتجنبه عن الرذائل، وعلى طرح الظلام من قلبه وادخال النور في صدره وبالقدر الذي ابتعد عن الشيطان واقترب من الرحمن بالاضافة الى ترك الدنيا وملذاتها والتوجه كليا نحو الحق الى الحد الذي شغلته محبة ذات الحق عن نفسه فلا يرى الا ربه.

فاذا بلغ المرء هذا الحد وتطهر من كل سوء فقد فاز بمقام الفناء وبما استقر في قلبه من الصلاح والتقوى فقد فاز بمقام البقاء. وبعبارة اخرى: بلغ البقاء في الحسنى وبلغ الفناء في ترك الدنيا، وبلغ القناعة التامة وهي بقاء القناعة وفناء الحرص، فان حصلت له لقمة عيش لم يفكر بادامها.

**والنوع الثاني؛ هو** مقام معنوي وهي عطية الهية لاتكسب بعدد من الاذكار والرياضات الروحية في مدد طويلة بل يقضي البعض سنوات عمره في هذا الطريق دون ان ينال شيئا منه. فمنهم - كما يقول رجال التصوف - من يبقى في حال الفناء ولايتجاوزها الى البقاء.

جاء في الرسالة القشيرية: **«مَنْ زَهَد في دنياه بقلبه يقال فني عن رغبته فاذا فني عن رغبته فيها بقي بصدق إنابَتِهِ»** فاين مثل هذا الانسان الذي لايبقى في قلبه سوى ذكر ربه؟ يروى ان شخصا جاء الى ابي يزيد فقال له: ماذا تريد؟ قال: اريد ابا يزيد: فقال: ابا يزيد! من هو ابو يزيد؟ إنيّ ابحث عنه. ومعنى ذلك انه كان في حال الفناء.

وفي هذه الحال تظهر بعض الشطحات في الصوفي لايفهمه احد. وقد يكون مخالفا للشرع. ومن هذه الثغرة يتهم الفكر الصوفي بانه فكر حلولي أو يقرر وحدة الوجود او الاتحاد. مع ان هؤلاء المشايخ يسارعون الى التوبة حين يفيقون مما كانوا فيه من حال الفناء. ولذلك يرجون منه سبحانه ان يقصر مكوثهم في الفناء ويطول في البقاء.
والحقيقة ان الفناء مرحلة وليس بمنزل. والى هذا اشار الشاعر الصوفي الكردي مولوي في خطابه لشيخه سراج الدين:

**«يامن تجاوزت محطة الفناء. وسرت الى مستقرٍّ لك في ارض البقاء»**

---

(١) حقائق عن التصوف ص٣٢١

يقول النقشبند: قالوا: ان الفناء هو المرحلة الاخيرة في «السير الى الله» اي السير للوصول الى الحق، اما البقاء فهو المرحلة الاولى في «السير في الله» وهو نيل المراد وتذوق كمالات القرب ثم يقول: «ولايتم السير الى الله الا اذا انتزع المريد حظوظ الآدمية من نفسه، واتجه كليا الى ربه وقطع بيداء الحياة بمشية الحق والصدق حتى يبلغ الكعبة المقصودة. والمقصود انتزاع القيم المادية الجسدية في داخل نفسه. فلا يشعر بضرورة الكيان الطبيعي في حياته ومثله مثل السكران او النائم وقد كتب الشاعر يقول:

«اليك يامُنيتي حجّي ومعتمري اذ حج قوم الى ترب وأحجار»

وقال: ومرحلة السير في الله وبعوني من نور الله تتحقق بعد الفناء المطلق الذي هو عبارة عن فناء الصفات والذات عندما ينعم الله عليه بالوجود الحقيقي الذي يرتقي به الى عالم الاوصاف الالهية بمعنى انه يكون كما يحب الله ان يكون في سلوكه وصفاته وحينذاك يتحقق فيه مايروى في الحديث القدسي: «بي يسمع وبي ينطق وبي يبصر وبي يمشي وبي يعقل» وهنا يكون فانيا عن أوصافه وذاته وفي هذه الحال يدخل في دائرة الجذب الصوفي فينجذب قلبه نحو ربه فيتلألأ نور الحق في صدره ومثله مثل الحديد في بوتقة النار فمع انه لم يفقد صفة الحديد ولكنه اكتسب صفة النار وكذلك عود من خشب يلقى في النار فيتحول الى نار وبعد اطفاء النار لايبقى الخشب خشبا ولا النار نارا. والسبب في ذلك هو قرب النار ولكن الفرق هو ان القرب هنا ليس بمادي اي اتصال الذات بالذات بل هو قرب معنوي ومثله كفناء الوالدين في حب اطفالهما. وهنالك فرق آخر هو ان تحول الحديد الى النار فعل طبيعي لا ارادي ولكن الانسان يملك الارادة والاحساس فيريد طاعة ربه والقرب منه بغية رضوانه قال تعالى «واسجد واقترب» وقال سبحانه «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد» ولايتصور القرب المادي هنا لانه سبحانه منزه عن الجسمية والمكانية «ليس كمثله شيء» وحين يذكرون الفناء والقرب لايعنون الحالة المادية.

واني أشبّه هذه الحال بقصة النار والحديد وبفناء الحبيب في حبه وبمثل قرب القمر مع الشمس حيث تتحقق الثمرة ان لم يتوسط بينهما مانع كالارض. وكذلك العلاقات المعنوية.

وكذلك كلما خالف العبد اوامر ربه دخل الرّين في قلبه وابعده عن نور ربه فالفناء ليس فناء الذات في الذات وان القرب ليس قرب الجسم من الجسم بل هو قرب

معنوي ليس الا.

ومما قاله بهاء الدين النقشبند: **الجذب الصوفي يفرش اجنحته على بساط قلب العبد ويطهر قلب المريد من كل الوساوس فتفنى الاحاسيس المادية وتحترق فتحل الاوصاف الالهية فيه فلا تبقى له القدرة على شؤون قلبه فلا يتصرف الا في ضوء الاوصاف التي استقرت في منزل قلبه. وعلامة صدقه انه يطبق تعاليم ربه فيحفظه تعالى. اما اذا خالفها فليس له فناء صادق.** ويدل على ذلك قول ابي سعيد الخراز **«كل باطن يخالفه ظاهره فهو باطل». ثم** قال النقشبند: **ان اصحاب البقاء والفناء يتنعمون براحة الوجدان وسرور اللقاء وهي منتهى المراد فلا يبقى لهم مراد ولايريدون المقام والكرامات بل يعدّونها مما تحول دون العبد وربه، ويفقدون الرغبات الجسمية.** ومعنى ذلك ان الفناء علامة حقيقة محبة الذات والفناء موهبة للعبد لاترد، وقيل في هذا المعنى **«الفاني، الذي لايَرُدَّ الى اوصافه».**

ومعناه ان العبد الذي وهبه الله هذا المقام وملأ قلبه بهذه الاوصاف فانه يظل سعيدا في دنياه وآخرته. وفي هذا قال ذو النون المصري: **«مارجع مَنْ رجع، الامن الطريق، وماوصل اليه احد فرجع عنه، فمن استطاع التغلب على مشاكل الطريق واجتاز القفار والوديان ووصل الى المنزل فاستقر فانه لايعود»** وتنطبق عليهم الآية الكريمة **«ان عبادي ليس لك عليهم سلطان»** فبذلك ينجون من مكائد الشيطان، والا فكلنا عبادالله ان شئنا وان ابينا ومع ذلك يخدعنا الشيطان.

والى هذا يشير النقشبند بقوله **«اذا فني وجوده فلا يعود الى الوجود البشري ومع ان الفناء المطلق هبة الهية فانه يتحقق تدريجيا وفقا لعوامله. ومنها ان يتوجه العبد بكل قواه الى ربه توجها قلبيا يبعده عن الصفات الذميمة».**

والمقصود بهذا الفناء ابعاد الجانب الآدمي في السالك، وبروز الجانب الروحي والحقيقي فيه ونشير مرة اخرى الى الحديد الذي يحمى بالنار حيث يكتسب صفات ولايفقد جوهره. كما قال احدهم **«انك عبد ولن تكون مثله، ولكنك لوجاهدت اصبحت شيئا لنفسك».**

وقال ايضا: **ان العقل ينتهي حده على ضفاف بحر الفناء. وفي هذه الضفاف وماوراءها اسرار لايدركها الا سالكو هذا الميدان ممن انعم الله عليهم. وقال: ان هذه الدرجة «الفناء في الله والبقاء بالله»لاتعفي المريد من المسؤولية الشرعية.**

قال ابراهيم الشيباني: **علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية وماسوى ذلك مغاليط وزندقة.**

وتحدث بعضهم عن فناء الفناء ويعني ان السالك يفني الرغبة المعنوية كما يفني الرغبة الجسمانية فلا يطمح في مقام معنوي، أو جزاء اخروي ويستغرق في جلال الله سبحانه فيفنى عقله ونفسه، فيفنى فناؤه.

سُئل النقشبند عن انواع الفناء فقال: **له نوعان فقط احدهما، الفناء في الوجود الطبيعي المظلم وثانيهما، الفناء في الوجود النوراني الروحاني.** وهذه اشارة الى الحديث الذي يروى «ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة». اعني ولو انها سبعين الف مع ذلك تتحدد في نوعين فقط، نور وظلمة.

ويشير الى هذين النوعين قول بعض كبار التصوف: **(خطوتان وقد وصلت)**

وقال النقشبند: **ان الحجاب هو وجودك. دع نفسك وتعال.** وقال:**ان لقاء المحب بالمحبوب يتحقق بعد الفناء والبقاء. وحين يتم اللقاء بعد الفناء والبقاء يستقبل التجلي الالهي بشوق.**

وفي هذه المرحلة لايؤثر فيه شيء لاشهود الحق يمنعه من الخلق ولا مخالطة الناس تحجبه عن الحق فهو باق في الفناء وفان في البقاء. ويكون السالك هنا في مقام «السير في الله».

وفي هذا المعنى لهذا المقام ذكر الشيخ فريد الدين العطار (ت٦٠٠)هـ

**«عليك ان تتحلى بالادب لاجتياز طريق الحق وجاهد في سبيله دون كلل او ملل ودون حد تنتهي اليه حتى اذا شربت بحرا لم تظمأ وطلبت المزيد».**

وللشيخ عبدالرحمن النقشبندي[1] قصيدة في هذا المقام ترجمتها:

**اني اعجب من عاشق قال في مزاد العشق: اوله عذب آخره مرٌّ صعبُ المراس، ومع اني اصبحت كصفاء الخمر، انادي: الا ايها الساقي ادر كأسا وناولها،**

جاء في كتاب التعرف لتاج الاسلام الكلاباذي:

**الفناء ان يفنى العبد عن الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التمييز. والبقاء الذي يعقبه هو ان يفنى عمّا له ويبقى بمالله.** وقال: قال البعض: **ان تكون كل حركاته موافقات الحق دون مخالفاته، فانيا عن المخالفات بالموافقات وفانيا عن اوصافه باقيا باوصاف الحق.** والفناء والبقاء عند الكلاباذي: فناء عن تعظيم ماسوى الله وبقاء في تعظيم الله. وقال ابو سعيد الخراز: **علامة الفاني ذهاب حظه من الدنيا والاخرة الامن الله تعالى.** ثم يقول: ومنهم من جعل هذه الاحوال واحدة وان

---

(١) هو نجل الشيخ عثمان سراج الدين احد كبار علماء التصوف.

اختلفت عباداتها فجعل الفناء بقاء والجمع تفرقة. . . واما المحققون فلم يروا ذلك، منهم الجنيد والخراز والنوري والنقشبند. قال القشيري: **الفناء سقوط الاوصاف المذمومة، والبقاء قيام الاوصاف المحمودة.**

وخلاصة ماذكره علماء التصوف[1] في موضع البقاء والفناء: **ان الولي والعارف بالله يتحلى بالفرق والجمع والوحدة والكثرة** وهي مصطلحات صوفية، فلا بد من الفرق بين مايحبه الله فيأمر به وبين مالايحبه فينهى عنه، وهذا معنى الفرق. واما معنى الوحدة فيعني وحدانية الله سبحانه واما الكثرة فهي تعدد صفاته سبحانه. فالعارف يؤمن بالله الواحد الاحد وبصفاته وهذا معنى الكثرة في الوحدة. اما المقصود بالجمع فهو الايمان بان كل مايجري فهو بقضاء الله وقدره.

وجاء في كتاب مدارج السالكين «**ان اسمى درجات الحب هي اتحاد ارادة المحب مع ارادة المحبوب وفناء ارادة المحب في ارادة المحبوب، ولايرقى اليها الا الخواص الذين فنوا في طاعة الله سبحانه احبوا لله وكرهوا له يرجون ربهم وحده، ولايخافون غيره.**

وحقيقة هذا الفناء هي فناء النفس في طريق رضوانه سبحانه، وثمرته هي تحقيق معنى لا اله الاالله.

ويؤخذ معنى الفناء والبقاء في النفي والاثبات في «**لا اله الا الله**» ذلك ان كلمة «**لا اله**» تفني عبادة اي شيء وكلمة «**الا الله**» تعني بقاء العبادة لله وحده.وورد في كتاب الالفاظ الصوفية:

**الفناء والبقاء متلازمان، يكمل احدهما الاخر، فمن ترك حظوظ الدنيا فقد افنى دنياه فيعيش بالصدق والحق. وهذا هو البقاء. ومن ملكته الحقيقة فظل صادقا مع ربه فهو فان في الخلق باق للحق.**

وفي كتاب معجم مصطلحات الصوفية: ص٢٠٧

**الفناء تبديل الصفات البشرية بالصفات الالهية حتى يصبح المرء بحيث «يكون الحق سمعه وبصره» كما نطق به الحديث النبوي.**

وعلامة صدق هذا الفناء هي التخلي عن الاعتماد على الناس من اجل الدنيا والتوكل على الله وحده.

---

(١) راجع مدارج السالكين ومنازل السائرين ومعجم، ومصطلحات. والفاظ الصوفية في هذا الموضوع.

والفناء كما ذكرت نوعان: احدهما فضل من الله وموهبة يعطيها من يشاء وثانيهما، مجاهدة العبد لبلوغ هذا المقام ويتم بالتحلي بالاوصاف الحميدة التي ذكرناها، وبالتخلي عن كل الصفات الذميمة التي اشرنا اليها. وبهذا يحل العبد ضيفا في محطة الفناء ثم ينزله ربه في مستقر البقاء، فيدخل في اولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون. ذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء.

**٢ـ التوحيد:**

وهو الايمان بان الله واحد احد فرد صمد ليس كمثله شيء.

سُئل الرسول الكريم ﷺ عن صفات ربّه فنزلت: **«قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد»**

والتوحيد هو ان تقول: **«لا اله الا الله»** مصدقا بالقلب، ويقابله الشرك والكفر والالحاد.

والكفر جاء لمعانٍ عديدة منها السّتر، وكفران النعمة، والشرك هو ان يشرك مع الله احدا او صنما في العبادة وكذلك الاعتقاد بقدرة الوسيط بذاته على اسعاد المرء في الدنيا او في الاخرة.

ومنه الرياء في العبادة كأن تكون عبادته للسمعة.

اما ما يتردد على لسان (السذج) من المتصوفة وادعياء الطريقة من ادعية يطلب فيها العون من الصالحين منها؛ ايها الشيخ... يامرقد الشيخ.. اعطني ولدا او انقذني.. فان ظاهره كفر بوّاح واشراك بالله ولكنه يتبرأ منه اذا كان قد توجه اليه لانه عبد من عباد الله الصالحين وان دعاءه عند ربه مستجاب ولم يعتقد فيه التأثير. ولكنه منزلق خطير فعلى المسلم ان يكون حريصا على ايمانه بكامل وعيه عند زيارة الصالحين من الاحياء والاموات، وان يحذر من مظنة الشرك فلا تؤدي به عاطفة الحب لشيخه الى دار الشرك والخسران.

اما الالحاد فهو انكار وجود الله الخالق سبحانه ولايزال بعض من بني آدم يرى ان هذا الكون وجد صدفة دون ارادة عاقلة لامحرك لها بل تتحرك بذاتها. وفي الوقت الذي لايعقل ان يوجد مسمار دون صانع فانه يعقل ان يُخْلَقَ الانسان العجيب الغريب صدفة دون مدبر صانع. ان الملايين من البشر حائرون تائهون يقولون: كيف يمكن ان يوجد التلفزيون او الطائرة دون صانع او مصنع ولكنهم يستنكرون ان يكون لصانع

التلفزيون او الطائرة خالق ويقولون ان الانسان وُجِدَ صدفة دون خالق!!!

فالتوحيد هو اقرار باللسان وتصديق بالجنان على ان الله واحد (**لااله الا الله**) واعتقاد باسمائه وله (٩٩) اسما وكذلك اعتقاد بصفاته التي منها ماهي لله وحده كالخالق، والمحيي والمميت والمبدىء والمعيد وعالِمُ الغيب، ومنها صفات يتحقق معانيها في الانسان ضمن المعنى البشري لها، ذلك ان هنالك فرقا في هذه الناحية مثل «رب الشيء» اذ ربوبية الله لها معنى يختلف كليا في معنى كون الانسان (ربا لداره) فالله باق حيّ لايزال، اما الانسان ففان يموت، وكذلك السخي والكريم.

فالتوحيد له معنى واسع يشمل الاقرار بوجود الخالق رب العالمين وبأنه واحد احد ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة في معنى التوحيد ذكرت منها ٣٦ آية كما جاء في كتاب المعجم الصوفي نقلا عن الشيخ محيي الدين العربي وهذه الايات الكريمة:

**١ «والهكم اله واحد لا اله الاهو الرحمن الرحيم»**
**٢ «الله لااله الا هو الحي القيوم»**
**٣ «الم. الله لا اله الاهو الحي القيوم»**
**٤ «لااله الاهو العزيز الحكيم»**
**٥ «شهد الله انه لا اله الاهو، والملائكة واولو العلم قائما بالقسط»**
**٦ «الله لا اله الاهو ليجمعنكم الى يوم القيامة»**
**٧ «اتّبع ما اوحي اليك من ربك لااله الاهو واعرض عن المشركين»**
**٨ «لااله الاهو يُحيي ويميت»**
**٩ «وما امروا إلاّليعبدوا الها واحدا لااله الاهو سبحانه عما يشركون»**
**١٠ « فان تولوا فقل حسبي الله لااله الاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»**
**١١ «حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لااله الاالذي آمَنَتْ به بنو اسرائيل»**
**١٢ «فاعلموا انما انزل بعلم الله، وان لااله الاهو فهل انتم مسلمون؟»**
**١٣ «وهم يكفرون بالرحمان قل هو ربي لااله الاهو عليه توكلت واليه متاب»**
**١٤ «ان انذروا انه لااله الا انا فاتقونِ»**
**١٥ «انه يعلم السِرَّ واَخفى، الله لااله الاهو له الاسماء الحسنى»**
**١٦ «وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لااله الا انا فاعبدني»**
**١٧ «انما الهكم الله الذي لااله الاهو وسع كل شيء علما»**
**١٨ «وما ارسلنا من قبلك من رسول الانوحي اليه انه لااله الا انا فاعبدونِ»**

١٩ «وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لااله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين»

٢٠ «فتعالى الله الملك الحق لااله الاهو رب العرش الكريم»

٢١ «لااله الاهو رب العرش العظيم»

٢٢ «الله لااله الاهو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون».

٢٣ «ولاتدع مع الله الهاً اخر لااله الاهو كل شيء هالك الا وجهه».

٢٤ «هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الاهو».

٢٥ «انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الاالله يستكبرون».

٢٦ «ذلكم الله ربكم له الملك لااله الاهو اليه المصير».

٢٧ «شديد العقاب ذي الطول لااله الاهو اليه المصير».

٢٨ «ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لااله الاهو فأنّىٰ تؤفكون».

٢٩ «هو الحي لااله الاهو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين».

٣٠ «لااله الاهو يحيى ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين».

٣١ «فاعلم انه لااله الاهو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم»

٣٢ «وهو الله الذي لااله الاهو الملك القدوس».

٣٣ «الله لااله الاهو وعلى الله فليتوكل المؤمنون».

٣٤ «رب المشرق والمغرب لااله الا هو فاتخذه وكيلا».

٣٥ «ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه».

٣٦ «هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم»

فالقرآن الكريم هو كتاب التوحيد الالهي، والتوحيد هو شعار الدين الاسلامي الحنيف وقد سعى الفقهاء وائمة المذاهب وعلماء الكلام الى بيان اسماء الله وصفاته لتحقيق معنى الوحدانية ولازالة كل الشبهات في هذا المنهج القرآني.

ودليل هذا الشعار هو «لااله الاالله» ولهذه الكلمة اثر روحي ايماني كبير في نفوس

المسلمين، وفي ميدان التصوف ذوق خاص هذه الكلمة العظيمة وكيف؟

ذكرنا ان اساس التصوف هو المداومة على ذكر الله سبحانه ونعني به «الله» او «لااله الاالله» ذلك ان الذكر جاء بمعنى القرآن والصلاة والتذكر وغيرها ولكن المقصود هنا في دائرة التصوف هو «الله» او «لا اله الا الله» اي التوحيد. ويقال لذكر التوحيد «ذكر النفي والاثبات» بمعنى انه حين يقال «لااله» فهو نفي وحين يقال «الاالله» فهو اثبات.

وليس الامر بهذه البساطة بل له اسلوب خاص سأتناوله في موضوع «الذكر». وباختصار حينما يقول العبد «لااله» لابد ان يستجمع فكره وعقله واحساسه كله على انه لامعبود بحق ولا احد له وجود ازلي وابدي «الاالله». ويظل يذكر «الله» مرات تبلغ الملايين الى ان يفنى السالك المريد ويسمى هذا الفناء «الفناء في النفي والاثبات» وفي هذه الحال يفنى كل شيء فيه «سوى الله» فيتجلى امامه بعض اسرار من الغيب وتفيض عليه بركات من فضل الله. وقد يغيب البعض في هذه الحال فتصدر منه امور خارجة عن اطار العقل والشرع ويتهم من اجلها بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وليس شيء من هذا القبيل في هذه الحال ولكنها تعبر عن حال الفناء، ولكنه مايلبث ان يعود الى وعيه وحضوره والى حالة البقاء بالله. وللامام الرباني الشيخ احمد الفاروقي الذي يأتي مقامه العالي في التصوف بعد الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند في الطريقة النقشبندية والمعروف بالمُجدِّدِ للألف الثاني بحث صوفي في حالة الفناء في التوحيد يليق بمن يعيش هذه الحال او يريد سلوكها كما جاء في مكتوباته. اما نحن فيعنينا ان نعلم ماهو التصوف. لاان نتعلم كيف نكون متصوفين. ويكفينا هنا ان التوحيد هو اعلى مقامات التصوف وان كل المقامات والبركات مستمد من التوحيد.

وتحدث بعضهم عن توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد العبودية ويقصدون بتوحيد الالوهية وحدانية ذات الله سبحانه، وبتوحيد الربوبية الايمان بانه لاخالق ولارزاق ولامحيي ولامميت الاالله، اما توحيد العبودية فيعني عبادة الله وحده والتسليم اليه وحده والتوكل عليه وحده.

ولمشايخ التصوف اقوال عديدة في معنى التوحيد يحتاج جمعها الى كتاب مستقل وقد عبر كل منهم عن الحال التي شعر بها وهو ميدان خاص بالراسخين في علم هذا الميدان.

## ٢٢ التجريد ـــ ٢٣ التفريد :

التجريد: هو طرد الاعراض، والتفريد مأخوذ من الفرد «**رب لاتذرني فردا وانت خير الوارثين**» الانبياء ٨٩

وفي مصطلح التصوف كيفيات تمرُّ بالسالك السائر في طريق التصوف مثلها مثل التوحيد، والتنزيه، وهي مقامات الاولياء الذين اجتازوا مرحلة الفناء وَرَسَت مسيرتهم في مرفأ البقاء فتنزل عليهم البركات بفضلٍ من الله سبحانه وجهاد لهم في محراب العبودية له.

وقد ذكر صاحب كتاب مدارج السالكين التجريد والتفريد ضمن قسم الفناء والبقاء وقال: **ان الفناء والبقاء هذه هي حقيقة التوحيد والبراء والولاء والمحو والاثبات، والتجريد والتفريد**. وقال «**فيتجرد عن عبادة ماسواه ويفرده وحده بالعبادة فالتجريد نفي والتفريد اثبات ومجموعها التوحيد» ثم قال «ان اَوْلى الناس بالله ورسله وكتبه ودينه اصحاب الفرق في الجمع فيقومون بالفرق بين مايحبه الله ويبغضه ويأمر به وينهى عنه ويواليه ويعاديه علما وشهودا وارادة وعملا مع شهودهم الجمع لذلك كله في قضائه وقدره ومشيئته الشاملة العامة، فيؤمنون بالحقيقة الدينية والكونية ويعطون كل حقيقة حظها من العبادة، فحظ الحقيقة الدينية القيام بامره ونهيه، ومحبة مايحبه وكراهة مايكرهه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه واصل ذلك الحب فيه والبغض فيه. وحظ الحقيقة الكونية اِفراده بالافتقار اليه والاستعانة به والتوكل عليه والالتجاء اليه وافراده بالسؤال والطلب والتذلل له والخضوع والتحقق بانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ولا يملك احد سواه لهم ضرّا ولانفعا ولاموتا ولاحياة ولانشورا»**.

وفي المعجم الصوفي «**التفريد مرحلة يصلها السالك بعد التجريد فاذا جرّد السالك عن قلبه وسره الكون والسِّوى افرد الواحد»**

وفي كتاب اللمع: **التفريد افراد المفرد برفع الحدث وافراد القدم بوجود حقّائق الفردانية** وقال: قال بعضهم «**الموحدون لله من المؤمنين كثير والمفردّون من الموحدين قليل**. وقال ايضا: **التجريد ماتجرد للقلوب من شواهد الالوهية اذا صفا من كدورة البشرية**.[1]

(١) اللمع ص٤٢٥

وعرفه بعضهم[1] بان «التجريد خلو قلب العبد وسره عما سوى الله بمعنى ان يتجرد بظاهره عن الاعراض وباطنه عن الاعواض وهو ان لايأخذ من عرض الدنيا شيئا ولايطلب عما ترك منها عوضا من عاجل او آجل بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى عليه لالعلة غيره ولالسبب سواه، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يحلها، والاحوال التي ينزلها بمعنى السكون لها والاعتناق لها. والتفريد هو ان تكون افعاله لله وحده دون رياء اوسمعة ولايخاف الامن الله ولايفرح الابقربه سبحانه ومن التعاريف المشهورة: «**التفريد ان لاتُمْلَكْ والتّجريد ان لاتملِكْ**».

وجاء في كتاب الفاظ الصوفية: «**التفريد ان يكون العبد مع ربه متوكلا عليه وحده والتجريد هو الاعراض عن الدنيا كلها، والعمل الصالح لامن اجل ثواب او جزاء لافي الحاضر ولافي المستقبل وهو عدم انشغال القلب بالاحوال والمقامات او المطالبة بالمزيد منها بل تزكية النفس عن هذه الامور وطمأنتها بما اراده الله له من اي حال او مقام**» **ثم قال: التفريد هو أحدية الله سبحانه والتجريد ان ينقطع الانسان عن طلب شيء.**

**وورد فيه ايضا:** التجريد والتفريد والتوحيد مترادفات لها معنى واحد لايعرف مابينها من فرق دقيق لطيف الامن ذاق الثمار الطيبة لهذه المقامات واحس بالطعم الخاص لكل منها.

---

## ٢٤ - التنزيه:

---

وله في التصوف معنى دقيق يختلف عن المعنى اللغوي المعروف، ويقابله التشبيه قال تعالى **«ليس كمثله شيء»** الشورى١١.

ومثله مثل التوحيد والتجريد والتفريد ليست له صورة واحدة فكما ان هنالك فرقا بين توحيد عبد صالح وبين عبد غير صالح فان التنزيه كذلك.

والمقصود بالتنزيه هنا هو الايمان بان الله سبحانه منزه عن الحوادث وهو قديم وواجب الوجود، ازلي ابدي لا اول له ولا آخر **«هو الاول والاخر والظاهر والباطن»** **«ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»**. والله حي لايموت. اما نحن ففانون فنأتي جماعات وفرادى ثم نذهب وقد لايبقى احد منا بعد قرن من الان.

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية ص٤١

نزلت آيات كريمة في تنزيه الله سبحانه فقال تعالى **«سبحان ربك رب العزة عما يصفون»** الصافات ١٨٠ وقال سبحانه **«لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد»**

وقد بين القرآن الكريم انه سبحانه عليم سميع بصير. . . ولكننا لاندرك كنه هذه الصفات الالهية. فعلينا ان نقر بهذه المعتقدات بمعناها اللائق بذاته سبحانه وهو معنى

التنزيه ذلك انه اقرار هذه المعتقدات في قلب السالك والاعتقاد بان الله سبحانه منزه عن الصفات الآدمية. ومن المحال ان ندرك معاني صفاته الالهية في حدود التجربة البشرية لافي حقيقتها الالهية.

---

## ٢٥- العبودية:

---

العبودية تشمل الصالح والطالح، والمؤمن والكافر بمعناها اللغوي. فالمؤمن هو من اتخذ سبيل الايمان والمسلم من اعتنق الدين الحنيف اما العبد فتتحقق عبوديته بوجوده شاءَ امْ ابى.

ولكن العبودية ترقى الى مقام كبير في التصوف ذلك انها تعني عندهم تحقيق معنى العبودية بتنفيذ اوامره سبحانه. وجاءت مادة «عبد» «عباد» «اعبد» في اكثر من مائتي موضع في القرآن الكريم.

والعبودية الصوفية تشمل جميع الاحوال والمقامات ذلك انها تتحقق في اطار العبودية لله سبحانه كالزهد والتوكل والقناعة وغيرها.

ومن دلائل علو هذا المقام ان الله سبحانه يصف انبياءه ورسله به فيصفهم بِنِعْمَ العبد، وقال سبحانه بحق سيدنا محمد ﷺ **«سبحان الذي اسرى بعبده ليلا»** وقال **«فأوحى الى عبده ما اوحى» «انزل على عبده الكتاب»**.

وحينما هدد الشيطان الانسان بالاغواء والاضلال قال له سبحانه **«انّ عبادي ليس لك عليهم سلطان»** وقال سبحانه في وصف الصالحين **«التائبون العابدون»** وفي آية كريمة أخرى **«ان الارض يرثها عبادي الصالحون»**.

ويتبين من هذا ان هنالك بونا شاسعا بين عبودية واخرى. نقل الامام القشيري في

رسالته[1] اقوال اعلام من التصوف بشأن العبودية، وقال سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول:

**العبودية اتم من العبادة، فاولا عبادة ثم عبودية ثم عبودة.**

**فالعبادة** للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص، والعبودة لخاص الخواص. وسمعته يقول: **العبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين وقال: العبودة ترك الاختيار.**

**وقال** ذو النون المصري: **العبودية ان تكون عبده في كل حال كما انه ربك في كل حال.** وقال الجريري «**عبيد النِعَم كثيرٌ عددهم، وعبيد المنعم عزيز وجودهم**». **قال** رسول الله (ﷺ): **تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة.**

**قال** عبدالله بن منازل: **العبد عبد مالم يطلب لنفسه خادما فاذا طلب لنفسه خادما فقد سقط عن حد العبودية وترك آدابها.** وقيل العبودية شهود الربوبية.

وجاء في كتاب الفاظ الصوفية: ان رجال التصوف يقصدون من كلمة العبد مقام **العبودية** ومن كلمة الرب «مقام الربوبية». والعبودية لعباد الله الصالحين. **فاذا اراد الله سبحانه ان ينعم** على عبده بنعمة العبودية رفعه اليه وحرره من اسار شهواته. **وحينذاك يتنقل في نعم** وطيبات روحية لاتخطر على قلب بشر، **فينسى نفسه ولايذكر** الاربه، **وهذا هو** المقصود بقوله تعالى «**نعم العبد انه اواب**».

**فالعبد** الحقيقي هو ان يكون قلبه حرا عن جميع ماسوى الله عز وجل **ومثله يستحق ان يكون عبدا لله** كما جاء في القرآن الكريم بشأن عيسى عليه السلام «**قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا**» سورة مريم ٣٠... وما سمى **الله** تعالى المؤمنين باسم احسن من العبد، اذ يقول «**عباد مكرمون**» ثم سمى به انبياءه ورسله عليهم السلام **فقال: «واذكر عبادنا» «واذكر عبدنا» «ونعم العبد»**. وكان رسول **الله قد ورمت قدماه** من كثرة القيام ليلا فقيل له يارسول الله (ﷺ) اليس قد غفر **الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر** فقال ﷺ **(افلا اكون عبدا شكورا)**. وقال: خُيِّرتُ **بين ان اكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاخترتُ ان اكون نبيا عبدا.**[2]

---

(١) الرسالة القشيرية ص٩١

(٢) معجم مصطلحات الصوفية ١٨٢

والعبودة عندهم كما جاء في معجم مصطلحات الصوفية: هي العبادة له تعالى اجلالا وهيبة وحياء منه ومحبة له وهي اعلى من العبودية التي هي اعلى من العبادة فالعبادة محلها البدن وهي اقامة الامر، والعبودية محلها الروح وهي الرضا بالحكم، والعبودة محلها العبادة بالسر.

وسأفصله عند بيان الطريقة النقشبندية، ولكني اقول هنا: ان السر من المدركات المعنوية وهي القلب والروح والسر والخفي والأخفى. وجاء في المعجم نفسه: ان سيدنا ابا بكر كان في هذا المقام. جاء في الحديث الشريف: «لم يفضلكم ابوبكر بكثرة صيام ولاصلاة وانما فضلكم بشيء وقر في صدره وذلك الشيء عظمة الله واجلاله» والعبودة والعبودية في اللغة العربية كما جاء في القاموس «منتهى العبودية».

# الباب الرابع

## الاحوال

## الاحوال

١ ـ القبض
٢ ـ البسط
٣ ـ المحو والاثبات
٤ ـ الصحو والسكر
٥ ـ الغيبة والشهود
٦ ـ الشوق
٧ ـ الانس
٨ ـ الوجد
٩ ـ الجلال
١٠ ـ الجمال
١١ ـ الكمال
١٢ ـ المحبة
١٣ ـ اللوائح، والطوالع، واللوامع
١٤ ـ الجذب
١٥ ـ الوارد

## القبض والبسط

هما حالان يمر بهما السالك ففي حال القبض يشعر الانسان بالضيق وفي حال البسط بشعر بالراحة والفرح.

وجاء في كتاب الفاظ الصوفية: **ان القبض يحصل بسبب تسلط الخوف واما البسط فيحصل بسبب تسلط الرجاء.** ففي حالات التفكر في آيات العذاب والوعيد يحصل القبض وفي حالات التأمل في آيات الرجاء والغفران يتوجه البسط الى قلب السالك ويرى البعض انه عند ماتتجلى صفة الجلال يحصل القبض وعندما تتجلى صفة الجمال يحصل البسط. وفي بعض الاحيان يحصل القبض خوفا من زوال ماهو فيه من البركات القلبية التي لايحسها الا السالك ولايعلمها الاالله، وقديحصل البسط املا في الوصول الى المواهب القلبية. قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي «١١٩٦ـ١٢٥٨»:

**القبض ظلمة تظهر تحت النور. والبسط نور الهي يستر قلب السالك.** وبعبارة اخرى: البسط نور على نور، اما القبض فظلمة تحت نور. قال الامام القشيري[1]:

**«القبض والبسط حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء فالقبض للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف:** وقال ان حالتي الهيبة والانس فوق القبض والبسط فكما ان القبض فوق رتبة الخوف، والبسط فوق منزلة الرجاء، فالهيبة اعلى من القبض والانس اتم من البسط. وقال: **فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه في حالتيه بآجله،** اي اما خائف او آمل ولكن صاحب القبض والبسط اخيذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله، اي اما فرح في حاله او مقبوض كذلك.

قال الشيخ عمر السهروردي[2] ص٣٦٠:

**القبض والبسط حالان شريفان.** وقال: وقد تكلم فيهما الشيوخ واشاروا باشارات هي علامات القبض والبسط ولم اجد كشفا عن حقيقتهما لانهم اكتفوا بالاشارة والاشارة تقنع الاهل. واحببت ان اشبع الكلام فيهما. وقال:

---

(١) الرسالة القشيرية ص٣٢

(٢) عوارف المعارف ص٣٦٠

ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لايكونان قبله ولايكونان بعده ووقتهما وموسمهما في اوائل حال المحبة الخاصة لافي نهايتها ولاقبل المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لايكون له قبض ولابسط وانما يكون له خوف ورجاء. وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس ذلك وانما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزازا. او سرور نفساني ونشاط طبيعي يظنه بسطا.

وقال صاحب الطريقة السهروردية بعد ذلك:

والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها ومادامت صفة «الامارة» فيها باقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط، والهم وهج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة الى اوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوّامة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة اليقين، وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه اخرى. ثم قال: ان وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته. والنفس مادامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة وما القبض والبسط الا لظهور الصفتين، وصاحب القلب تحت حجاب نوراني لوجود قلبه كما ان صاحب النفس تحت حجاب ظلماني لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لايفيده الحال ولايتصرف فيه، فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولايبسط مادام متخلصا من الوجود النوراني الذي هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب، فاذا عاد الى الوجود من الفناء والبقاء يعود الى الوجود النوراني الذي هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك، ومهما تخلص الى الفناء والبقاء فلا قبض ولابسط.

وقال نقلا عن احدهم «اولا القبض ثم البسط ثم لاقبض ولابسط، لان القبض والبسط يقع في الوجود فاما مع الفناء والبقاء فلا». ومقصودنا هنا بيان ان القبض والبسط حالان للسالك الصوفي في اولهما يشعر بحال من الاكتئاب المطبق وفي ثانيهما يشعر بفرح السعادة الغامرة.

**المحو والاثبات، الصحو والسكر، الغيبة والشهود:**

قال السهروردي في كتابه عوارف المعارف:

**المحو بازالة اوصاف النفوس والاثبات بما ادير عليهم من اثار الحب كؤوس، والمحو محو رسوم الاعمال بنظر الفناء الى نفسه ومامنه، والاثبات اثباتها بما انشأ الحق له من الوجود به، فهو بالحق لا بنفسه، باثبات الحق اياه مستأنفا بعد ان محاه عن اوصافه. . وقال بشأن الصحو والسكر:**

**السكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود الى ترتيب الافعال وتهذيب الاقوال.**
قال محمد بن خفيف «**السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب.** وفيه «ان **مقامات** الوجد اربعة: الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو.
وفيها يتعلق بالغيبة والشهود قال السهروردي:

**الشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فما دام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة عن الاشياء بالحق فيكون على هذا المعنى راجعا الى مقام الفناء.**

وقال القشيري: **المحو رفع اوصاف العادة والاثبات اقامة احكام العبادة،** فمن نفى عن احواله الخصال الذميمة واتى بدلها بالافعال والاحوال الحميدة فهو صاحب محو واثبات.
ثم قال: **اما حقيقية المحو والاثبات فصادران عن القدرة فالمحو ماستره الحق ونفاه والاثبات ما اظهره الحق وابداه قال الله تعالى «يمحو الله مايشاء ويثبت»**
وقال بشأن الصحو والسكر:

**الصحو رجوع الى الاحساس بعد الغيبة، والسكر غيبة بوارد قوي (من البركات).**
فالغيبة تحصل ببركة ونور اما السكر فهو اقوى من الغيبة في درجة البركة.
وقال بشأن الغيبة والحضور:

**«الغيبة غيبة القلب عن علم مايجري من احوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد مِنْ تَذَكُّرِ ثواب او تَفَكُّرِ عقاب»** فيبلغ حدّاً ينسى فيه نفسه ولايفكر في ثواب او عقاب وقد يمس النار في هذه الحال دون ان يحس بالحرقة والحرارة. جاء الشبلي مرة الى الجنيد وهما من اعلام التصوف، فارادت امرأة الجنيد ان تستتر فقال لها الجنيد، لاخَبَرَ للشبلي عنكِ فاقعدي فلم يزل يكلمه الجنيد حتى بكى الشبلي فلما اخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته استتري فقد افاق

الشبلي من غيبته. وقال السهروردي: سمعت ابا نصر المؤذن بنيسابور وكان رجلا صالحا قال:كنت اقرأ القرآن في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق بنيسابور وقتَ كونه هناك، وكان يتكلم في الحج كثيرا فاثر في قلبي كلامه فخرجت الى الحج تلك السنة وتركت الحانوت والحرفة وكان الاستاذ ابو علي رحمه الله خرج الى الحج ايضا في تلك السنة وكنت مدة كونه في نيسابور اخدمه واواظب على القراءة في مجلسه فرأيته يوما في البادية تطهر ونسي قمقمة كانت بيده فحملتها فلما عاد الى رحله وضعتها عنده، فقال جزاك الله تعالى خيرا حيث حملت هذا، ثم نظر الي طويلا كانه لم يرني قط وقال رأيتك مرة من انت؟ فقلت المستغاث بالله صحبتُك مدة وخرجْتُ عن مسكني ومالي بسببك وتقطعت في المفازة بك والساعة تقول: رأيتك مرة!!!

وهذه حالة الغيبة، واما الحضور فهو انه اذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى انه يكون كانّه حاضر لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه فعلى حسب غيبته على الخلق يكون قربه من الخالق، فان غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة، فاذا قيل فلان حاضر فمعناه انه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه، ثم يكون مكاشفافي حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها. وقد تختلف احوالهم في الغيبة فمنهم من لاتمتد غيبته ومنهم من تدوم غيبته.

وقد حُكي ان ذا النون المصري بعث انسانا من اصحابه الى ابي يزيد فلما جاء الرجل الى بسطام سأل عن دار ابي يزيد فدخل عليه فقال ابو يزيد:ماتريد فقال:اريد ابا يزيد فقال:من ابو يزيد؟ واين ابو يزيد انا في طلب ابي يزيد، فخرج الرجل وقال:هذا مجنون فرجع الرجل الى ذي النون فاخبره بما شهد فبكى ذو النون وقال:اخي ابو يزيد ذهب في الذاهبين الى الله[1].

وفي كتاب معجم مصطلحات الصوفية ورد بشأن السكر والصحو،انّ السكر مقام شريف من مقامات الاولياء لايعقبه الفناء، ولايصله العلم، والصحو مقام فوق السكر مثله كمثل البسط وهو مقام لايطلب ولاينتظر وهو مقام مطهر من الكدورات، وجاء ايضا ان الغيبة ثلاث درجات: غيبة المريد فهو يغيب عن ماله وولده ولايتعلق قلبه

---

(١)انظر عوارف المعارف ص٣٨

بشيء من الدنيا ولايخاف من شيء. وغيبة السالك فهو ينسى علم وفرص الحياة. وغيبة العارف هو ان يغيب عن الاحوال والدرجات ودخل «الجمع» فاقترب من لطفه سبحانه. وفي كتاب معجم مصطلحات الصوفية: المحو رفع اوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله ويحصل منه افعال واقوال لامدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر. ومحو الجمع والمحو الحقيقي هو فناء الكثرة في الوحدة. والاثبات ضد المحو وهو اقامة احكام العبادة. والصحو هو رجوع العارف الى الاحساس بعد غيبته وزوال احساسه وعكسه السكر ومعناه من معنى الحضور والغيبة والفرق بين الحضور والصحو ان الصحو حادث والحضور على الدوام، والصّحو والسُّكر اتمّ واقهر من الحضور والغيبة.

وفي نفس المصدر ورد ان الغيبة غيبة القلب عن علم مايجري من احوال الخلق لاشتغال الحس بماورد اليه، وقيل ان يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها لانه غائب عنها بشهود ماللحق، وورد في نفس المصدر ان الشهود ان يرى حُظوظ نفسه فهو يقابل الغيبة.

قال الشيخ محي الدين العربي: **المحو والاثبات من ثنائيات التصوف كالفناء والبقاء**. وعندما يفقده المحو الوعي بنفسه فهو في اشد حالات، الحضور ومعنى ذلك انه يغيب هنا ويحضر هناك.

اما السحق كما قال محي الدين العربي، فهو الشعور بفناء جسده بسبب تجلى نور الله سبحانه والمحق اقوى من السحق وهو ان لايشعر السالك بوجود نفسه ولايحس بشيء في الكون سوى قدرته سبحانه. ويؤمن بان كل شيء يقع بارادته وقدرته.

---

**الشّوق:**

---

وهو عند بعض اعلام التصوف حالة تعقب المحبة.

وفي معجم مصطلحات الصوفية:

**الشوق هيجان القلب عند ذكر المحبوب**. والفرق بين الشوق والاشتياق ان الشوق يسكن باللقاء والاشتياق لايزول باللقاء بل يزيد ويتضاعف.

والمقصود بالشوق هنا مايعرض لسالكي الطريق الصوفي وهو حالة خاصة لها عالم

خاص ولايمكننا الاحاطة بما قيل في الاحوال والمقامات التي تحصل لارباب الطريق.
وقد ذكر الشيخ السهروردي رأيه ورأي بعض اعلام التصوف في الشوق. يقول بعضهم **«الشوق للغائب ومادام الله سبحانه حاضرا فلا يكون الشوق»** فهو حالة تحصل قبل المشاهدة لذا يرى السهررودي ان الشوق من احوال المحبة. ومن احب الله سبحانه اشتاق اليه وان حال الشوق والمحبة لاتنفك عنه.

ثم قال السهروردي: **وهذه احوال قوم من المحبين اقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد واذا استقرت المحبة ظهر الشوق.**

وسئل ابن العطاء عن الشوق فقال: **احتراق الاحشاء وتلهب القلوب وتقطع الاكباد**، وسئل عن الشوق فقيل له: **الشوق اعلى ام المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد.**

وفي كتاب منازل السائرين: **للشوق ثلاث درجات. شوق العابدين من اجل الجنة والخلاص من نار جهنم، وشوق الوصول الى الله سبحانه.، والدرجةالثالثة هي نار المحبة في القلب تتلظى لايطفيها سوى لقاء ربه سبحانه بالبصيرة**، وجاء في كتاب اللمع **«والشوق يقتضي الانس»**

وقد افتتح القشيري بحثه في باب الشوق بقوله تعالى: **من كان يرجو لقاء الله فإِنَّ اجل الله لآت.**

قال يحيى بن معاذ «٢٥٨هـ»:

**علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات.**

ومن الرسالة القشيرية ايضا سمعتُ السري يقول:

**الشوق اَجلُّ مقامٍ للعارف اذا تحقق فيه.**

«نرى هنا، كل منهم يتكلم عما جربه بنفسه وشاهده ببصيرته وتذوقه في احواله».

## الاُنس:

الانس من حالات التصوف ومعناه هوان قلب السالك يتعلق بحب ربه ولايأنس قلبه الابالله سبحانه. والصوفي في هذه الحال يود العزلة عن الناس ويتمنى ان لايقرب منه احد. واذا التقى جماعة فانه يكون معهم بجسده ويكون مع ربه بقلبه. فهو سعيد

ومسرور بأنسه بربه مهما صادفته المنغصات الحياتية فلا يريد ان ينغص عليه احد ماهو فيه من سعادة وان احب شيء لديه في هذه الحال هو ذكر ربه، والانس قد يبلغ حد الكشف والشهود عند كبار المشايخ الصوفية. وان هذه الدرجة هي من الحالات الوجدانية التي تعجز التعابير اللغوية عن الوفاء والاحاطة بمضمونها. وان عجز اللغة عن استيعاب معاني هذه الاحوال والمقامات الصوفية هو السبب في ان كثيرا من مقاصد التصوف ظل في القلوب دون ان نجد مايعبر عنها، فلا نجد لغة لها ولكل عالم مستقل يختلف عن الاخر ومَثل هذا مثل من يدعو الوفا من الناس لحضور وليمته ويعد لكل منهم قصرا خاصا فيه مطعم خاص به، فصاحب الدعوة واحد والكل مدعوون ولكن حال كل واحد يختلف عن حال الاخر في المنزل والمطعم ولاشك ان اي واحد منهم يروي قصة تختلف عن قصة الاخر في هذه الدعوة، وفي هذه الحال تعجز اللغة عن وصفها فهي امور معنوية تدرك بعين البصيرة ولانفهم منها الاماظهر من الاقوال المروية عنهم. جاء في كتاب معجم مصطلحات الصوفية:

الانس التذاذ الروح بكمال الجمال، وهو اثر مشاهدة الحضرة الالهية في القلب وهو جمال الجلال وقيل الانس ضد الهيبة وقيل مع الهيبة.

وقيل:[1] واهل الانس في الانس على ثلاثة احوال:

فمنهم من انس بالذكر واستوحش من الغفلة وانس بالطاعة واستوحش من الذنب، والحال الثاني من الانس فهو لعبد قد استأنس بالله واستوحش مما سواه من العوارض والخواطر المشغلة، والحال الثالث هو الذهاب عن رؤية الانس بوجود الهيبة والقرب والتعظيم مع الانس.

نقل عن دواد الطائي المتوفى ١٦٥هـ انه صادفه صوفي وسأله: يا ابا سليمان ماهذا الفرح البادي عليك؟ فقال له: **لقد سُقيت فجر اليوم شراب الانس.**

فالانس هو حالة من السرور والسعادة تحصل عند الاحساس بالقرب منه سبحانه ويتجلى نوره سبحانه في قلب المؤمن فتملأ قلب الصوفي سعادة غامرة تجعله لايود ان يقترب منه احد فينغص عليه سعادته.

---

(١)اللمع ص٩٦

## الوجد:

وهو من الاحوال الصوفية.

جاء معنى الوجد:[1] ما صادف القلب من فرح اوغم او خوف او رؤية معنى من احوال الاخرة او كشف حالة بين العبد وبين الله عز وجل.

قال الشيخ السهروردي:[2] **الوجد: مايرد على الباطن من الله يكسبه فرحا او حزنا ويغيره عن هيئته. والتواجد: استجلاب الوجد بالذكر والتفكر، والوجود: اتساع فرحة الوجد بالخروج الى فضاء الوجدان، والوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال. وقال ايضا الغلبة: وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتواتره، ثم قال: مقامات الوجد اربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم اخذته الامواج فعلى هذا من بقي عليه اثر من سريان الحال فيه فعليه اثر من السكر ومن عاد كل شيء منه الى مستقره فهو صاح، فالسكر لارباب القلوب، والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب.**

وكما قلنا: الوجد من الاحوال التي يحس بها الصوفي وقد يحصل لاي مسلم عند قراءة القرآن الكريم او سماع شيء مؤثر فقد يصيح او يبكى وهذا هو الوجد وهو هيجان القلب ويدل على هذا قوله سبحانه **«انما المؤمنون الذين اذا ذُكِرَ الله وَجِلَت قلوبهم» الانفال٢** ويرى اعلام من التصوف ان السالك ترقى درجته اذا ضبط نفسه في حالات الوجد ولم يصدر منه صياح او صراخ، ويرى بعضهم انها صحيحة ولكن الجولان انسب لبعض من حالات الوجد ولكلٍ دليل. ولكن الرأي الغالب هو ان الامساك افضل في هذه الحالات.

وعلينا ان نعلم ان الوجد هو من حالات المبتدئين اي من حالات الذين هم لازالوا في مقام التلوين ولاتحصل هذه الحالة لمن بلغ مقام التمكين.

---

(١)التعرف لمذهب التصوف ص١١٢
(٢)عوارف المعارف ٣٦٧

والحقيقة ان القرآن الكريم اشار الى تغيّر الاحوال ومدح القلوب الخاشعة وذم القلوب القاسية فلنتأمل هذه الآيات الكريمة **«انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم»** الانفال٢ **«الله نزّل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله»** الزمر ٢٣ **« اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا»** مريم ٥٨

**«واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق»** المائدة ٨٣

**«ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا»** الاسراء١٠٩

ويفهم بصورة واضحة من هذه الآيات الكريمة ان الله سبحانه يذكر ارباب القلوب الوجلة والعيون الدامعة، والجلود المقشعرة والجباه الساجدة **«وجلت قلوبهم»** **«تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم»** **«خروا سجدا وبكيا»** **«ترى اعينهم تفيض من الدمع»**

**«ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا»**

هي حالات احس فيها العبد الصالح بالخوف من الله سبحانه فتهيج قلوبهم بالمحبة، وفاضت عيونهم بالدمع بذكر الله او عند قراءة القرآن الكريم. وفي آيات اخرى يذم القرآن اصحاب القلوب القاسية التي اصابها الرَّيَن، فقال تعالى في سورة البقرة بشأن بني اسرائيل **«ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون»**

وقال تعالى **«الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله؟»**

وقال تعالى **«ولايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون»** الحديد١٦ وقال تعالى في سورة الزمر٢٢ **«فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله»**. ونقصد بما ذكرنا واستشهدنا: ان حالة الوجد والبكاء والقشعريرة عند قراءة القرآن الكريم وذكر الله سبحانه تحصل للمؤمنين العابدين وان سالكي التصوف هم العباد المؤمنون حقا. وقسوة القلب عند ذكر الله وقراءة القرآن الكريم هي مظهر الرّين والظلمة، اعاذنا الله منها.

## الجلال والجمال:

كلمتان تردان معا في كُتُب التصوف اولاهما تعني العظمة والثانية من الجميل الحسن.

وهما هنا من صفات الله سبحانه، وقد يحس بهما سالك الطريق الصوفي قال سبحانه «**كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام**» الرحمن ٢٦، ٢٧.

وقال سبحانه «**تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام**» الرحمن٧٨.

وقد يتذوق السالك من جلال العظيم او من جماله في حال السلوك فان منح الله سبحانه تجليا لصفة جلاله في قلب عبده السالك فان الدهشة تملأ قلبه، وان منح الله سبحانه تجليا لصفة جماله في قلب عبده فان حالة من الرغبة تملأ قلبه. فالسالك يفنى في تجلي الجلال ويحيا في تجلي الجمال. وهذا الفناء والحياة امران معنويان لايقاسان بالميزان المادي وحالان لايدركهما الامن احس بهما. ويُفهم مما سبق ان كشف الجلال يؤدي الى المحو والغيبة وقد ذكرناهما تفصيلا اما كشف الجمال فيؤدي الى الصحو والقرب من الله سبحانه، قال الشيخ محي الدين العربي: **العارفون بالله اذا كاشفهم بجلاله غابوا واما المحبون اذا كاشفهم بجماله طابوا.** ثم قال.. **فمن غاب فهو مهيم ومن طاب فهو متيم**، وقال: **الجلال صفة الجبروت لله سبحانه والجمال من صفات اللطف والرحمة.**

وفي كتاب معجم مصطلحات الصوفية: **الجلال صفة القهر وهو عبارة عن صفة العظمة والكبرياء والمجد والسناء، وكل جمال له جلال فان شدة ظهوره يسمى جلالا كما ان كل جلال فهو في مبادىء ظهوره على الخلق يُسمّى جمالا، ومن هنا قيل ان لكل جمال جلالا ولكل جلال جمال. واما الجلال المطلق والجمال المطلق فانه لايكون شهوده الا لله وحده لان الجلال ذاته باعتبار ظهوره من اسمائه وصفاته كما هي عليه له في حقه. واسم «الله» فيه معنى الجلال والجمال.**

وجاء في نفس المصدر ان الجمال يطلق على معنيّيْن احدهما الجمال الذي يعرفه الجمهور مثل صفاء اللون ولين الملمس وحسن المنظر وثانيهما الجمال الحقيقي وهو صفة ازلية لله سبحانه، وعند الجرجاني: الجمال من الصفات مايتعلق بالرضا واللطف، وعند الكاشاني: الجمال هو اوصاف لطف الله ورحمته، وقال ابن الدباغ: الجمال مطلق ومقيد وفيه مقال طويل لاعلاقة له ببحثنا.

ثم قال صاحب معجم مصطلحات الصوفية: عند الانسان الكامل جمال الله تعالى

عبارة عن اوصافه العليا واسمائه الحسنى هذا على العموم، واما على الخصوص فصفة الرحمة وصفة العلم وصفة اللطف والمنعم وصفة الجود والرازقية والخلاقية وصفة النفع فكلها صفات جمال، ثم صفات مشتركة لها وجه الى الجمال ووجه الى الجلال كاسم «الرب» فانه باعتبار التربية والانشاء اسم جمال وباعتبار الربوبية والقدرة اسم جلال.

وكذلك قال الشيخ محي الدين العربي بشأن الهيبة والانس: هما حالان للسالك من صفات الجلال والجمال وتحصل الهيبة من مشاهدة الجلال في القلب وقد تحصل من مشاهدة جمال حصل من الجلال اما الانس فيحصل بمشاهدة جمال الله سبحانه. وفي موضوع الجلال والجمال جاء في كتاب القدسية للشيخ محمد بارسا (٧٤٩-٨٢٢) وهو كتاب يضم اقوال الشيخ بهاء الدين النقشبند مؤسس الطريقة النقشبندية، «**حيث ان السالك يهذب بصفتي الجلال والجمال، فان جلاله جمال وجماله جلال وعند استيلاء الخوف عليه يلجأ الى الرجاء وعند غلبة الرجاء يعود الى حال الخوف**».

وفي الوقت الذي يكون مظهرا لصفة الجلال فانه يستطيع التوجه لصفة الجمال. وقال النقشبند: قال المحققون: يَجِبُ ان يكون السالك قد وصل حقيقة المحبة الذاتية قبل ان يتلقى دروس التربية بصفتي الجلال والجمال وعلامة الوصول الى حقيقة هذه المحبة هي ان تتوحد امامه الصفات المتقابلة من المعِزّ والمذِلّ الضار والنافع. ومعناه ان تجعله هذه المحبة راضيا بكل مايصيبه دون تفريق بين ماهوضرر او نفع. وفي هذا المقام يصبح ربانيا، وفي الحديث القدسي «**كن ربانيا تقل للشيء كن فيكون**»

فان تخلص الانسان من الصفات الحيوانية وتحلى بالاخلاق الالهية فان الله سبحانه يحقق له مايطلب ولكن الامر المهم هو ان السالك حينما يصل هذا المقام لايطلبُ الّارضوانه سبحانه فهم بشر جسدا وملائكة روحا ولايريدون سوى عبادته وليس في قلوبهم محل لشيء اخر، كما قال النقشبند في بيت ترجمته: **لاولياء الله قدرة من الله على اعادة السهم الى قوسه رغم انطلاقه.**

وقال الشيخ النقشبند في موضوع الولاية في كتاب «القدسية»:

**ان الواصلين الكاملين هم قسمان اولهما اناس قربوا من الجلال، ووهبوا من تجلي صفته. وهم وصلوا الى الكمال فغرقوا في بحر الجمع ومشوا الى بيداء الفناء وهم في حال انفسهم لم يكلفوا بتربية الاخرين وتكميلهم فحلوا في قباب الغيرة وقطنوا في ديار الحيرة. ومن كان في الحيرة، وفاقد الوعي بنفسه وبغيره فلا يمكنه العمل لايصال غيره. وهؤلاء حرموا من تمثل عمل الانبياء (في الدعوة والتبليغ) وثانيهما اناس لو**

**فقدوا قلوبهم رجعت اليهم بقدرة الجمال الازلي الذي ينقذهم من بيداء الفناء ويمنحهم القوة في الحكم بين الناس وبفضل العناية الازلية يعود هؤلاء الغارقون في بحر التوحيد الى ميدان البقاء ليؤدوا وظيفة الارشاد والتربية. وليدعوا الناس الى النجاة والنصر المعنوي.**

**وهؤلاء هم «الكاملون المكملون». وقد بلغوا هذه المرتبة العالية بفضل اتباع سنة النبي الكريم محمد ﷺ. وقد اذنوا بتبليغ دعوته ورسالته كما قال سبحانه «قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» يوسف ١٠٨.**

**«ومَنْ أحْسنُ قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين» فصلت ٣٣**
**«وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»** السجدة ٢٤
واقول: هؤلاء الرجال الكبار الذين يحسّون بضوء الجمال هم سعداء رحماء واسعو الصدر لايبالون بمن يؤذيهم او بمايؤذيهم فهم مشغولون بسعادتهم ليس الا. اما الذين احاط بهم ضوء الجلال فلو مر بهم طائر دون رغبتهم لقطعوا جناحيه. ويبتعد عنهم من عرف انهم في هذه الحال ولكن كيف نعرفهم؟ وطوبى لمن رزقه الله نصيبا من هذه المواهب العالية!!

## الكمال - الكامل - المكمِّل:

الكمال ضد النقص: ومعاني هذه الكلمات معروفة.
وتأتي كلمة الكامل والمكمل في مصطلحات الصوفية كثيرا ويقال المرشد «الكامل والمكمِّل». وقد ذكرناهما في مبحث الجمال والجلال.

ولابد من بيان «ان الكمال المطلق لله سبحانه وحده» فالانسان لايبلغ حد الكمال مطلقا، ومهما يكن جميلا او عاقلا او قويا فانه يهرم ويموت اخيرا: **«كل نفس ذائقة الموت»** فالكمال الانساني هو كمال نسبي. وان سيدنا محمدا ﷺ بلغ منتهى الكمال الانساني، قال تعالى **«وانك لعلى خلق عظيم»** ومع عظمة وكمال الشخصية المحمدية، يقول سبحانه وتعالى لمحمد(ﷺ) في القرآن الكريم **«انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين»** القصص٥٦

هذا في الوقت الذي كان الرسول ﷺ يتمنى هداية ابي طالب للاسلام. ويتبين ان

الهداية بمعنى الوصول، بيد الله وحده وقال سبحانه **«وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم»**.

ونقصد هنا ان الانسان وهو النبي الكريم محمدﷺ اُمِر بتبليغ دعوة الاسلام والهداية والحق وكذلك الانبياء من قبل والعلماء الصالحون من بعد «العلماء ورثة الانبياء». ومع ان الطريق هو طريق الحق والرشاد، فان الهداية بيد الله وحده.

وان مسؤولية الارشاد والتعليم قديمة قدم الانسان اذ تبدأ من آدم عليه السلام اذ انبأ الملائكة باسمائهم وعلمهم اياها وتقديرا لوظيفة التعليم امر الله سبحانه ملائكته بالسجود لآدم، وهو سجود احترام لاسجود عبادة، كسجدة اخوة يوسف ليوسف.

وقد اشار القرآن الكريم الى الانسان الكامل في سورة البقرة ٣٠/٣٤ **«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة»** ولانهم لم يعلموا كل شيء حاروا و **«قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك»** فاراد الله سبحانه ان يشعرهم بقيمة الانسان الكامل **«قال اني اعلم مالاتعلمون»** **«وعلم آدم الاسماء كلها»** وليس المراد بالاسماء اسماء الملائكة بل المراد كثير من الاسرار التي لاعلم للملائكة بها وبعد ان ملأ صدر آدم بالعلم بقوله **«كن فيكون»** **«ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم. قال ياآدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم بأسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون»**.

وعندما تبينت للملائكة، الحقيقة الانسانية في جوهر آدم الذي احاطه الله بالافضال والكمالات، قال سبحانه **«واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس وكان من الكافرين»**.

وقال سبحانه وتعالى بشأن خلافة داود في سورة ص٢٦ **«يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى»**.

ومعنى ذلك ان الانسان الكامل يمكن ان يرشد الناس بأمر ربه.

وهذا الكمال المعنوي هو كمال دائم ينتقل من درجة الى اخرى وفي نظر التصوف يبدأ بالولاية الصغرى ثم الكبرى ثم يحصل مقام البقاء بعد الفناء وهذا المقام يتحقق بعد اجتياز المقامات التي ذكرناها مثل الزهد والتوبة وغيرهما. وَمَنْ منحه الله هذا الكمال يصلح للارشاد وهو كمال لايرقى الى كمال الانبياء وافضله الكمال الانساني لمحمد ﷺ.

وقد ذكرنا في مبحث الجلال والجمال ان الكامل هو من بلغ اولى درجات الكمال، وهو يستطيع المضي في اموره المعنوية دون مرشد، اما الكامل المكمل فهو من اجتاز اُولى درجات الكمال وله الحق بالاجازة المعنوية في ايصال الاخرين الى مقاماته ومثله مثل المعلم الذي تعلم من غيره وله القدرة على تعليم غيره ماتعلم، ومثل الدليل الذي يقود من لايعرف المدينة الى دروبها. وكثيرا ما يتجاوز التلميذ في تعلم مقام استاذه في العلم وكذلك رجال التصوف ونرى كثيرا من رؤساء الطرق الصوفية قد حصلوا مقامات اعلى من مقامات شيوخهم والله اعلم بهم وبشؤونهم. وهؤلاء يستحقون ارشاد الناس الى معرفته سبحانه قال تعالى **«قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة اناومن اتبعني»** **«ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين»** وتنطبق هذه الايات على هؤلاء الرجال المرشدين وبشأنهم يقول سبحانه **«وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»**.

## المحبة:

المحبة، من الحب وهو ميل القلوب، وهي عند الصوفية تختلف عن الحب الجنسي كما تختلف عن الحب العاطفي كحب الاولاد والاموال وحب النفس وشهوات الدنيا، ذلك ان حبنا الدنيوي حب مجازي زائل، اما الحب الصوفي فهو حب حقيقي لأنه حب دائم وهو حب لله الذي لايموت، ويأتي فضلا من الله سبحانه وموهبة فيكون حالا كما قال الشيخ عمر السهروردي ويأتي بمجاهدة النفس ومداومة الذكر والعبادة فيكون مقاما وقد ذكره معظم مصادر التصوف، وكَتَبَ صاحب قوت القلوب (٣٠) صفحة عن المحبة وتتلخص في النقاط التالية:

١ـ المحبة عند الصوفية ان يكون الله سبحانه احب الى العبد من المال والولد وكل شيء في الدنيا.

٢ـ المحبة ان يكون سلوك العبد موافقا لاوامر المحبوب جل وعلا. ويذكر في هذا الباب بيتان لشهيدة العشق الالهي ورمز طريق المحبة رابعة العدوية وهي تقول:

تعصى الاله وانت تُظهر حبه      هذا لعَمري في القياس بديع
لوكان حبك صادقا لاطعتَه      ان المحب لمن يُحِبُّ مطيع

٣ـ المحبة تقتضي مداومة الالتزام بطاعة المحبوب. وهي اهم الانواع، ذلك ان العاصي المذنب قد يعبد ربه وقد يخالف اما العابد المحب فانه لايخالف اوامر الله سبحانه.

قال محمد بن على الكتاني: **المحبة الايثار للمحبوب.**

وكما ان المتسابق يود الفوز فيه فان الصوفي في مقام المحبة يعمل ليحوز الدرجة العالية في هذا المقام. ولهذه المحبة فائدة لاتُقدَّر بعوض ذلك ان من احب الله احبه الله، ومن احب الله اطاعه واتبع رسوله الكريم سيدنا محمدا ﷺ، قال تعالى في سورة آل عمران. **«قل ان كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله»** فعلامة حبه تعالى اتباع سنة نبيه وثمرتها ان الله سبحانه يحبه. الايرى ان من صفات المؤمنين انهم يحبونه سبحانه، قال تعالى في سورة البقرة **«يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله»**.

وبهاتين الآيتين تتضح محبة الله للمسلمين، ومحبة المسلمين لله سبحانه، ومن اغراض التصوف الوصول الى المحبة.

وقال النبي ﷺ **«المرء مع من احب»** وهو بشرى عظيمة للذين يحبون الله سبحانه.

ومع ان الاساس هو حب الله وحده سبحانه فان محبة الانبياء والاولياء تعكس محبة الله سبحانه لانها من اجل هذه المحبة.

وجاء في كتاب معجم مصطلحات الصوفية:

**المحبة تنقسم الى عشرة اقسام، خمسة منها مقامات المحبين السالكين، فاولها الالُفة ثم الهوى، ثم الخِلّة ثم الشَغَف ثم الوَجْد، اما مقامات العشاق فاولها الغرام ثم الافتتان ثم الوَلَه ثم الدّهش ثم الفناء.**

. اما الدكتور زكي مبارك فقال نقلا عن محمد بن داود في كتابه التصوف الاسلامي حول مقامات العشق واحوال الحب **«تبدأ بالاستحسان ثم تقوى فتصبح مودة ثم تقوى فتصبح محبة، ثم تقوى، فتصبح خلة، ثم تصبح هوى والهوى يصبح عشقا ثم تتيما ثم ولها»** ويقول: الشوق مع هذه الاحوال جميعها وكلما اشتد الحال اشتد الشوق وان كبار مشايخ التصوف يرون ان الشوق حال يعقب المحبة.

وقال الشيخ عبدالقادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف: ذكر العلماء للمحبة مراتب عشرا:

**العلاقة، الارادة. الصبابة. الغرام. الوداد. الشغف. العشق. التتيم. التعبد. الخلة.**

والحقيقة ان اعلى درجات المحبة للصوفي هي ان يحب الله سبحانه ويحبه الله كما قال تعالى «يحبهم ويحبونه» المائدة ٥٤ كما ان الصوفي في مقام الرضا يتمنى الوصول الى

رضوان الله عليهم وهم قد رضوا عنه قال تعالى «رضي الله عنهم ورضوا عنه» البينة٨.
ومن امنية الصوفي ان يذكره ربه كما يذكره هو دوما كما قال تعالى «فاذكروني اذكركم» البقرة١٥٢

وقد وردت في المحبة آيات كريمة عديدة كما وردت احاديث نبوية شريفة واقوال للصالحين تدل على ان المحبة ليست دعوى اللسان بل هي سلوك عملي، وللحب علامات تدل عليه منها، اتباع اوامره سبحانه وايثار حبه على كل محبوب بحيث يتساوى عنده ربحه وخسارته، ميلاد ولده ووفاته لان الكل لله ولابقاء الا لله وحده. ومايوجد اليوم يذهب غدا ومن لم يمت اليوم يمت غدا. ويقال : مَرَّ بعضُ الصوفية على رجل يبكي على قبر، فسأله عن سبب بكائه فقال: ان لي حبيبا قد مات. فقال: لقد ظلمت نفسك بحبك لحبيب يموت، فلو أحببت حبيبا لايموت لما تعذبت بفراقه.

وأُضيف: انه ليس المراد سلب العاطفة الانسانية بحيث يستعذب المرء فقد الولد الحبيب. والمقصود هنا التعبير عن حال المحبة الصوفية التي تتمكن من قلبه بحيث تستغرق وجدان الصوفي فلا يجد متسعا للتفكير في غيره فيؤمن بان النعمة والالم من الله سبحانه والمحب الحقيقي لايتبرم بالشكوى من فعل محبوبه الحقيقي. وكمثال على ذلك اذكر اننا نقبل من اولادنا الذين نحبهم مالانقبله اطلاقا من غير اولادنا. واننا نتحمل كثيرا من اعباء الحياة الشاقة في سبيل الحب المجازي والعشق الدنيوي، ونتحمل كثيرا من المنغصات في سبيل الدنيا ودرجاتها. الا نقضي سنوات الشباب ونضارة العين من عمرنا لنيل شهادة؟ ولايتنبه الواحد منا الا بصفعة من الشيخوخة في الظهر او الرأس فيطل الموت وشبحه الرهيب حيث لاتنفع الشهادة ولاينفع الندم. فكيف لانستعد بجهاد النفس وفي اي حال: للحياة الابدية والشهادة الابدية والحب الابدي. فاين هذا الحب من ذاك؟ هذا خالد وذاك ميت. وقد بيّن القرآن اوصاف العباد الذين يُحبُّهم فهم «محسنون» «توّابون» «متطهرون» «متقين» «الصابرين» «المتوكلين» «المقسطين» «الذين يقاتلون في سبيله صفا» الذين يتبعون الرسول (ﷺ) «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»

ومن اراد ان يحبه الله فعليه ان يتحلى بهذه الاوصاف، ويتخلى عن الصفات الذميمة ونستشهد بالآيات الكريمة التي تحدد اوصاف من يحبهم واوصاف من لايحبهم اي

الصفات الحميدة والصفات الذميمة.
الاوصاف الحميدة: **واحسنوا ان الله يحب المحسنين ٢/١٩٥**
**يحب التوابين ويحب المتطهرين ٢/٢٢٢**

**يحب المطهرين ٩/١٠٨ يحب المتقين ٣/٧٦ يحب الصابرين ٣/١٤٦ يحب المتوكلين ٣/١٥٩ يحب المقسطين ٥/٤٢ يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ٦١/٤ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ٣/٣١**

وهذه هي الايات الكريمة التي نزلت بشأن الصفات الذميمة التي يتجنب عنها المسلم والصوفي منه بالاخص.

**ان الله لايحب المعتدين ٥/٨٧ والله لايحب الفساد ٢/٢٠٥ والله لايحب كل كفار اثيم ٢/٢٧٦ فان الله لايحب الكافرين ٣/٣٢**

**والله لايحب الظالمين ٣/٥٧ و١٤٠. لايحب من كان مختالا فخورا ٤/٣٦ لايحب من كان خوانا اثيما ٤/١٠٧ لايحب المفسدين ٥/٦٤**

**انه لايحب المسرفين ٧/٣١ انه لايحب المعتدين ٧/٥٥**
**ان الله لايحب الخائنين ٨/٥٨ انه لايحب المستكبرين ١٦/٢٣ انه لايحب الظالمين ٤٢/٤٠**

واتضح الان ان المحبة الحقيقية وهي من احوال التصوف: عبارة عن حب يجعل السالك يؤثر ربه سبحانه على نفسه وماله وكل شيء في دنياه.

**اللوائح. الطوالع. اللوامع:**

جاء في معجم مصطلحات الصوفية:
**هذه الكلمات متقاربة المعنى وهي من صفات اصحاب البدايات الصاعدين في الترقي بالقلب، واللوائح كالبروق ماظهرت حتى استترت واللوامع اظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة والطوالع ابقى وقتا واقوى سلطانا وادوم مكثا واذهب للظلمة.**

وهي احوال البدايات الصوفية وقبل ان تشرق شمس المعرفة الالهية في قلب السالك. قال الامام الغزالي في كتابه المنقذ: **قد يتجلى نورُ في قلب السالك المبتدىء ثم ينطفىء ولايلبث ان يستقر تدريجيا فيستضيء قلب السالك ويصفو كالنهار.**

## الجذب:

وهو عبارة عن جذب الله تعالى عبدا الى حضرته، والجذبة: عبارة عن تقرب العبد بمقتضى عناية الله التي اعدت له كل شيء من جانب الله بلا تعب وسعي منه. ويقال لمن يصل من طريق الجذبة «المجذوب» وقد يحصل هذا دون مرشد او بمرشد، ويقال «المجذوب» للسالك الذي يجذبه ربه الى حضرته دون طلب او عمل منه.

## الوارد:

وهو كل مايرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد وقيل الفرق بين الوارد والبادي: ان الوارد مايرد بعد البادي فيستغرق القلوب، فالوارد منحة الهية وبركة يفيضها الباري سبحانه في قلب السالكين.

وهذا رأي صاحب اللمع؛ ويقول القشيري في رسالته:
الوارد مايرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لايكون بتعمد العبد، قد يكون واردا من الحق وواردا من العلم، والواردات تكون وارد سرور او وارد حزن او وارد قبض او وارد بسط الى غير ذلك من معان.

# الباب الخامس

## مصطلحات صوفية



ونعني بها: ______________________

١ ـ الرياضة
٢ ـ المجاهدة
٣ ـ الكشف
٤ ـ الكرامات
٥ ـ النور
٦ ـ القلب
٧ ـ النفس
٨ ـ الذكر
٩ ـ الاشراق
١٠ ـ المشاهدة
١١ ـ اللاهوت
١٢ ـ الناسوت
١٣ ـ الجبروت
١٤ ـ الملكوت
١٥ ـ العناصر الاربعة
١٦ ـ الولي
١٧ ـ المريد
١٨ ـ الخليفة.

## الرياضة والمجاهدة:

هما كلمتان تعبران عن مقاومة هوى النفس ورغباتها الدنيوية المجردة وكبح جماح النفس واهوائها.
وفي القرآن الكريم آيات كريمة تحض على هذه المقاومة منها قوله تعالى **«فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى»** . ومنها قوله تعالى في شأن المجاهدة: **«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»** سورة العنكبوت ٦٩.

والرياضة تختص في مصطلح التصوف بمقاومة النفس وتربيتها وتزكيتها اما المجاهدة فلفطامها عن الرضع الذي تعلقت به، فمن المعلوم ان النفس اذا خليت وطبعها قادت صاحبها الى الهاوية واسقطته في هوة سحيقة لاخلاص منها، قال تعالى: **ان النفس لامارة بالسوء.**

وسبيلنا لترويض النفس وقلبها الى ملهمة او مطمئنة او مرضية هو التربية الحكيمة دون تَملل وفطمها عن رغباتها كما يفطم الطفل عن حليب الام خطوة فخطوة وكبح جماحها في كل حرام وكل صفة ذميمة ثم تزيينها وتهذيبها بالاخلاق الحميدة ولكن هذا التحول النفسي ليس بسهل المنال بل قد تتحول الرياضة الصوفية الى امر منكر في الشرع لايحصل السالك منها الا الخسارة لو كان قد ارادها سمعة وتظاهر بانه صاحب دين ورجل صالح، لا من اجل رضوانه سبحانه.

فكيف يكون الحكم بحق قطاع الطرق والسيئين الذين لايتورعون عن الكذب والخداع من اجل المال والجاه ولا عن جمع الثروة على حساب البسطاء المخدوعين؟ وهي امور بعيدة عن الانسان العادي الذي لايتظاهر بدعاوى الدين فكيف الحال فيمن يريد قرب ربه وارضاءه؟

والرياضة هي الكبح والفطام النفسي، والمجاهدة هي اتباع اوامره واجتناب نواهيه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة قوية لكل ذنب ومنكر وحرام وقد تصل في نظر التصوف الى حد يحيل الانسان كالملائكة فلا يعبد الا ربه ولا يعمل الا مايرضيه ويتحلى باخلاق القرآن.

ونذكر هنا ان الخلوة الاربعينية هي رياضة صوفية مجربة ومفيدة للذين يريدون بلوغ المرام بالسلوك الصوفي وتهدف الى قهر النفس حتى يتمكن الانسان من الهيمنة عليها وتوجيهها كما يشاء لا كما تشاء كما يخضع الخيل الجموح لصاحبه بعد التدريب وكما يخضع الاطفال لتلقي الدروس بعد التعليم والتوجيه. الا يرى ان الذين يتسلقون الجبال يعانون العذاب المضني وعندما تستقر اقدامهم على قممها ينتهي عذابهم ويفرحون فلا معاناة ولاعذاب بعد الوصول.

وقد يقال ان الرياضة بدعة اذ لم يمارسها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كما لم يمارسها اصحابه ولكنه مردود بعدة وجوه منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في غار حراء للتفكير في الخلق وهو نوع من الرياضة ومنها ان الله سبحانه شرح صدر محمد وطهره قال تعالى «الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك» فقد تحققت له الغاية دون الرياضة لذلك لُقِّب بالامين عند قريش ومنها انه كان موصوفا بعناية الله سبحانه ورعايته،وكفى الاصحاب في المقام شرف صحبة النبي وقد حفلت حياتهم بالجهاد والعبادة والتهجد وبالخلق الاسلامي الرفيع وبمثل القرآن الكريم في السلوك الرضي.

وفي القرآن الكريم آيات تستنهض عزائم القلوب المؤمنة لقيام الليل عبادة لله سبحانه وللتقوى والمجاهدة والذكر بالاسلوب الاخاذ المعجز منها قوله تعالى: «ام من هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه» ومنها قوله تعالى «واتقوا الله ويعلمكم الله» وقوله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» وقوله تعالى «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون» السجدة ١٦ وقوله تعالى «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار» ال عمران ١٩١ ولو تأملنا هذه الايات الكريمة لفهمنا بوضوح معنى الرياضة من قيام الليل وقلة النوم والدعاء والرجاء والتفكر في خلق السماوات والارض والذكر ليلا ونهارا وفي التقوى.

ومع ان القرآن الكريم يحث على الانتفاع بطيبات الدنيا في ايات عديدة فانه يبين للانسان ايضا حقيقة ان الدنيا فانية وان ماعند الله خير وابقى.

وقد علمنا من تجربة الامام الغزالي الصوفية ان الرياضة والتهجد لمدة طويلة ضرورية لتذوق العلم وقد جرب مشايخ التصوف الخلوة الاربعينية وفيها يستغرق الصوفي في العبادة بشوق ويتنور قلبه بما يحركه للاستدامة على هذا الطريق.

وفي القرآن الكريم امثلة لها من قصص الانبياء،منها قصة زكريا في سورة ال عمران حينما دعا ربه **«فهب لي من لدنك وليا»** وتقبل الله دعاءه **«يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى»** فدعا ربه ان يأمره بشيء يعمله شكرا على لطفه **«قال رب اجعل لي اية»** فاستجاب له ربه **«قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار»**. وكذلك عندما امر الله سبحانه موسى بالسير الى جبل الطور ليكلمه قال سبحانه **«واذواعدنا موسى اربعين ليلة»** وفي سورة الاعراف **«وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة»**.

ويستدل بهذه الاشارات على ان القرآن الكريم فيه مايدل على العزلة في اربعين يوما بالتحديد.

وقد عرف السالكون بالتجربة ان هذه العزلة نافعة في ترويض النفس وكبح جماحها وفي التعود على العبادات بخشوع وتأمل.

---

**الكشف والكرامات:**

---

هما من ثمرات السلوك في درب التصوف ومن قبيل خرق العادة الذي يَعْني عملا خارج حدود الامكان البشري عقلا.

فان صدر مثل هذا العمل من رسول كريم تحديا فهو معجزة كاحياء الميت لسيدنا عيسى وقلب العصا حية لسيدنا موسى وكالقران الكريم الذي جعله الله المعجزة الدائمة لسيدنا خاتم الانبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وان صدر من رجل صالح دون دعوى النبوة والتحدي فهو من قبيل الكشف والكرامات اما اذا ظهر من غير مسلم او من مسلم فاسق فهو من قبيل الاستدراج

من الشيطان والفرق بين المعجزة والكرامة هو ان المعجزة علامة صدق النبي في دعوى نبوته فهو مأمور باعلانها حتى يكون حجة على الناس اما صاحب الكرامة فانه يسعى لاخفائها الا اذا اضطُرَّ لاقناع الضالين.

ورد في كتب التصوف ان كبار مشايخ التصوف تمنوا حرمانهم من الكشف والكرامة «الحاسة الروحية» إما لخوفهم من الغرور او ليتجنبوا الاطلاع على اسرار الناس وقد تمنى بعضهم عند سكرة الموت انه لم يكن يعرف شيئا من هذا الباب مخافة انه قد اتكل على منزلته فلم يؤد ما عابه من الخشية والخشوع.

ومن المعروف في التصوف ان الكشف ليس دليل علو المقام فقد يحصل لمجنون ويحتجب عن ولي صالح ومثله كالذي يحوز القوة العضلية بالرياضة والتدريب وهو اقل منزلة من رجل ضعيف والامر الاساس في الميزان هو تقوى الله واتباع شرعه.

وقد يحصل الخارق ارهاصا للنبوة ومثاله تصدع ايوان كسرى في ليلة مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اما المعونة فقد تحصل لرجل صالح وهي ان يقبل دعاؤه مثلا.

اما الفرق بين الغيب والكشف فهو ان العلم بالغيب هو معرفة المحجوب والسر المخفي في الماضي او الحاضر او المستقبل متى وكيف شاء والكشف هو ان الله سبحانه اذا اراد يرفع الحجاب عن عين البصيرة فنظهر الاشياء، وهو لايعني العلم بالغيب.

وإذا كان الرسل والانبياء لايعلمون الغيب فالاولياء لايعلمون الغيب بالطريق الاولى. قال سبحانه وتعالى **«قل لااقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك. ان اتبع الامايوحى الى»** الانعام ٥٠.

وقال سبحانه **«قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون»** الاعراف ١٨٨.

**والكشف**: ازالة الحجاب عن بصيرة القلب للاطلاع على اسرار يريد الله سبحانه كشفها كما قال الغزالي في كتابه المنقذ «وانكشف لي في هذه الخلوات امور لايمكن احصاؤها واستقصاؤها» وقال «ومن اول الطريق تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد» فالكشف هو الاطلاع على ماراء الحجاب من المعاني الغيبية، والكرامة عبارة عن تحقيق العمل الخارق كقبول دعاء الاولياء عند الله.. لشفاء مريض او لكشف غم او بركة في الرزق وغيرها وهناك خوارق كجلب عرش بلقيس من بلد في طرفة عين باذن الله.

ويرى مشايخ التصوف ان كرامات الاولياء هي امتداد لمعجزات الرسول (ص) وما حصلت هذه الكرامات الا بسبب اتباع سنته صلى الله عليه وسلم.

وقد تحصل امور خارقة للعادة ظاهرا بسبب رياضة النفس وتدريبات ذهنية ونفسية وجسدية كما هو الحال في اليوغا الهندية وتعتبر كما قلنا آنفا من قبيل الاستدراج.

قال ابو يزيد رحمه الله: **لو ان رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروابه حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي.** فالمسلم من طبق تعاليم الشرع لامن حصل له امر كهذا وهؤلاء لاتكشف لهم الاسرار ويلتقون مع ارواح الانبياء والملائكة بخلاف اولياء الله ومن الواضح ان صاحب الاستدراج يسعى للاستفادة من عمله ماديا او سمعة كما يرى من مظاهر الاحتفاء به ودفع الاجور لمشاهدة اعماله واما صاحب الكرامة فيسعى لهداية الناس لالجلب الاموال وهو لايظهرها الا اذا اقتضت الضرورة.

وقد يحصل الكشف والكرامة معا لرجل صالح كأن يُكْشَف له ان احد المريدين قد ابتلى بآفة فيدعو له بالشفاء فيستجاب له.

واحتفظ بوثيقة في هذا النوع حصل لشيخي ووالدي وهي: **اننا كنا نعيش في سوريا ابان الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤ وصلتني رسالة من الوالد قدس سره وهو في بياره في العراق وكتب في هامشها بخطه الشريف هذه العبارة «قبل كم ايام سمعت صوتا قال: ابن عبد الخالق مريض. ما ادري اصحيح ام منادٍ غير صادق اخبروني!!» والواقع انه في نفس الوقت مرض ابن عبد الخالق (وهو من مريدي الشيخ معنا) بالتيفوئيد فعُرض على الاطباء الفرنسيين فعزلوه واستصعبوا شفاءه الا بعد مدة طويلة ولكنه سرعان ما شفي تماما فتعجب الاطباء من ذلك، فهنا كشفٌ وكرامة. الكشف هو معرفة حال المريض مع بعد مئات الكيلومترات، وقبول دعاء شفائه من جانب الحق كرامة.**

اما الرأي الفقهي والكلامي في جواز وامكان الكرامات فقد بسط فيه الكلام في علم الكلام.

١٣ صفر
١٣٦٤

نبدأ بإهداء الدعاء والسؤال عن صحتكم فمنذ أن وصلتم البوكمال
وجاءت برقية احمد افندي بوصولكم هناك لحد الآن لم
نستلم منكم ولا من اخويكم كتاباً ينبئ بأحوالكم
وقبل شهر أرسلنا مكتوباً بالبريد ولم نر الجواب
[illegible]
ايضاً فالمطلوب منكم ارسال المكتوب المنبئ
بصحتكم وعافيتكم على الفور واينما كنتم حتى
يزول القلق الذي اصابنا من جرائه
نحيطكم ان والدتي زاهدة واخاكم ناجي
والاولاد من البنين والبنات كلهم في صحة
وراحة ويسلمون عليكم مع [illegible]

ولقد توفيت سعادت زوجة [illegible] على اثر وضع الحمل في ١٦
وتركت ولداً ذكراً غفر الله لها ولنا اجمعين ونظراً
اكتفينا بهذا المختصر فارجو ابلاغ السلام الى جناب الشيخ
ان كنتم في دير الزور والى الشيخ [illegible] ان كنتم في البوكمال وعلى كافة
[illegible] صغيراً وكبيراً واقبلوا [illegible] واديبه وفطم
عن محمد صبحة ولا تكونوا في عائلة محمد [illegible]

## النور:

النور يُطلق على معان عديدة ومعناها الظاهر نقيض الظلمة وهو الضياء وفي نظر التصوف هو الضوء الذي يحيط بقلب المرء فيحس بضوء جميل اخاذ وبرائحة جميلة وطعم لذيذ احساسا قلبيا معنويا لايخضع للوصف والتعريف.

وقد جاء في القران الكريم بمعان عديدة:

١ ـ انه اسم من اسماء الله الحسنى **«الله نور السموات والارض»** سورة النور ٣٥

٢ ـ اسم من اسماء القرآن الكريم والكتب السماوية **«فآمنوا بالله والرسول والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير»** التغابن ٨ **«يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا»** النساء **«قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس»** الانعام ٩١.

٣ ـ جاء بمعنى الايمان وهو مقابل الكفر «كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد» سورة ابراهيم وقال تعالى **«يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم»** المائدة ١٦ وفي هاتين الايتين الكريمتين وعشرات ايات اخرى يتضح ان الايمان نور وان الكفر ظلمة

٤ ـ جاء النور بمعنى رؤية العين **«هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور»** الرعد ١٦.

٥ ـ جاء بمعنى العلم ذلك ان المرء لايميز بين الحسن والقبيح الا بالعلم وقد قيل **«العلم نور والجهل ظلام»**.

٦ ـ جاء بمعنى العقل اذ لولاه لتعطل الانسان في امور حياته ولم يتميز عن غيره من الحيوانات.

وفي الفلسفة الاشراقية يذكر السهروردي (حلب) عالمَ النور وعالمَ الظلمة

ويقول: نور الانوار هو الله سبحانه وهو مصدر كل نور. وله دعاء في مقدمته: **«ياقيوم ايّدنا بالنور وثبّتنا على النور واحشرنا الى النور»** وقال الشيخ محي الدين العربي في كتابه «هياكل النور»: النور موهبة الهية تحل في القلب تخرج ظلمة الدنيا الفانية فيه فلا يتسع لغيره. وقال الامام الغزالي في كتابه المنقذ: **«المعرفة الصوفية والمعنوية نور يقذفه الله في قلب المسلم»** فالنور الذي يذكره اصحاب التصوف كالغزالي ومحي الدين العربي يعني البركة والضياء ومعرفة خاصة والمكاشفة والمشاهدة وهي رؤية معنوية يحظى بها سالكو الطريق وان الكشف والكرامات والمقامات تحصل للمرء المسلم بهذا النور الذي هو عين البصيرة وبه يفوق في علمه وينقلب الى شخص اخر وقد حصل للانبياء هذا النور فلنتأمل قوله تعالى لنبيه الكريم محمد (ص) **«الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك»** وهذا نور قذفه الله في قلب النبي. وفي قصة موسى مع العبد الصالح الذي كان يعرف كثيرا من الاسرار بنور الله سبحانه. جاء في القران الكريم **«فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما»** وهذا العلم الذي يقذفه الله سبحانه في قلب العبد يسمى نورا. وقد تكررت نفس الجملة القرآنية **«اتيناه حكما وعلما» بشأن يوسف ولوط وموسى عليهم السلام وفي القرآن الكريم امثله للرحمة الالهية وتلتقي عند كلمة النور وتعني الكرم والعطاء والعلم والحكمة والمقام، والنور له هذه المعاني في الاعتبار الصوفي.**

---

**القلب**

---

القلب كلمة لو حذفت من ادب التصوف ومجالس المتصوفين لم يبق شيء. وله معنيان :-

١ ـ اللحم الصنوبري المودع في صدر كل انسان وذي روح وهو محرك الجسد اِن توقف عن الحركة توقفت الحياة

٢ ـ معنى معنوي ومجازي وهذا المعنى في الاعتبار الصوفي مركز دائرة العلم الصوفي ولبّ السلوك وهو في الاعتبار الادبي والعاطفي والوجداني ملهم الاحاسيس الادبية

والاذواق العشقية. والذي يذكر في كتب التصوف هو المعنى المجازي الذي هو مركز الاحساس العاطفي والوجداني والانساني، وكثيرا ما نقول في احاديثنا العامة يميل قلبي الى لون معين مثلا اولا يشعر قلبي بالارتياح له وقلبي متضايق، ولاتنطبق هذه الاوصاف على القلب بمعناه الاول، والمقصود هنا الحالات الخاصة التي تمر بالقلب بالمعنى الثاني فالقلب عند الصوفية ليس اللحم الصنوبري بل هو جوهر لطيف وهو مركز ارادة الخير والشر ويجاهد الصوفي لتطهيره ليكون خاصا بالارادة الخيرة ويسمى هذا «بتزكية القلب» ويصبح القلب بعد ذلك مستقرا لحب الله سبحانه وعرشا لنوره فلن ينسى ذكره سبحانه طرفة عين.

وتكررت كلمة القلب في القرآن الكريم في اكثر من مائة موضع وله صفات عديدة بالمعنى المجازي وكلها تعني ان القلب مركز الاحاسيس الوجدانية. والحقيقة ان القلب كذلك بالمعنى الحقيقي وفي الاعتبار المادي ايضا فالقلب للجسد كالمحرك للسيارات ولولاه لما كان الجسد شيئا كما هو الحال في الاعتبار المعنوي وتتجلى اهميته في قوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن عرش الرحمن» والمقصود به الجانب المعنوي. وجاء في الحديث القدسي **«ماوسعني ارضي ولاسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»** وان عمل السالك الصوفي هو ان يطهر قلبه وهو مركز الحقيقة الانسانية من كل شائبة بحيث لايسع اِلاّنور ربه سبحانه،واعلى هذا المرام هو ان يصبح القلب ذاكرا.

وكما ذكرنا في مبحث الذكر والنفس ان القلب الذي اعتاد الذكر الخفي مدة يكون هو الذاكر وقد يسمع صوت ذكره وقد يسمعه غيره إن اصغى الى صوت صدره وكان عمى الشيخ كامل رحمه الله وهو نجل الشيخ عمر ضياء الدين النقشبندي يقول اذا حلف: **قسما بمن سمعت بأذني صوت «الله» من صدره.** واذكر انني سمعت منه وهو في الثمانين من عمره يقول كنت شابا بعد وفاة والدي لم اكن افهم كيف يبدأ القلب «وهو قطعة لحم» بالذكر من نفسه، فطلبني اخي الشيخ نجم الدين وقال لي: **الا تصدق بذكر القلب كما سمعت؟**

قلت بادب: **اني اصدقه ولكن لاافهمه ولايطمئن قلبي اليه.** وقال: كان الشيخ واقفاً مرة ودعاني اليه فضمني الى صدره حتى التصقت اذني بصدره فكنت اسمع «والله» يقول «الله الله» فابعدت راسي ثم قربته الى صدره مرة اخرى فسمعت ذكر قلبه، فبكيت والقيت نفسي عليه،فقال:لاهذا ولاذاك. وكان عمي يقول: **كان**

رأسي ينجذب الى صدره كالمغناطيس. وهو امر واضح ومعروف عند السالكين ومنهم من يبدأ قلبه بالذكر بعد سبعة ايام من الذكر الخفي ومنهم من يبدأ بالذكر بعد اربعين يوما ويعتمد على كيفية العزلة والانقطاع عن غيره سبحانه.

وذَكَرنا انه: عند النقشبندية خمس لطائف في الباطن: القلب، الروح، السر، الخفي، الاخفى، والنفس تعتبر لطيفة عالم الخلق والمادة.

ويمارس النقشبنديون الذكر بصورة خاصة وبعد التعود يبدأ القلب بالذكر ثم اللطائف الاخرى وثم لطيفة النفس التي تُعتبر مركزا للاحساس الحيواني للانسان وهي امارة بالسوء. واشير هنا الى اربعة ابيات من قصيدة صوفية للشيخ عمر ضياء الدين النقشبندي وهو المرشد الكامل وصاحب الطريقة، قال هذه الابيات اثناء سلوك الطريقة ويظهر انه وُهِبَ مقاما عاليا في التصوف قالها بهذا المناسبة اشارة الى هذه اللطائف وذكرها.

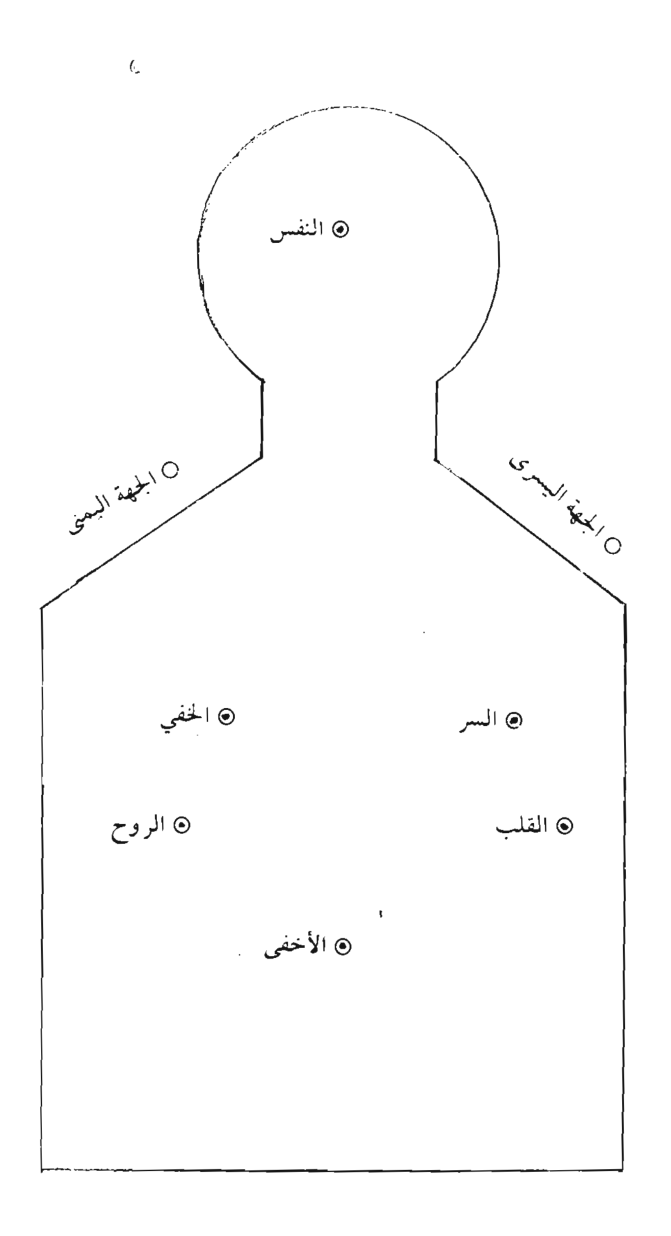
**بفيض عشقي لفخر العالم قد صفا قلبي**
**فزال الرين بالغسل تجلى النور في صدري**
**من ابليس اللعين تخلصت وزور نفسي**
**بلغت مقام العارفين دون كد مني**
**تبرّى الناس مني لاني من زمرة العاشقين**
**اينما اتوجه تتجلى لي اسراره كالشمس**
**لطائفي كلها غارقة في ذكر الله سبحانه**

**ومن هنا يتأكد ماذكرنا من ان المرُاد من العارفين تتحقق لهم الكمالات بدون الرياضة والمعاناة.**

**قرأت مؤخرا كتابا لعبد الرحمن الدمشقي ينقد التصوف.ومما قاله كيف يذكر القلب؟**

**ويبدو انه يرى ان القلب هو هذه القطعة اللحمية فقط وليس كذلك. الايرى ان الكلام الآن يتم دون لسان،كاشرطة التسجيل والراديو والتلفزيون؟**

**هذه من الناحية المادية، ولو انكروا القيم المعنوية فماذا يقولون في الايات القرانية التي بينت القلوب القاسية كالحجارة ورين القلوب وظلماتها وعشرات من اوصاف للقلب، فسبحان الله!! اذا اراد الله ان يضل احدا انساه ماقرأ وتعلم. الم ينزل**




تصوير اماكن اللطائف الخمس في الجسم

القران الكريم على قلب محمد؟ «فانه نزله على قلبك» ومعلوم ان القران ليس بأمر مادي بل هو قول مفهوم وكذلك القلب هنا ليس قطعة اللحم فالقلب هنا هو حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة نبوته قال تعالى «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» ولو كان القلب هنا اللحم المعروف لقلنا ان لكل حيوان قلبا من هذا النوع فالقلب هنا الامر الباطني الذي يعى الحكمة والنصيحة.

وقال تعالى «الا من اتى الله بقلب سليم» وورد ايضا «القلب المتكبر» «فظا غليظ القلب» وقال تعالى «ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» «ام على قلوب اقفالها» «وبلغت القلوب الحناجر» «فانها من تقوى القلوب» «ويشهد الله على مافي قلبه» «وختم على سمعه وقلبه» «ربطنا على قلبه» «وقالوا قلوبنا غلف» « ولاتجعل في قلوبنا غلا» «ربنا لاتزغ قلوبنا» « بما كسبت قلوبكم» «ثم قست قلوبكم» «ختم الله على قلوبهم» « فويل للقاسية قلوبهم» «للذين في قلوبهم مرض» «وطبع الله على قلوبهم» وعشرات اخرى من صفات القلب تؤكد ان القلب هنا ليس القلب المعروف في الجسم بل هو القلب الذي هو مصدر الخير والشر ويثاب عليه ويعاقب.

الم يسمع هذا الكاتب كل هذه الايات؟ وبالاخص الاية الكريمة.
«فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» «الزمر».

والحقيقة ان جواب امثاله هو قوله تعالى «وختم على سمعه وقلبه». واعجب ممن ينكر الذكر القلبي وهو يتلو قوله تعالى «ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه» «الكهف ٢٨ او قوله تعالى «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» التغابن، وماتفسير قوله تعالى «ولما يدخل الايمان في قلوبكم» الحجرات ١٤ وما المراد بالقلب هنا؟ لاشك ان الايمان يدخل حقيقة الانسان وامراً باطنيا فيه وكذلك النظر في قوله تعالى «فانها من تقوى القلوب» فالمقصود هو الامر المعنوي الباطني الذي يهذبه التقوى ويطهره من الحسد والكبر والاوصاف الذميمة الاخرى ويقول البعض ليس القلب صاحب البدن وقائده بل هو الدماغ وعلى كل ليس المقصود المعنى المادي من القلب او الدماغ «بل القلب هو اللطيفة التي مقرها الصدر» فالقلب هو مركز الشيء ووسطه ولبه ومن الواضح للسالكين ان مقر هذه اللطيفة هو الصدر وان مقر النفس هو وجه الانسان فالنفس اقرب الى الدماغ والقلب اقرب الى اللحم الصنوبري في الصدر وكذلك اللطائف الاخرى كالروح والسر والخفي تقع في الصدر وان العارفين

بالسلوك الصوفي السالكين في منهجه يعرفون جيدا محل كل لطيفة ولنور كل لون يختلف عن الاخر يميزون به اللطيفة الواحدة عن الاخرى وسأتناوله بعون الله في مبحث الطريقة النقشبندية.وخلاصة ما انتهينا اليه ان القلب عند الصوفية هو مركز هذه الصفات التي ذكرها القران الكريم وان السالك يسعى بالذكر وبعون مرشده الكامل المكمل لتطهير قلبه من خبيث الصفات وتزيينه بالصفات الحميدة ليستعد قلبه لاستضافة نور ربه ويصبح ذكره تعالى زاد قلبه المعنوي فان استقام على الطريقة في الذكر والتوبة يتجلى نوره سبحانه في قلبه ومن حرم من هذه النعمة ليس له حظ من هذا النور كما قال سبحانه وتعالى «**ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور**» سورة النور ٤٠.

وفي اخر كلامي هنا اذكر هذه الاية الكريمة «**يأأيها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم**» «الحديد ٢٨»
وللنور معان عديدة ذكرناها في مبحثه.

---

النّفْس:

---

ويطلق على الانسان نفسه. وجاء بمعنى الروح وبمعنى الدم وبمعنى هوى الانسان ورغبته وجاء بمعنى الشيء ويقال: النفس: هو من قال نعم، لمن ناداه. ووردت كلمة النفس في اكثر من مائتي موضع من القرآن الكريم.
والنفس موضوع التصوف حتى قيل انه مفتاح باب التصوف ولب مراده يسعى السالك الصوفي الى تنويرها وتزكيتها. قال سبحانه: «**قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها**» وقبلها قال سبحانه «**ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها**».

فالسالك الصوفي يسترشد بالقرآن الكريم في تزكية نفسه، وتنمية عنصر الخير فيها، وطرد عنصر الشر قال سبحانه «**ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون**» التغابن[١٦]
فالتزكية النفسية من اهم طرق السالكين ولولاها لبقي السالك في خطر السقوط، وبدونها لايتحقق مقام الولاية له وياتي بعدها التوجه لتحلية الباطن بالصفات الحميدة

للعروج في سلم التصوف، ولكن هل هذا سهل؟ وكيف يتغلب الانسان على جموح النفس؟ وماهي ثمرة هذا التغلب؟

تبدأ المرحلة الاولى بالتوبة:

ثم الاستقامة على المعروف وعلى العبادة طبقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثم المواظبة على ذكره سبحانه. ومقاومة النوازع النفسية.

ونعني بها تعويد النفس وترويضها بالطاعة الى الحد الذي يصل بها الى عين اليقين، بنفسه او بمعونة مرشده، فلا يؤثر حينذاك في ايمانه شيء وعليه ان يبتعد عن الافراط والتفريط.

وارباب التصوف رتبوا للسالكين مراحل لقطع هذا الميدان. وللنفس وصف معين يلائم كل مرحلة استرشادا بالقرآن الكريم.

جاء في كتاب معجم مصطلحات الصوفية: **النفس خمسة أضرب: حيوانية وأمارة وملهمة ولوامة ومطمئنة**. وجاء ايضا: **النفس ناطقة وصالحة وحكيمة ونبوية** وجعل الشيخ محمد امين الكردي للنفس في كتابه تنوير القلوب سبع مراتب:

**الامارة - اللوامة - المطمئنة - الملهمة - الراضية - المرضية - الكاملة.**

**الامارة:** هي النفس التي تميل الى الجانب الحيواني. وتسمى امارة لانها تقود صاحبها الى السوء. وهي معنى الاية الكريمة «وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء» سورة يوسف ٥٣. وقال البعض انها افضل من النفس الحيوانية التي لاتعرف غير متاع الدنيا كالانعام.

**واللوامة:** هي النفس التي توبخ الانسان عندما يرتكب اثما او ينوي شَرّاً فتدفعه الى التوبة.

قال تعالى **«لااقسم بيوم القيامة ولااقسم بالنفس اللوامة»**.

**الملهمة:** هي النفس التي تميز بين الفجور والتقوى اقتباسا من قوله تعالى **«ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها»**.

**المطمئنة الراضية المرضية:** هي النفس التي رضيت عن ربها ورضي عنها اقتباسا من قوله تعالى:

**«ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية»**

**النفس الكاملة:** خاصة بالانبياء والاولياء الكاملين.

والنفس لطيفة من لطائف عالم الخلق تضاف الى العناصر الاربعة فتكون الخامسة عند فلاسفة التصوف: الماء (الرطوبة). التراب. الهواء. النار (الحرارة) تقابل، القلب الروح. السر. الخفي. الاخفى وهي من عالم الامر. وتزكى لطيفة النفس بالذكر، وهى النفس الناطقة عند النقشبنديين.

وللبوصيري الشاعر الصوفي ت ٦٩٦هـ بيت في قصيدته البردية يقول:

والنفس كالطفل ان تهمله، شب على

حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني في كتابه الغنية: **«آفة النفس ميلها الى الفخر ورغبتها من ان تمدح، ومثل هذا الشخص حمال، ذلك انه ليس له في عبادته الا الحمل وهي رياء وسمعة وقد يهلك دون ان يحس بنفسه».**

**ولايحصل شيء الا بالسعي والعمل المستقيم قال تعالى «وان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى» وقال تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» العنكبوت.**

وجاء في كتاب فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الكيلاني:

**للنفس الامارة حالتان هما السعادة والسرور والشقاء والعذاب، فان ضاقت بالمرء الدنيا كفر «اي بالنعمة» وان وسعت له الدنيا ابوابها انساق نحو الهوى والشهوات. قال تعالى: «كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى» ومن عرف نفسه عرف ربه ومن لم يعرف نفسه اطلقها، وقد عرف يوسف نفسه اذ قال سبحانه عنه «ومابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء».**

وخلاصة ماذكرناه ان السعي لتزكية النفس هو من اسس المنهج الصوفي في الاسلام.

---

**الذكر:**

---

**ويعني في مصطلح التصوف ذكر الله سبحانه والثناء عليه كأن يقال «سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله». وكذلك الادعية والصلوات.**

وجاءت كلمة الذكر في القرآن الكريم بمعنى الصلاة وبمعنى القرآن الكريم.
قال تعالى: **ياايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع**. الجمعة ٩. ويراد بالذكر هنا صلاة الجمعة.

وقال تعالى: **انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** «سورة الحجر» ويراد بالذكر هنا القرآن الكريم.

اما الذكر بمعنى التسبيح فقد وردت فيه عدة ايات بينات من القرآن الكريم منها:
**«واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا» «فاذكروا الله» «ولذكر الله اكبر»**.
**«الا بذكر الله تطمئن القلوب»** وغيرها.

والذكر واجب شرعا ـ بدليل قوله تعالى **«واذكر ربك كثيرا» «واذكر ربك في نفسك»**.

**«ياايها الذين امنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله واذكروه كما هداكم»**
وليس للذكر مكان خاص اوهيئة خاصة قال تعالى **«فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم»** النساء ١٠٣. ولايكتفى بالذكر في الصلاة فقط او بالذكر القليل فالذكر مأمور به في الليل والنهار، في السر والجهر، بالقلب وباللسان والكثرة فيه مطلوبة قال تعالى **«اذكروا الله ذكرا كثيرا»**. **«واذكر ربك كثيرا»**. **«واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين»**.

وقال تعالى **«ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين»** الزخرف ٣٦
ومما يدل على وجوب الذكر بانواعه، العذاب والويل لمن تركه، قال تعالى **«فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله»** الزمر٢٢.
اما كيفية الذكر الصوفي فنوعان: ذكر باللسان وذكر بالقلب.

وبعض الطرق الصوفية تميل الى الذكر باللسان وبعضها تميل الى الذكر القلبي وبعضها ترى الذكرين معا فيبدأ باللسان ثم يتحول بعد تعوده الى الذكر القلبي.
وذكر العلامة المناوي[1] **ان الذكر ثلاثة اقسام: ذكر العوام باللسان وذكر الخواص بالقلب وذكر خواص الخواص**. فهم عند مشاهدتهم مذكورهم يتركون او ينسون كل شيء وجل امانيهم ان تدوم حالة الشهود الى الابد، ويكون الحق مشهودا لهم في كل حال.

---

(١)انظر نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها للدكتور عرفان عبد الحميد

وقال الامام النووي[1] رحمه الله : **الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان والافضل منه ماكان بالقلب واللسان معا فان اقتصر على احدهما فالقلب افضل. قال تعالى «ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا» وقال تعالى «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله»**.

والحقيقة ان الافضلية تتبع اهلية الذاكر، وارشاد المرشد، فان كان يخشى منه الرياء وله صوت مسموع او ادى الجهر الى ايذاء الاخرين فلاخير في جهره. وان كان جهره يزيد حماسه وشوقه فهو الافضل. وان المسلم العاقل يهتدي الى ماهو خير منهما.

ان ذكر الله هو العلاج الفعال المجرب منذ (١٤) قرنا ونيف من السنين لغسل الرين في القلوب، ولازالة مايعلق بها من صفات الرذيلة كالحسد والكبر والبخل والكذب. قال تعالى «**الا بذكر الله تطمئن القلوب**» الرعد ٢٨ وللقلب صدأ كما يصدأ الحديد وهو صدأ معنوي قال سبحانه «**كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون**» المطففين ١٤. ويعني ذلك ان الاعمال السيئة تنقلب الى صدأ معنوي يتعلق بالقلب. وقال سبحانه «**ونزعنا مافي صدورهم من غل**».

والغل هنا معنوي لانحس به ظاهرا وهو الحقد والخيال المريض.

وماسعي السالك الصوفي واستقامته على الذكر الا ليتطهر قلبه من الصدأ المعنوي وكما قالوا: القلب كالمرآة المغشاة بالدخان فان ذكر الله سبحانه صقل وتطهر وحينذاك يتجلى نور ربه فيه، وتكشف الاسرار المعنوية ويحصل هذا الفيض للسالك بقدر استعداده. ومع ان الذكر للسالكين يتم حسب توجيه المرشدين فان الذكر عموما هو ذكر «**الله**» «**لا اله الا الله**».

قال النبي (ﷺ): **افضل ماقلت انا والنبيون من قبلي ،كلمة (لااله الاالله)**.

وقد يقدر المرشد حالة مريد له فيلقنه ذكرا اخر مثل «**لاحول ولاقوة الابالله**» او قراءة سورة من القرآن.

وللذكر آداب بيّنها العارفون، في مقدمتها، النظافة الجسمية والوضوء ومنها المكان المعزول الذي لاتشم فيه رائحة الرياء، ومنها حضور القلب فينبغي ان يلاحظ الذاكر انه حاضر امام ربه وان يكون على اتم الصفات ادبا ولايغفل،ويقول بملء قلبه: اطلب

---

(١) اللمع ص١٠٠ ومابعدها.

عفوك ورضاك وقربك. ولكن الشرط الاساسي هو التوبة لمن له مرشد او ليس له مرشد، فلا يحصل له شيء الا بعد الاقلاع بالتوبة عن كل سوء.

وكلما كان المكان خاليا كان الذكر افضل ليتم التركيز، وسأحقق هذا الموضوع في مبحث الطريقة النقشبندية.

ويبدأ الذكر بالذات (الله).

وهنا اذكر ان من ادب الذكر ان يلصق اللسان بعرش الفم في وقت الذكر.

وقد يتساءل البعض ماهذا؟ ولماذا؟

في تجربة خاصة بي كنت في الرابعة عشرة من عمري لَقّنني شيخي ووالدي رحمه الله الطريقة وقال: **اذكر الله بقلبك، وفي حال الذكر الصق لسانك بعرش الفم**. فتلقنت التعليم دون ان اسأل لماذا؟ لقلة الخبرة اولا وعامل الخجل ثانيا. اما الان فاني اعرف حكمتها وهي ان الغرض هو عقد اللسان ومنعه من الحركة، ذلك ان من طبع اللسان الحركة عند الكلام فان لم يوقف فانه يندفع بحركة تلقائية فيرجع الذكر من القلب الى اللسان فيكون المرء «كالتي نقضت غزلها بعد قوة انكاثا». ولايتحقق للقلب شيء. وبهذا العمل العضلي «الصاق اللسان» يشتد التركيز. وان كان للذاكر مرشد حقيقي فانه سرعان يبدأ قلبه بالذكر ويتطهر من الصدأ والرين.

وقد يرد هنا مصطلح صوفي اخر هو: عالم الخلق وعالم الامر اقتباسا من قوله تعالى **«ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين»** الاعراف ٥٤. ويقصدون بعالم الخلق عالم المادة وبعالم الامر عالم الممكنات والمعنويات وهو عالم كان بأمر كن. واللطائف التي ذكرناها وهي القلب والروح، والسر، والخفي، والاخفى هي ليست بمحسوسات، وهي من عالم الامر، ويتزكى الواحد منها بعد الاخر بذكر الله سبحانه ثم تزكى النفس الناطقة وهي من عالم الحس.

فان بدأ بالذكر القلبي، فقد ابتدأ بعالم الامر في مصطلحهم وان بدأ بالذكر اللساني فقد بدأ بعالم الخلق كذلك. وفي هذه الحالة فان المرحلة الاخيرة هي تزكية القلب. اما من بدأ بعالم الامر اي بالذكر القلبي فان جميع اللطائف والعناصر تذل وتخضع بسبب تزكية القلب سلطان البدن، ويبلغ السالك مراده. وهذا معنى ماقاله الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند: **«ان اولى خطواتنا حيث تنتهي محطات غيرنا»** اذ هم يقطعون تسع مراحل لكي يصلوا الى القلب اما نحن فنشتغل بالقلب في اولى المراحل.

والذكر كما قلنا يكون بذكر «الله» او بالنفي والاثبات **«لا اله الا الله»**.

فان استقر الذكر «الله» او «لااله الاالله» في النفس قام اعضاء الجسم كله بالذكر، وهو مايسمى عندهم بـ «سلطان الاذكار» واذا سمع ذكر الله من كل شيء، فيسمى بذكر «ماسوى».

ولنا تفصيل اخر للذكر في الطريقة النقشبندية. وخلاصة ماذكرنا ان الاساس الاول للتصوف هو الذكر بنوعيه وبذكر الله، او، **لا اله الا الله**.

ويرى الامام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال: ان السالكين عليهم ان يستغرقوا في الذكر بعد اداء الصلاة المكتوبة والسنة ويفضل الذكر على قراءة القرآن. ذلك ان الذكر يروض الانسان ويسكن جذوة جموحه «ومن جرب حجة على من لم يجرب».

---

**الاشراق:**

---

اقترنت فكرة الاشراق الصوفي بالشيخ شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي. والسهرورد من زنجان في ميديا القديمة. ولد فيها عام (٥٤٩ هـ ١١٥٥م) وقتل في مدينة حلب عام (٥٨٧ هـ ١١٩١م) في عهد الملك الظاهر لاتهامه بالزيغ في عقيدته كما قتل الحلاج بفتوى علماء الدين. وقيل انهم ندموا على قتله وهو غير الشيخ عمر السهروردي المتوفى في بغداد ولكنهما من اسرة واحدة.

فقد دخل الاشراق عالم التصوف في النصف الثاني من القرن السادس الهجري بالامكان ان نقول ان اساسها بنيت على الفلسفة الافلاطونية، او هي ثمرة اختلاط التصوف بالفلسفة الافلاطونية. وقال ابو القاسم الكازروني (١٠٥٠ هـ - ١٦١٠م):
كما ان الفارابي يعتبر مجدد الفلسفة المشائية اي فلسفة ارسطو وسمي المعلم الثاني، فان الشيخ شهاب الدين السهروردي هو مجدد الفلسفة الاشراقية وهي فلسفة افلاطون.

وقال السهروردي معرفا بفكرة الاشراق:
ان خرجنا عن الطبيعة الجسدية، وتخلصنا من التمتع بملذاتها اشرق نور الله في قلوبنا وهو نور دائم يفيض من مصدر العطاء لكل كائن وكل ذي روح ويسمى بالروح المقدسة ويسمى «العقل الفعال» بلغة الفلاسفة.

فالاشراق يعني ان الانسان الذي يروض الطبيعة الجسدية، ويتوجه بقلبه الى ربه فان نور الله يشرق من قلبه كالشمس.

وقال بعضهم[1]: **لمعرفة الله طريقان: اولهما، طريق الفكر والاستدلال وثانيهما، طريق المجاهدة والرياضة.**

والذين اتبعوا الطريق الاول في ضوء هدي الاسلام هم المتكلمون.

واما الذين لم يهتدوا بالدين في هذا الطريق فهم الحكماء المشاؤون.

والذين اتبعوا الطريق الثاني في ضوء منهج الدين هم الطائفة الصوفية، واما الذين لم يهتدوا في هذا الطريق فهم الطائفة الاشراقية.

وعلى هذا لايعتبر الاشراق صوفية اسلامية وماهو إلا اتباع المجاهدة النفسية دون الاهتداء بتعاليم الشرع[3].

وارى ان السهروردي المشهور بالقتيل كان مسلما صوفيا لامعا وكان متقد الذكاء واسع العلم وقوي الحجة ولكنه لم يتمكن من صياغة فكره في اطار سليم مقبول شرعا فقتل شابا في السادسة والثلاثين من عمره.

---

**المشاهدة:**

---

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله[2]:

**المشاهدة مالاقت القلوب من الغيب بالغيب ولايجعلها عيانا ولايجعلها وجدا.** وقال ايضا: **المشاهدة تعني المحاضرة وتعني المداناة.**

وقال ايضا: **المشاهدة حضور بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين وحقائقها.**

واهل المشاهدة على ثلاثة احوال:

فالاول منها الاصاغر وهم المريدون. وهم يشاهدون الاشياء بعين العبرة او يشاهدونها باعين الفكر. والحال الثاني الاوساط. واشار اليها ابو سعيد الخراز ان قال: الخلق في قبضة الحق وفي ملكه فاذا تمت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لايبقى في سره ولافي وهمه غير الله تعالى. والحال الثالث من المشاهدة ماشار اليه عمرو بن عثمان المكي في كتاب المشاهدة فقال: ان قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت فشاهدوه بكل

---

(١) حقائق عن التصوف ص١٨٢ (٢) حقائق عن التصوف ص ١٥٨ نقلا عن الفتوحات الربانية على الاذكار النووية.

(٣) راجع حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون والنهانوي في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون

شيء وشاهدوا كل الكائنات به.

قال صاحب اللمع[1] **المشاهدة حال رفيع وهي من لوائح زيادات حقائق اليقين.**

قال الشيخ عمر السهروردي[2]: **المحاضرة لارباب التلوين، والمشاهدة لارباب التمكين، والمكاشفة بينهما الى ان تستقر.**

فالمحاضرة لاهل العلم، والمكاشفة لاهل العين، والمشاهدة لاهل الحق، اي حق اليقين. فالمشاهدة هي الرؤية بعين البصيرة بنور الحق، وتذوقها بالقلب والضمير والمكاشفة وضوح الشيء والمحاضرة الاستعداد مع الشيء او الحضور معه، والتلوين والتمكين هما مقامان من مقامات التصوف. التلوين للسالك الذي يتنقل من مقام الى مقام والتمكين للسالكين الذين وصلوا واستقروا.

## اللاهوت والناسوت والجبروت والملكوت

عالم اللاهوت من عالم الروح، ويطلق اللاهوتي على متخصص في الروحانيات وعلم اللاهوت موضوعه ذات الله سبحانه مثل علم الكلام. وبمعنى الالهيات.

وعالم الناسوت من عالم المادة، والناسوت سريانية اخذت من كلمة الناس وهو علم يتعلق بالانسان والعالم المادي. وبمعنى الانسانيات.

والجبروت من صفات الله سبحانه «الجبار» من القدرة والقهر.

والعبد مختار في عالم الملكوت ومجبور في عالم الجبروت عليه ان يختار مااختاره الحق وان يريد مايريد. وعند ابي طالب المكي: الجبروت عالم العظمة وهو عالم الاسماء والصفات الالهية وعند كثيرين الجبروت عالم الاوسط وهو البرزخ اي بين الناسوت والملكوت وهو عالم الغيب فالناسوت عالم المادة والطبيعة والانسان

والجبروت وسط بين الناسوت والملكوت

والملكوت عالم المطهرين والملائكة

وعالم اللاهوت هو عالم الغيب ويتعلق بذات الله سبحانه وحده

(١) اللمع ص١٠١

(٢) عوارف المعارف ٣٦٩

## العناصر الاربعة:

قال القدماء ان العالم مركب من اربعة عناصر سميت بالاستقصّات والاركان، وهي الماء والتراب والنار والهواء. ويشار اليها في كتب التصوف في مبحث تزكية اللطائف لاسيما في السلوك الصوفي النقشبندي ويقولون: اللطائف التي يتكون منها الوجود المادي والمعنوي او الظاهري والباطني للانسان عشر، خمس منها لعالم الخلق وهي «العناصر الاربعة» والنفس، والخمس الاخر من عالم الامر وهي: القلب، الروح، السر، الخفي، الاخفى.

## الولي:

جاء الولي صفة لله سبحانه في القرآن الكريم ووصفا للعبد ايضا.

قال تعالى **«الله ولي الذين امنوا» «والله ولي المؤمنين» «والله ولي المتقين». «وكفى بالله وليا» «قل اغير الله اتخذ وليا» «وهو يتولى الصالحين»** والولاية تعني الحفظ والنصر والعناية وحيث يأتي وصفا للعبد يكون معناه المحفوظ والمنصور والمحبوب قال تعالى **«الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون»** سورة يوسف٦٢ وقد عرفهم القرآن الكريم فقال سبحانه **«الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة»** والولي من جمع بين الايمان والصلاح والتقوى ويفهم هذا من قوله تعالى **«وهو يتولى الصالحين» «والله ولي المؤمنين» «والله ولي المتقين»**

وقال الشاعر الصوفي مولوي:

**الولي من كان عارفا بالله مدركا للذات والصفات قدر الامكان ملتزما بحدود الشرع في تقواه بانواعها الثلاثة مواظبا على العبادات متجنبا عن الشناعات.**

ويريد بانواع التقوى: التقوى عن الكفر، والتقوى عن الذنوب، والتقوى عن التهالك على الدنيا.

والولي في عرف التصوف لاسيما النقشبندية من اجتاز المقامات العشرة التي ذكرناها سابقا كالتوبة والزهد والصبر.. والولاية تقسم الى قسمين: الولاية الصغرى والولاية

الكبرى. ولايبلغ الولاية الكبرى الا بعد تزكية لطائفه بالذكر الدائم.
ويرى كثيرون من مشايخ التصوف: انه تبدأ النبوة بعد درجات الولاية الكبرى، فالولي لايصل مقام النبوة، وللانبياء مقاماتهم؛ مثل خليل الله وكليم الله، وروح الله. وان مقام محمد (ﷺ)-روحي له الفداء-فوق كل مقام للنبوة.

وقد يقال: هل يدرك الولي مقامه؟

والحقيقة انه لايشترط ان يعرف ذلك.

واذكر انني كنت شابا في مقتبل عمري إلْتَمَسَ مني احد السالكين من مريدي الوالد الشيخ علاء الدين رحمه الله ان اتكلم مع والدي بشأنه واسمه «فقي محمد». وقال: انى ما احسست بشيء من بركات السلوك الصوفي بعد. فنقلت رسالته الى الوالد فضحك وقال: انه ولي منذ مدة ولكنه لايعرف ذلك فبشره بذلك وليدع لك بالخير. فاسرعت اليه وبشرته فكاد يصعق فرحا.

ويرى كثيرون من اهل هذا العلم ان الولاية لاتعني بالضرورة حصول الكشف والكرامة ويقولون «العبرة بالاستقامة وليست بالكرامة».

ويرى الشيخ محي الدين العربي: ان الولاية لاتكسب بالجهد والرياضة والعبادة بل هي موهبة من الله سبحانه مثلها مثل الحال.

وارى انه يعني ان الولاية لاتتبع ارادة المخلوق ذلك ان العبادة شرط لهذه الموهبة والحقيقة ان موضوع الولاية لم يذكر بهذا الشكل في عهد البعثة النبوية والرعيل الاول؛ وقد اثير في اواخر القرن الثاني الهجري. ولاشك ان الاصحاب كانوا اولياء وان مقام الصحبة اعلى من مقام الولاية.

ومن الذين سبقوا في بيان الولاية بالصورة الصوفية الشيخ محمد علي الترمذي المتوفى ٢٩٦ هـ وعرفت الولاية كذلك في شخص فضيل بن عياض ت ١٨٧ هـ والشيخ معروف الكرخي ٢٠٠ هـ والشيخ جنيد ٢٩٧ هـ والمحاسبي ٢٤٣ هـ وذي النون المصري ٢٤٥ هـ. وتوضحت الصورة الصوفية للولاية في زمن ابي يزيد البسطامي المتوفى ٢٦١ هـ

وجاء في الحديث القدسي في صحيح البخاري: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.

## المريد والمراد:

### مصدرهما الارادة

المريد من غلبه حب الله سبحانه فانقطع اليه سبحانه بالعبادة واراد رضوانه. قال سبحانه **«ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون»** سورة فصلت ٣٠ وقال تعالى **«ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون»** «الاحقاف» ١٣. وقال سبحانه بشأن مريديه، **«ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه»** الانعام ٥٢

والمراد هو التائب المستقيم الذي احبه الحق وجذبه اليه، وهو يشمل الانبياء جميعهم ويعتبر ابراهيم بن ادهم مرادا في نظر التصوف. ويروى انه كان اميرا خرج يطلب الصيد متلهيا فنودي من وراء الحجاب مرتين: **ماهذا خلقت ولاهذا امرت**. فنزع ثيابه الملكية واعطاها راعيا معه مقابل ثيابه وقضى حياته في الشام والمدينة عابدا صوفيا. قال فيه احد الشعراء: **ان ابراهيم ادهم اعرف بسعادة الدرويش في ملكه فاسأله، اذ لايعرف قيمة الساحل الا من اخذه السيل فجربه.**

فالمريد من اراد ربه، لامن اراد شيخه الاّ تجوزا، والمراد من اراده الله وطلبه.

جاء في كتاب الفاظ الصوفية: **على المريد التخلي عن رغبات النفس الامارة بالسوء والتوجه الكلي الى الحق سبحانه**. ولايكون المريد مريدا حقا الا اذا صفت ارادته ولاتصفو ارادته الا اذا صفا قلبه عن قبائح الصفات وتحلى بفضائل الشمائل. ومن كان كذلك يقربه الله سبحانه الى لطفه ويفتح له ابواب رحمته فيصبح مرادا. فهو مريد في جهاده وسعيه ومراد في لطفه سبحانه وكرمه.

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني في كتاب الغنية:

**المريد يسعى ولكن المراد محظوظ، والمريد يمشي برجله والمراد يحلق كالطير، المريد طالب والمراد مطلوب. والمراد من يجذبه الحق والمريد يسعى للحق وبسعيه يصل اليه.**

جاء في كتاب معجم مصطلحات الصوفية: **المريد من انقطع الى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن رؤيته اذ علم انه مايقع في الوجود الامايريده الله عز وجل لامايريده غيره فيمحو ارادته فلايريد الامايريده الحق.**

جاء في كتاب التعرف لمذهب اهل التصوف[1]:

**المريد مراد في الحقيقة والمراد مريد لان المريد لله تعالى لايريد الابارادة من الله عز وجل، غير ان المريد من سبق اجتهاده كشوفه والمراد من سبق كشوفه اجتهاده،** ثم قال: **المراد هو الذي يجذبه الحق جذبة القدرة ويكاشفه بالاحوال فيثير قوة الشهود منه اجتهادا فيه واقبالا عليه وتحملا لاثقاله.**

وَمِنْ آداب سلوك المريد «قلة الاكل، وقلة النوم، وقلة الكلام، والعزلة، والاستقامة على العبادة والدوام على الذكر، وترك مالايعنيه، والاسترشاد بمرشد حقيقي لابمرشد مزيف قاطع للطريق» ومنها الادب: ويرى بعضهم ان التصوف هو الادب ثم الصدق والاخلاص للمرشد ثم الاستقامة وغيرها من فضائل الدين.

قال القشيري: سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق يقول:

**«الارادة لوعة في الفؤاد لدغة في القلب، غرام في الضمير، انزعاج في الباطن، نيران تتأجج في القلوب»** نعم هكذا تكون ارادة المريد!!

وقال الجنيد: **اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنحه صحبة الفقراء.** وقال ابو بكر الدقاق: **لايكون المريد مريدا حتى لايكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة.**

وقال القشيري في الفرق بين المريد والمراد:

**سنة الله مع القاصدين مختلفة فاكثرهم يوفقون للمجاهدات ثم يصلون بعد مقاساة اللتيا والتي الى سنى المعالي. وكثير منهم يكاشفون في الابتداء بجليل المعاني ويصلون الى مالم يصل اليه كثير من اصحاب الرياضات الا ان اكثرهم يردون الى المجاهدات بعد هذه الارفاق ليستوفى منهم مافاتهم من احكام اهل الرياضة.** وينقل عن ابي بكر الدقاق قوله ان هنالك فرقا بين الانبياء ويقول: كان موسى عليه السلام مريدا فقال: **رب اشرح لي صدري** وكان نبينا مرادا فقال تعالى: **«الم نشرح لك صدرك»** ويقولون: المريد يذهب والمراد يُدعى والكل يصل المراد.

---

(١) ص١٣٩

## الخليفة

ومما يستحسن بيانه هنا بالمناسبة ان «الخليفة» في عرف اهل الطريقة من يخلف الشيخ وينوب عنه في اداء بعض وظائف مرشده، وهو فيما بينهم اقسام:

**القسم البدائي**: وهو الذي ينوب عن المرشد في تعليم الطالبين اداب الطريقة من الذكر والفكر والخلوة ومداومة اتباع الكتاب والسنة وترك المحرمات واداء الواجبات والمندوبات بقدر الطاقة الى غير ذلك.

**القسم المتوسط**: هو الذي تنورت لطائفه الصدرية من لطيفة القلب والروح والسر والخفي والاخفى بدوام الذكر، وينوب عن المرشد باذنه ان يتوجه بقلبه الى قلب المريد مستمدا من روحانية مرشده حتى يشع على قلب المريد بالانوار ويكسح مافيه من المفاسد النفسية والرذائل البشرية وينوره بانوار الحقيقة ليتمكن من ملازمة الشريعة الغراء ويبتعد عن اطاعة النفس والهوى ويبتعد عن الشيطان فيكون من عباد الله المخلصين.

**القسم الثالث**: الاعدادي هو الذي ينوب عن المرشد في الارشاد والقاء الانوار حضورا وغيابا، ويكون بحيث اذا اراد القاء الانوار الى قلوب بعض المريدين الغائبين امكنه الله تعالى من ذلك ويكون له في هذه الدرجة المكاشفات والتلقيات الروحية من مرشده ومنه الى المريدين ويستقيم على هذه الحالة بحيث يعتبر من الناس الصالحين المتبعين بمعنى الكلمة، وهم الصالحون الذي اشار اليهم الباري تعالى في كثير من آيات الذكر الحكيم، واصحاب هذه الدرجة من الخلفاء يقدرون على تربية المريدين في ظل اوامر الشيخ المرشد وفي حياته (لابعد وفاته).

**والقسم الرابع**: المحترم هو المريد السالك في مسالك الطريقة والواصل الى درجة الفناء والبقاء وهما درجتان عاليتان يناهما من خصّه الله تعالى بانواره والهمه من اسراره وتمكن من تلقي الفيوضات الربانية، فهم على الدوام تشع على قلوبهم الانوار كما تشع الشمس طيلة النهار على من كان في افقها الطالع.

وعند ذلك يأذن لهم المرشد بارشاد المسلمين الى الحق وملازمته التقوى، ولهم في ذلك المقام الارشاد المطلق بحول الله وقدرته ويتبين كل تلك الدرجات بالاثار والادلة

الواضحة. منها اولا، ملازمة الطاعة ومجانبة الهوى والمحرمات مطلقا **وثانيا**، عدم الانهاك في الدنيا الدنية ومطامعها السيئة ولايقتربون مما يغفلهم عن ذكر الله تعالى ويداومون على اداء الفرائض والمندوبات المؤكدة، ومنها **ثالثا**، استفادة من جاورهم، من انوارهم القلبية ونصائحهم اللسانية وادابهم المرضية.

**ورابعا**، يتاثرون بالانوار الموجودة في قلب ذلك الشخص كما يحترق الورق الذي يقابله المنظار المقابل للشمس، وهذه العبارات واقعة في موقع التمثل والله يحق الحق ويهدي السبيل.. ومن الجدير بالذكر فان المرشد عندما يأذن خليفة بواحد من الاقسام المذكورة، يذكر حدود امكانات الخليفة ومقامه ودرجته، خاصة بالنسبة للخليفة المجاز بالارشاد، ان كان في حياة المرشد او بعدها، خاصة بالنسبة للارشاد المطلق.. فلابد ان يؤشر المرشد في متن الاجازة بان فلانا قد وصل الى مقام البقاء بعد الفناء، وان لم يذكر ذلك فمعناه ان الخليفة ليس الا ممثل مؤقت للمرشد في حال حياة المرشد لا بعد ذلك، وان النموذج الحي بالنسبة للطريقة النقشبندية هو اجازة الشيخ محمد بهاء الدين ابن الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي عم مرشدنا الشيخ علاء الدين رحمه الله لاخيه الشقيق الشيخ عمر ضياء الدين قدس الله اسرارهم فهناك يشهد الشيخ بهاء الدين بان اخاه الشيخ ضياء الدين تجاوز المقامات المطلوبة كافة الى ان استقر في مقام البقاء بعد الفناء... فلاينال مقام الارشاد المطلق الا ذو حظ عظيم.

---

وان متن هذه الاجازة منشورة في كتاب «يادي مه ردان» للشيخ عبد الكريم المدرس، وكذلك في كتاب «ماهو التصوف» لامين النقشبندي وفي اداب المشايخ النقشبندية، لايستحق احد ان يقوم بالارشاد المطلق خاصة بعد وفاة المرشد، الا بعد الوصول الى هذا المقام الكريم، والحصول على الاجازة المذكورة من مرشده.

[illegible]

الحمد لله الذی نزل علی عباده الکتاب [illegible] المؤمنین [illegible] رسوله الکریم [illegible] علی طریق الحق والصواب صلی الله

علیه [illegible] و مولینا [illegible] و آله و صحبه الذین هم نجوم الهدی [illegible]

گذارش میدهد ازینکه فقیر بی بضاعت با وجود عجز و تقصیر حسب الامر و اجازهٔ حضرت والد ماجد قدس سره مجاز و ماذون مطلق در طریقهٔ علیهٔ نقشبندیه [illegible]

و با مرشد [illegible] ارشاد نشسته ام طالبان [illegible]

[illegible] هر یک بقدر استعداد خود [illegible]

ظاهری و [illegible] سعادت [illegible] صداقت [illegible]

[illegible] حضرت [illegible] داشته و [illegible]

و استعداد [illegible] تفاوت [illegible] غایب بوده [illegible]

[illegible] نموده [illegible] اجازهٔ حضرت [illegible] و سایر مشایخ کرام قدس سرهم بهره یاب گردیده [illegible] حضرت [illegible]

کاملی و نسبت خویش با فقیر [illegible] نسبی و یا حسبی [illegible] فقیر نیز از [illegible] ادب [illegible] و صدق [illegible] همواره

مسرور بوده [illegible] قدس [illegible] ارزقنی [illegible]

مریدان و در تعلیم طالبان [illegible] اسلام [illegible] شریعت [illegible]

طریقت مشایخ [illegible] قدس [illegible] اوقات [illegible]

[illegible] است [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

## نص الرسالة

### بسمه سبحانه و تعالى

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ، واهدى المؤمنين بارسال رسوله الكريم اليهم على طريق الحق والصواب • وصلى الله على سيدنا ومولانا حبيبه وخير خلقه محمد وآله وصحبه الذين هم نجوم الهدى لأولى الألباب •

امابعد ، گزارش ميرود ازانجا كه فقير بى‌بضاعت ، باوجود عجز و تقصير ، حسب الأمر و اجازهء حضرت والد ماجد قدس سره ، مجاز و مأذون مطلق در طريقهء عليهء نقشبنديه بوده و هستم ، و به آمر ظاهرى و باطنىء مشايخان كرام و اولياى عظام قدس الله اسرارهم بر سجادهء ارشاد نشسته‌ام • طالبان اين نعمت عظمى و غواصان بحر توفيق از عشق اين جواهر نفيسهء كبرى كه وصول به درجهء حق‌اليقين‌است ، دست توسل به ذيل اين خادم درويشان زده و ميزنند ، و با هريك به قدر استعداد خود معاملهء ظاهرى و باطنى معمول شده و ميشود ، لاسيما برادر والا گهر ، درّ درياى ارادت ، مصباح زجاجهء سعادت ، مركز دائرهء صداقت ، كوّهء بصيرت ، و قوهء بصر، عزيز الوجود خجسته سير شيخ عمر خفظه الله الملك الاكبراست، كه در عصر حضرت والد ماجد قدس سره مدت مديد بر سلوك استقامت داشته و تهذيب اخلاق نموده ، و استعدادا بر امثال و اقران خود بر مثال تفاوت شمس و سائر كواكب غالب گرديده ، و الحمد لله شرف نعمت بقاى بعد از فنا يافته ، و مراتب و مقامات عليه‌را طى‌نموده ، و به خلعت اجازهء

حضرت ایشان و سائر مشایخان قدس سرهم بهره‌یاب گردیده •

علی هذا نظر رأفت و شفقت حضرت پیر در حق وی بس، کامل ، و نسبت اخوتش با فقیر به سه جهت حاصل‌است • یکی نسبی ، و یکی حسبی ، و یکی عهدی • فقیر نیز از کمال ادب و ارادت و صدق رضای

خاطر عزیزش همواره مسرور بوده • اگرچه قبول خاطر بزرگان زودتر شده بود ، باز هم به نیابت مشایخان کرام قدس الله اسرارهم ، محض اتمام داب سعادت آن عزیزرا از قبول نمودن مریدان و تعلیم طالبان و تبلیغ احکام شریعت و طریقت مجاز و مفوض نمودیم که بر وفق شریعت غرای حضرت سید الانام علیه و علی آله الف صلاة و سلام و آداب طریقت مشایخان

قدس الله اسرارهم به تربیت طالبان اوقاترا صرف نماید ، و طالبانرا از خلفا و مرید و محسوب و منسوب از صغار و کبار و ادنی و اعلی نیز وظیفهء عین‌است که حسن ادب و اطاعت اوامر و نواهی و قبول نصایح مشفقانه آن

عزیزرا آویزهء گوش هوش داشته صحبت و شرف خدمتش غنیمت وقت خود شمرند ، و از عجز دررنجش خاطرش بپرهیزند ، چنانچه از زهر قاتل بپرهیزند که رد و قبولش رد و قبول حضرت حقیر و حضرت پیر دستگیر و سائر مشایخ عظام و اولیای کرام‌است •

ز یك شاخیم اگر شیرین اگر تلخ
ز یك بزمیم اگر هشیار اگر مست

( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ والله ذو الفضل العظيم • اللهم اجعله للمتقين اماما ؛ ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم • وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه اجمعين • وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين •
٥ ذى القعده ١٢٩٤ هـ

**محمد العثمانى النقشبندى**

فقير در درون دل شيخ عمر سلمه الله در دنيا و عقبى قبول نمودم ، بل در ميان جان جاى داده‌ايم • همين نوشته سنداست • حق سبحانه وتعالى قبول فرمايد •

**محمـد العثمانى**

## بسمه سبحانه وتعالى

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وهدى المؤمنين بارسال رسوله الكريم اليهم على طريق الحق والصواب وصلى الله على سيدنا ومولانا حبيبه وخير خلقه محمد وآله وصحبه الذين هم نجوم الهدى لاولي الالباب،اما بعد:

فقد أجازني والدي رحمه الله للارشاد. فمن أراد القرب من فيض الحقيقة، وسلوك الطريقة (وحق اليقين) استرشد بي، وكان لكل ما يستحقه وفقا لاستعداده.

ومنهم أخي (الشيخ عمر) الذي عاش مدة يزكي نفسه بالطاعات تحت تربية شيخنا الوالد وقد تميّز بين أقرانه تميز الشمس عن النجوم وقطع المقامات العالية ووصل الى «نعمة البقاء بعد الفناء» وتشرف من قبل بخلعة الاجازة من الوالد والمشايخ الكرام، فقد أجزته أيضا لارشاد الشريعة والطريقة توثيقاً لآداب الطريقة وتأكيداً لعرى الاخوة النسبية والايمانية. وله الآن حق تربية المريدين بالاستقلال طبقا لشريعة سيد الكائنات. فعلى المريدين والخلفاء اتباع نصائحه وارشاداته واحترام توجيهاته. وليحذروا من إيذائه حذرهم من السم القاتل. فمن رضي به رضينا به ومن رده رددناه.

نحن الاثنان ثمار شجرة واحدة كيفما كنا

نحن من فصيل واحد كيفما كنا.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اللهم اجعله للمتقين اماماً، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

**ذو القعدة ١٢٩٤ هـ**

**محمد العثماني النقشبندي**

هذا وفي الاصل المترجم بيان مفصل للاخلاق الحميدة التي يتحلى بها الصوفي وللصفات الذميمة التي يتخلى عنها، واكتفي في الترجمة بتعدادها لوضوح معانيه للقارىء العربي.

**الصفات الحميدة**

١ ـ حب الخير للناس
٢ ـ الاخلاص
٣ ـ التواضع
٤ ـ الجود
٥ ـ الصدق
٦ ـ الامانة
٧ ـ القناعة
٨ ـ الرحمة
٩ ـ الحياء والادب
١٠ ـ محبة الناس
١١ ـ الشجاعة
١٢ ـ الثقة
١٣ ـ الحلم
١٤ ـ العفو
١٥ ـ صلة الرحم
١٦ ـ السعى للخير
١٧ ـ شكر النعمة
١٨ ـ نكران الذات والايثار
١٩ ـ الوفاء

## الصفات الذميمة

١ ـ الحسد
٢ ـ الرياء والنفاق
٣ ـ الكبر والعجب والغرور
٤ ـ البخل
٥ ـ الكذب
٦ ـ خيانة الامانة
٧ ـ التكالب على المال او الجاه
٨ ـ القسوة
٩ ـ الوقاحة
١٠ ـ كراهية الناس
١١ ـ الجبن
١٢ ـ عدم الثقة
١٣ ـ الغضب
١٤ ـ الانتقام
١٥ ـ قطع الرحم
١٦ ـ النميمة
١٧ ـ كفران النعمة
١٨ ـ حب الذات

## الباب السادس :

# الطريقة النقشبندية



الطريقة مسلك خاص من مناهج التصوف يتخذه السالك للوصول الى غاية هي الايمان الكامل الذي يصل الى عين اليقين او حق اليقين. وهنا لايكون الايمان تقليديا او استدلاليا يمكن تعرضه لهزة الشك اذ يرى بعين بصيرته فلا يؤثر فيه شيء. وكما قال الامام الرباني في مكتوباته ان الفرق بين ايمان العلماء وبين ايمان المشايخ الكاملين للتصوف هو ان معرفة العلماء بالاستدلال وان معرفة المتصوفين بالكشف والذوق وسواء كان الاساس استدلالا او كشفا فان الغاية هي تطبيق الشريعة المحمدية.

وكما اننا نجد في ميادين علوم الشريعة مجتهدين كبارا برزوا وتركوا مذاهب ومناهج مستقيمة فَسَّرت للاجيال الاسلامية معاني الشريعة واهدافها مثل الامام مالك بن انس (٧١٥ ـ ٧٩٥)م وابي حنيفة «٦٩٩ ـ ٧٦٧)م ومحمد بن ادريس الشافعي ٧٦٧ ـ ٨٢٠م واحمد بن حنبل ٧٨٠ ـ ٨٥٥ ومجتهدين اخرين درسوا هذه العلوم وتبحروا فيها وكونوا مدارس متميزة فاننا نجد في ميادين علم التصوف رجالا فضلاء شقوا طرقا ومسالك اتخذها عشاق الروح للوصول الى الايمان الكامل من امثال: الشيخ معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي، وذي النون المصري وعبد القادر الكيلاني، واحمد البدوي واحمد الرفاعي وبهاء الدين النقشبند، والشيخ عمر السهروردي، وابي الحسن الشاذلي، ونجم الدين الكبرى، وجلال الدين الرومي ومعين الدين الحسني الجشتي، وابي العباس التيجاني، وعشرات من هؤلاء الرجال الذين اسسوا طرقا خاصة لتربية السالك للوصول الى نهاية المرام ولكنها تنبع جميعا من مصدر واحد،ومَثَلُ ذلك «في الامور الدنيوية» اننا نصنع من الحنطة عشرات من انواع الخبز وصوره ونصنع من اللحم، والارز اصنافا عديدة من الطعام ولكل مذاق يختلف عن الاخر بالرغم من وحدة الاساس والمادة ولكن الجميع يؤدي غرضا واحدا هو الشبع، والتمتع وبناء الجسم وتماسكه.

او كما ان المذاهب الاسلامية تهدف الى توضيح طرق العبادة واحكام الشريعة والسنة النبوية لاتخاذها منهجا للحياة.

فان الطرق الصوفية تهدف ايضا الى ترسيخ الايمان الكامل، وايصال السالك الى الايمان اليقين «عين اليقين» لكي يكون قلبه مطمئنا بالاضافة الى دعوته لتطبيق تعاليم الشرع.

وللسلوك الصوفي النقشبندي منهج خاص لايصال المريد الى غايته فالطريقة القادرية مثلا تتخذ الذكر الجهري شعارا لها والطريقة المولوية تعرف بقراءة الاشعار والذكر

وحفلات السماع وللنقشبندية اوراد خاصة بهم ومع اختلاف الطرق في الاوراد والذكر والشعارات فانها تلتقي في هدف واحد هو معرفته سبحانه ورضوانه والقرب منه.

وهي طرق حددها العارفون بالله من المشايخ المجتهدين في علم التصوف بهداية من ربهم سبحانه: **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ البقرة (٢٨٢) ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ العنكبوت ٦٩** فقد علمهم الله وهداهم ويتولون هم ارشاد مريديهم الى هذه الطرق ومثل ذلك مثل الطبيب الذي يكتشف دواء لمرض فيصفه لمرضاه وهؤلاء اطباء القلوب تسلقوا معالي الامال في معرفة الله فيرشدون السالكين للوصول الى قمم الامال ولاشك انها جميعا تعود الى سنة النبي وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومصدرها جميعا هو القرآن الكريم وخاتم النبيين محمد (ﷺ).

ذكرنا انه لافرق بين الشريعة والطريقة ولكن الصوفي ينقطع للذكر والفكر فيصفو قلبه، ويزيد ايمانه فيكون عين اليقين فيُطَبّق الشريعة بقلب ممتلىء الايمان. وَمَنْ انحرف عن الشريعة برأت منه الطريقة.

وبعد هذه المقدمة آن لنا ان نعرف:

١ - ماهو المنهج النقشبندي للوصول الى قمم الامال الروحية؟

٢ - كيف بدأت النقشبندية؟ وسلسلة رجالها حتى الوالد (الشيخ علاء الدين بياره) رحمه الله.

٣ - متى سُمّيَت هذه الطريقة بالنقشبندية؟ ولماذا؟

اشير اولا الى اقوال لمشايخ التصوف قبل الشروع في الاجابة المفصلة:
قال الشيخ عبد الله الدهلوي المتوفى في (١٢٤٠) هـ:

**ان ثمرة هذه الطريقة «النقشبندية» هي الحضور الدائم في حضرة الحق تعالى وترسيخ العقيدة الاسلامية عقيدة اهل السنة والجماعة واتباع سنة النبي الكريم (ﷺ).**

وفي كتاب الحديقة الندية للشيخ محمد بن سليمان البغدادي يروى ان الشيخ محمد مراد الازبكى قال: **«ان الطريقة النقشبندية طريقة الصحابة الكرام باقية على اصلها، لم يزيدوا ولم ينقصوا وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهرا وباطنا بكمال الالتزام بالسنة والعزيمة وتمام اجتناب البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات من عادات**

**ومعاملات مع دوام الحضور مع الله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك»** ونقل في نفس المصدر عن ابن حجر الهيتمي ٩٠٩ ـ ٩٧٤ هـ

**«الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هي الطريقة النقشبندية»**
قال مقدم كتاب القدسية: **التصوف النقشبندي اتباع السنة وهو معتدل ووسط واساسه تطبيق الشريعة وتجنب البدع.** ويقول ايضا: **ان اعتدال السلوك النقشبندي ومافيه من اتباع الشريعة، ويسر الطريقة كان السبب في شيوع هذه الطريقة لاسيما بين علماء الدين فقلبُ الصوفي النقشبندي لله، وجسمه للناس.**

والحقيقة ان المشايخ الذين وصفوا هذه الطريقة مجمعون على انها اتباع للشريعة اولا، والدوام على الذكر والفكر والعبودية والاخلاص والايثار ونكران الذات ثانيا، وبالنسبة لجواب السؤال الاول نقول:

جاء في كتاب ايضاح الطريق:
**ان النقشبنديين لهم ثلاث طرق للوصول الى قمة المراد:**
**١ ـ الدوام على الذكر.**
**٢ ـ المراقبة.**
**٣ ـ طاعة المرشد.**

لابد من القول ان الخطوة الاولى هي التوبة اي الاقلاع عن كل عمل سيىء بشكل بات. وتطبيق تعاليم القرآن والسنة النبوية.

---

## ١ ـ الذكر

---

وللذكر صورتان:
ـ ذكر «الله» ويعني ذكر الذات او ذكر الجلالة.
ـ ذكر «لااله الاالله» ويعني النفي والاثبات.
ومن المعلوم ان الذكر عند النقشبندية ذكر خفي بالقلب.

### أ ـ ذكر الله:

من آدابه: ان يكون الذاكر متوضئا وفي مكان طاهر هادىء مستقبلا للقبلة. فيدعوه

سبحانه لحفظه من وسوسة الشيطان والنفس ثم يستغفر الله . ويتذكر مرشده ان كان له مرشد. وبعد ذلك يبدأ بالذكر بقلبه.

ولكن الذاكر يمكنه ذلك بكل صورة وفي اي وقت قال تعالى «**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض**» ال عمران.

ومن آداب الذكر الصوفي النقشبندي:

في البدء يلصق المريد لسانه بعرش فمه لمنعه من الحركة. وقد سبق بيان حكمته ثم تذكر «**الله**» قلبيا. والقلب من لطائف الباطن وليس المراد به اللحم الصنوبري ولكنه تحت الثدي الايسر قليلا ويتأمل عظمة «الله» لاشكل كتابة اسم «الله» «**ليس كمثله شيء**» فيؤمن ان الله موصوف بجميع صفات الكمال ومنزّه عن كل نقص. وعلى الذاكر ان يكون دائم الذكر ليلا ونهارا ودون حركة من اللسان والبدن حتى يبدأ قلبه بالذكر، ويشعر هو به. ثم يتوجه الى روحه التي في الجانب الاخر من الصدر تحت الثدي الايمن باصبعين. فيذكر الله به حتى يصبح الرّوح ذاكرا ايضا، ثم يتوجه الى لطيفة السر التي تقع فوق الثدي الايسر باصبعين مائلا الى الصدر ثم الى لطيفة الخفي الذي يقع فوق الثدي الايمن باصبعين مائلا الى الصدر ثم الى لطيفة الاخفى الذي يقع وسط الصدر فيبدأ بالذكر.

وحين تبدأ لطائفه بالذكر تصبح كل لطيفة مصباحا مضيئا بنور خاص وتبدأ لطيفة النفس بالذكر وهي في الجبين وهي من عالم الخلق واللطائف الاخرى من عالم الامر وهي لطائف معنوية يحس بها السالكون وحدهم. وقد ذكرت سابقا. وبعد ذلك يبدأ دور «القالب» البدن المؤلف من العناصر اذ تبدأ كل ذرة في جسده بالذكر ويحس به السالك نفسه.

وقال الملا حامد البيساراني وهو احد علماء التصوف من النقشبنديين: **منهم من يذكر الله في يوم واحد خمسة وعشرين الف مرة واقلهم يذكر الله خمسة الاف مرة.**

واتضح مما سبق انهم وضعوا خمس مراحل لذكر اللطائف التي في عالم الامر ومرحلتين للطائف عالم الخلق. اذا للذكر سبع خطوات: وهذا معنى ماقاله الامام الرباني «**ان طريقتنا سبع خطوات**» وقال بعضهم كناية: «**الطريقة خطوتان**» خطوة في عالم الامر، وخطوة في عالم الخلق. وان الدوام على الذكر يجعل اللطائف السبع وكل

ذرة في الجسم تذكر «الله». وفي هذه الحال يشعر المريد بالراحة واللطافة في قلبه ووجدانه. وتقال لهذه الحالة «**سلطان الاذكار**» او «**سلطان الذكر**» وقد يصل الى حالة يحس فيها الذاكر بعد مواظبته على الذكر ان العالم كله يذكر «الله» بل يسمع ذكر «الله» من كل ذرة في الكون وهذا الذكر يسمى ذكر «**ماسوى**». ويعني ان كل مخلوق يذكر الله سبحانه. وهذه من لطائف الطريقة الجليلة. وقد اشار اليها الشيخ عمر ضياء الدين قدس سره حين قال في احدى قصائده الصوفية «**اللطائف جميعها غارقة في ذكر الله**».

ولابد من توضيح ان هذه الحالة هي الف باء التصوف ومقدمته وهي من حالات التزكية اي تطهير اللطائف، وليست من حالات فناء اللطائف. ولكل لطيفة حالة فناء خاصة. وبعد فناء الكل يأتي البقاء وفي هذه المدة يطلع السالك على اسرار عجيبة ويُمنح من ربه مواهب معنوية.

ذكرنا ان اللطائف تتحول الى مصابيح مشرقة بالنور حين تبدأ بالذكر ويقولون: ان نور كل لطيفة تحت قدم واحد من الرسل والانبياء اولي العزم وكل سالك يفتح له بسبب احد هذه اللطائف. فيكون له شبه بالخلق المعنوي لذلك النبي. وهي علاقة معروفة لدى العارفين، حتى انهم يدركون هذه العلاقة بعد موت اصحابها في قبورهم.

فهذا خلقه محمدي وذلك عيسوي ومن ادرك هذه الامور بعين البصيرة كيف يتسلل الشك الى ايمانه؟

لطيفة القلب تحت قدم آدم ولون نوره اصفر.

لطيفة الروح تحت قدم نَبِيَّيْنِ هما نوح وابراهيم واللون احمر.

لطيفة السر تحت قدم موسى واللون ابيض.

لطيفة الخفي تحت قدم عيسى واللون اسود.

ولاتناقض بين النور ولون السواد فقد يكون السواد اجمل شيء كلون العين والحاجبين مثلا.

ولطيفة الاخفى ولونها اخضر تحت قدم حضرة سيدنا محمد (ﷺ).

فان كان للسالك مرشد فانه ينتقل بمريده من لطيفة الى اخرى وان تم نور اللطيفة تلألأ هذا النور في وجه المريد فيحس به هو ومرشده.

واللطائف مثلها مثل الحواس وهي في عالم المادة واللطائف من عالم الباطن.

وبعد تزكية لطائف عالم الامر تبدأ تزكية النفس،وهي من عالم الخلق وليس لها لون كالماء يتلون بما يدخل فيه وتزكيتها صعبة فهي من عالم الطبيعة وهي في الاساس امارة بالسوء ومنها تخرج كل الرغبات الخبيثة ولكن ذكر الله سبحانه يطهّرها ويروّضها.ويرى مشايخ التصوف ان هذا النوع من التزكية يحتاج الى مرشد والمقصود بالمرشد العارف العابد الذي لاشك في ولايته واجتيازه هذه المقامات وهو انسان بالاسم ولكنه قطعة من نور وملائكي الصنعة وربانيّ المسلك، ومن اصحاب المقامات العالية للبقاء بعد الفناء.

ومثل هذا الانسان لايُتَصَوَر منه الخيانة لأمة محمد ولايعقل ان يكون هدفه من الارشاد الدرجات الدنيوية او المكتسبات المالية.

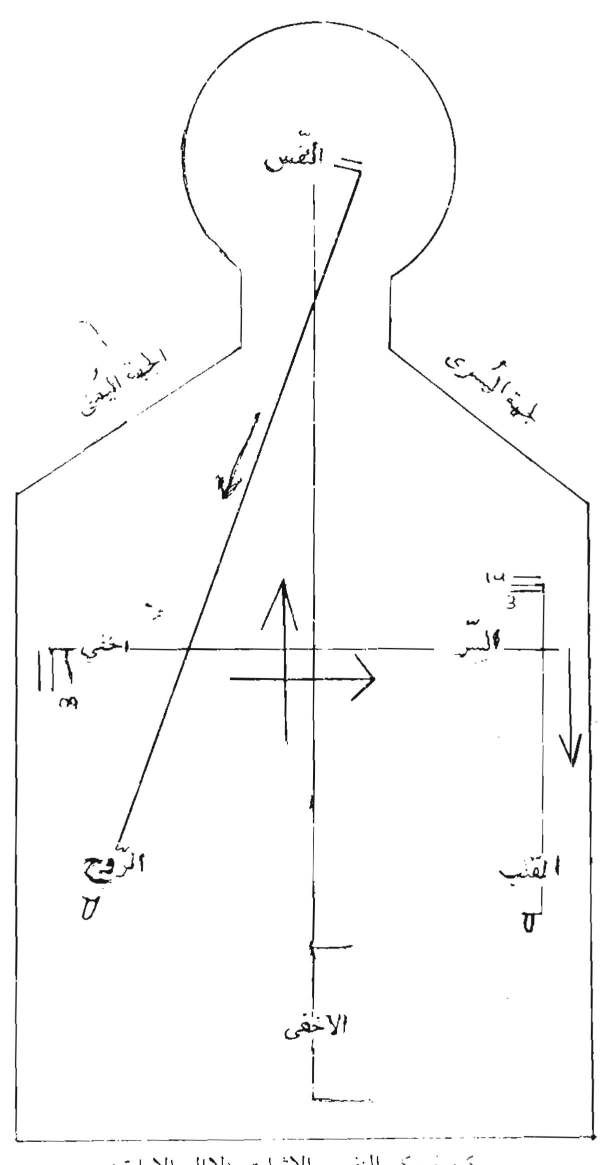
ومن السهل ان ينقاد المرء لشخص له هذه المواهب والصفات ويجعله استاذه ومرشده.

قلنا الذكر له صورتان أ ـ ذكر الله وقد ذكرناه

ب ـ ذكر «**لااله الا الله**» وهو معروف بالنفي والاثبات وان معظم السالكين يبدأ بذكر **الله** ثم بالنفي والاثبات وقد يقدم المرشد ويؤخر في ذلك حسب تشخيصه لحال السالك وهو ادرى به. فلنعلم طريقة هذا الذكر:

يتحلى بنفس الادب والصورة التي ذكرناها من ذكر «**الله**» ثم يذكر بلسان الخيال كلمة «**لا**» ويمدها من تحت الصّرة الى الجبين وبعبارة اخرى يمد كلمة «**لا**»، من اسفل لطيفة اخفى فوق لطيفة اخفى الى لطيفة النفس في الجبين ثم من الوجه يمد كلمة (**اله**) الى الثدى الايمن الى جانب لطيفة الروح ولطيفة الخفي ومن هناك يعيد كلمة «**الا**» الى ظهر الثدي الايسر وهو محل لطيفة السر وبعد ذلك يضرب بالتخيل بلفظ الجلالة (**الله**) بقوة النّفَس المحبوس على سويداء القلب حتى يظهر اثرها وحرارتها في سائر الجسد بحيث يحرق جميع الاجزاء الفاسدة في البدن بتلك الحرارة، فَيتَنَورّ مافيه من الاجزاء الصالحة بنور الجلالة.

وبعد اكمال «**لااله الا الله**» بلسان الخيال وبالشكل الذي صورناه مرة او ثلاث مرات او اكثر يقول في حال التنفّس «**محمد رسول الله**»،




كيفية ذكر النفي والاثبات (لااله الا الله)

وهذه صورة توضيحية لذكر لااله الاالله سرا وعلى الذاكر ان يفكر في المعنى لا في شكل «**لااله الا الله**» فيكون قصده في قلبه انه لاموجود بحق يستحق العبادة الا الله وان العبودية هي هدف الذاكر. ويقصد من قوله «**لااله**» ان كل موجود فان ومن قوله «**الا الله**» ان الله باق وحده.

ومن [illegible] الذكر سواء كان ذكر الله او ذكر لااله الله:
انه بعد الذكر يرتاح قليلا ومن هذه الاستراحة يقول: الهي انت مقصودى ورضاك مطلوبي ولا أطلب من عبادتي سوى رضوانك، اني تخليت عن العالمين ولكن ارجو ان تهبني محبتك ومعرفتك. وعليه ان يتأمل بقلبه دون التفكير في الطلب المادي وهذه المراقبة تسمى بـ «**الوقوف القلبي**». وبمناسبة الحديث عن الوقوف القلبي نقول ان للنقشبنديين (١١) مادة، او كلمة او احدى عشرة درجة وعمودا وقلنا سابقا ان الذي لايتجاوز المقامات العشرة لايبلغ درجة الفناء والبقاء وهي عبارة عن: التوبة، الانابة، الزهد، القناعة، الورع، الصبر، الشكر، التوكل، التسليم، الرضا.

وبعد اجتياز طريق السلوك، على السالك ان يتحلى بأحد عشر خلقا والاّ لم يحصل على شيء، ثمانية منها مأثورة عن حضرة الشيخ عبد الخالق الغجدواني (٥٧٥) هـ وبعدها ثلاثة عن الشيخ الاكبر السيد محمد بهاء الدين النقشبند والمجموع ١١ كلمة وهي: **النظر الى القدم، السفر في الوطن، الخلوة في الجلوة، الذكر الدائم، العودة من الذكر، اليقظة عند النفس، الحضور الدائم، حفظ اثار الذكر في القلب، والوقوف القلبي والوقوف العددي والوقوف الزماني لبهاء الدين النقشبند**. وسنذكر معانيها.

ويطلب السالك الفيض والرحمة من الله سبحانه متوجها الى السماء رعاية للادب لان الله سبحانه فوق كل شيء ليس له مكان وليس له فوق او تحت.

وللوقوف القلبي شرطان **اولهما**: يحاول ان لايخطر على قلبه شيء من الخيالات **وثانيهما**، ان خطر على قلبه خيال توقف عن الذكر كاللجام وجاهد لطرد الخيالات ثم بدأ بالذكر من جديد ويسمى «بالتوقيف»

ومن الافضل توقف التنفس وقت الذكر وحسب نصائح المرشدين.
ومن هذه الحال تنشأ حرارة القلب، وشوق في الداخل، وتتولد المحبة وتطرد الوسوسة وتزال الحجب امام السالكين شيئا فشيئا.

ويتبين من هنا ان التصوف سلوك ينبغي معرفة بميدانه.
ويعني الوقوف العددي ان يكون الذكر بالوتر، مرة او ثلاثا او خمسا او سبعا وهي درجة للسلوك النقشبندي وله اثر في كشف اسرار الطريقة.

وعلى السالك ان يحاول ان يذكر «**لااله الا الله**» (٢١) مرة بِنَفَسٍ واحد فان فعله مع المراقبة والتحلي بالآداب التي ذكرناها فانه يحصل على ثمرات معنوية ويتطهر قلبه وتكشف له اسرار يحس بها، وقد ذكرناها، وان لم تحصل هذه الثمرات فانه لم يطبق شروطه فعليه بالتفكير لاكتشاف الخطأ وان كان له مرشد فانه يأخذ بيديه الى لُبّ عمله. ولابد من العلم بان هذه الشروط مثل الوقوف القلبي العددي او التوقف عن التنفس وامرار الذكر على اللطائف تكون سهلة بعد الاعتياد عليها. كما ان الرياضة في بدايتها صعبة ثم يتمرن المرء عليها فقد يكون من الصعب ان يرفع عشرة كيلوات اولا ثم يسهل عليه رفع ١٠٠ ك فان الرياضة الروحية كذلك ولكن ثمرة الرياضة البدنية مادية وثمرة العبودية هي رضا الخالق وان الرياضة البدنية تتعطل في عمر معين وبعد مدة ولكن الرياضة الروحية تقوى وتكون مصباحا للناس.

وان الثمرة الاساسية لهذا الخُلق هي التزكية كما هي الحال في ذكر «**الله**» اي تزكية اللطائف اذ بذكر **الله** تتزكى اللطائف واحدة بعد الاخرى ويشع منها النور ومن حيث ان هذا الذكر «**لااله الاالله**» يمر باللطائف كلها فانها جميعا تشرق بالنور معا او يبدأ بالقلب ثم تبدأ اللطائف الاخرى بالذكر ويشع نور خاص منها ويشعر بذلك السالك نفسه.

وبعد ان ذكرنا الخطوة الاولى للنقشبندية وهي الذكر نأتي الى الثانية:

---

## ٢ ـ المراقبة:

---

وكل شرط ذكرناه للذكر فهو مطلوب للمراقبة ايضا كالتوبة والاستغفار وغيرها وهي الاستعداد والجلوس في مكان هادىء وطرد الخيالات عن القلب والتوجه الى باب الحق ويتضرع الى ربه بكل مسكنة وبكل عشق من الباطن دون واسطة مرشد او الذكر ويسأل **الله** ان يستمطر الرحمة والفيض والبركة على قلبه وباطنه وان يشرق قلبه بنور وجهه.

وحين يصبح التوجه الى الحق ملكة وخلقا راسخا بسبب المواظبة ليلا ونهارا على هذه الحال يصل الى حالة تسمى في التصوف بـ «**التوجه الى المذكور لا الذكر**» اي التوجه الى صاحب الاسم وهو **الله**، لا الاسم وهو الذكر.

وبهذا يتجلى نور ربه في قلبه وتتحقق المشاهدة.

وقال كبار المشايخ: **الجذبة اي الانجذاب الى الحق تتحقق عن طريق المراقبة بصورة اسرع من الذكر**. ويقال ايضا: **ان المواظبة على المراقبة ترفع السالك المراقب الى درجة الوزارة المعنوية وهي اعلى الدرجات**. ومن ثمرات المراقبة ان هذا السالك المراقب يطاع في الملك والملكوت، ويكون عارفا بالباطن وآمرا على القلوب.

ومن كان خلقه المراقبة فعليه الا يغفل عن الذكر والعبادة وقيام الليل واداء الصلوات. وقالوا ايضا ان الاقتراب من هؤلاء الصالحين هو سبب الفوز والنجاح قال تعالى **«ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوامع الصادقين»** التوبة ١١٩ وقد تكشف اسرار لكبار السالكين في حال المراقبة فيعرفون اوضاع سلوكهم.

وهذه معنى المراقبة الخاصة في الطريقة النقشبندية وقد بينت سابقا المعنى الآخر للمراقبة في التصوف وهو مراقبة النفس وكبح جماحها.

---

**٣ ـ طاعة المرشد**

---

اي يكون السالك تلميذا لمرشد كامل، مطبقا لتوجيهاته باخلاص وادب كما هو الحال لتلميذ يتلقى العلم من استاذه.

وقال كبار علماء التصوف: **ان هذا السلوك اسهل وهو اقرب لنيل الغاية ويسمى ذكر «الرابطة» وهو عبارة عن مواصلة العلاقة القلبية مع الله سبحانه** فمن كان له مرشد فان هذه العلاقة تتم عن طريق قلب المرشد. وكيفية ذلك: ان قلب السالك هنا يتعلق بقلب المرشد الذي لاشك في انه نوراني ويشرق فيه نور الله سبحانه، ونوره سبحانه مصدر الانوار. وان نور الحق يشرق دائما في قلب محمد (ﷺ) كالكهرباء الذي يتوزع في الجهات كلها، وكالنهر الذي تتوزع جداوله في كل الانحاء ولكل جدول عشرات من المزارع وآلاف من الاشجار تروى بها. وكذلك يتوزع الفيض والماء الزلال على العاشقين المحبين لكي تروى مزارع قلوبهم بهذا الفيض والبركة وتثمر ثمراتها الطيبة. والمرشد الكامل يحصل على نصيبه من هذه البركة ويوزعه على المريدين.

ذكرنا سابقا ان الشاعر الصوفي مولوى بعث قصيدة الى مرشده الشيخ عثمان النقشبندي قال فيها: **انت ساقي المزارع (ويقصد المزرعة الروحية) وكفيتهم جميعا**

**بالكفاف. اما مزرعتي فتشكو العطش، وثماري تشكو الجفاف.**
**هذا حيفٌ: فافتح الجداول جدولا بعد جدول وارو مزارعي.**

ولابد من بيان ان هذه العلاقات هي روحية ومعنوية ولاتدرك الابعين البصيرة ذلك انها ليست بقنوات فيها المياه تجرى ولاهي علاقات مادية.

فاذا ما استقرت الرابطة وتمكن المريد من ترسيخ هذه العلاقة فانه يستمد النور والبركة منها ويكون لهذا النور انعكاسات من اللطائف فتزكى واحدة بعد الاخرى وتعالج العلل والامراض واحدة بعد الاخرى كعلة الحسد، ومرض الغرور، وطول الامل، والتهالك على جمع المال، والامراض المعنوية الخبيثة الاخرى، وعندما يتزكى باطن السالك من الغش واشتعل نور الحق في اللطائف وتبدأ اللطائف بالذكر فان المريد يصل حالة الحضور والمشاهدة وهي الامل المنشود وبهذه الخطوة يطمئن قلبه وباطنه وتبدأ مرحلة **«سير الانفس»** اي التوجه نحو مرحلة الفناء للوصول الى منزل البقاء.

وفي مبحث الذكر اشرنا الى ان السالك يبدأ بالذكر القلبي حتى يصبح قلبه ذاكراً، ثم يبدأ يتنقل من ذكر لطيفة الى ذكر لطيفة اخرى ولكنه في هذه الحال يعينه المرشد بالتوجه اليه. وكيفيته: يتوجه بقلبه الى احدى لطائف السالك ويربطها بلطائفه ولاريب في ان لطيفة المرشد ذاكرة ونورانية فتنعكس على لطيفة السالك فتصبح ذاكرة ونورانية وبعد ان يستقر وضع السالك بعد مهلة في اللطيفة الواحدة يتوجه المرشد الى لطيفة اخرى لمريده لمهلة قصيرة واذا كان للمريد شيىء من الاستعداد لما يتحلى به من الذكاء فسرعان مايصل الغاية وتزكى لطائفه وكذلك فيما يتعلق باجتياز المقامات حتى يصل مرحلة الفناء والبقاء.

وفي هذه المرحلة يستغنى عن المرشد ويكون كاملا بالمعنى النِسْبي «والكمال المطلق لله وحده» ويرفع الله درجاته مادام الله سبحانه يريد علو منزلته كما انه ليس للعلم الظاهري المادي حدود وان العالِم يظل يطلب العلم ليزداد علمه وكذلك الغني يطلب مزيدا من الغنى وكذلك ليس للطف الله حد والانسان الكامل الذي بلغ قمة الانسانية هو سيدنا محمد (ﷺ) ويليه بعده الانبياء ثم الاولياء.

وفي عرف التّصوف يُعتبر السالك الذي منح درجة البقاء بعد الفناء انسانا كاملا، وهذه الدرجة كالدكتوراه في العلوم الدنيوية او غيرها فيصبح استاذا ومرشدا في سلكه. ولابد من التنبيه هنا على اشد مايخاف منه في الطريقة النقشبندية:

هو ان يأذَنَ المرشد لمريديه بالرابطة دون ان يكون قد وصل مرتبة البقاء بعد الفناء. وهي خطيئة كبيرة لانها قد توقعه في شبهة الشرك اوّلاً ويكون المرشد مسؤولا عنها، ويوقع المريد ثانيا في امراض الوسوسة ومصائب اخرى عديدة فالارشاد شيء واجازة الرابطة شيىء آخر.

والارشاد بمعنى «**الامر بالمعروف والنهي عن المنكر**» واجب على كل مسلم والارشاد للشريعة واجب علماء الدين، وبالنسبة للطريقة فعلى المرشد ان يصارح مريديه قائلا: **اني انصحكم وارشدكم الى التوبة ولكنى لست بمرشد كامل ولايجوز لكم الرابطة معي**. او يقول كما قال (الامير كولال) مرشد الشيخ النقشبند، له: **ان حدود معرفتي هنا وعليك البحث عن مرشد اخر يعلمك بعد.**

وليس المقصود بالتوجه ان يكون المرشد متصلا بالمريد في المكان، ذلك ان المرشد الكامل يستطيع التوجه الى مريده من مكان بعيد ايضا ويدخل في قلبه المسرة الروحية ولكن القرب المكاني افضل كما قلنا: ان التقرب من الصادقين سبب السعادة والفوز. فالرجل الصالح الولي حبيب الله والاقتراب من حبيب الله هو سبب سعادة الدارين.

فعلى المريد ان يطلب المساعدة من مرشده.
قال الشيخ عبدالله الدهلوي: **مع ان الذكر اللساني لايحقق اهداف السالك مالم يتحول الى ذكر قلبي ويصبح ملكة وخلقا راسخا فان الذكر اللساني مفيد وتكون للذاكر حظوة روحية معنوية ان تم حسب الشروط المذكورة.**

ثم قال: على المريد ان يظل ذاكرا لله متذللا امام باب الحق حتى في اوقات انشغاله بالاعمال الدنيوية وقال: «بركات من الله تنزل ولكن لقلوب المؤمنين تُعجّل».
وهذه تسمى حال «**الخلوة في الجلوة**» ومعناها انه مع الحق ولو كان مع الخلق وهذا معنى ماقيل: **الصوفي كائن بائن**. (بالجسم كائن مع الناس وبالروح بائن عنهم).

والخلوة في الجلوة احدى صفات ودرجات السالكين للطريقة النقشبندية.
وقد بيّنت سابقا ان امراض القلب هي الصفات الخبيثة كالحسد والحقد و. . . . .
والمسلم الحقيقي من طهر قلبه من هذه الامراض، ولكنه امر صعب والا لعولجت مشكلات الانسان.

وفي الحال التي يكون للسالك مرشد فانه يتولى معالجة هذه الامراض وتخليص قلب مريده منها.

وان طبق السالك آداب الذكر المعروفة وتمسك بذكر «**لااله الا الله**» فتسهل عليه معالجة امراضه القلبية. وحين يقول «لا اله» يتخيل معه طرد الحسد،وأنْ لاحسد في قلبه ولاشيء في قلبه «الا الله» فيشعر بنظافة قلبه من الحسد وهكذا الامر بالنسبة لكل رذيلة.

ومن الناس من ليست له بعض الرذائل كالكذب والكبر مثلا فيحقق في حال نفسه ومافيها من الرذائل. وبهذا النوع من الذكر يطهر قلبه منها. ويقول في بعض الاحيان معترفا في قلبه: انني مبتلى بهذه الرذيلة فجنبّني منها فيتخلص منها واحدة بعد الاخرى ببركة هذا الذكر.

وهذا التطهير القلبي والتزكية، واشراق اللطائف، والتنقل من خطوة الى اخرى وهي سبع خطوات تسمى «**السفر في الوطن**» اي الارتحال قلبيا من مركز الى مركز حتى تتطهر جميعا، وهو ايضا التأمل في النفس لكشف الامراض لمعالجتها قال تعالى «**وفي انفسكم افلا تبصرون؟**»

والصوفي في هذه المرحلة يعيش مع الذكر ويعاف كل شيء عدا ذكر ربه وكما قالوا:
كل شيء ماعدا ذكر الله سبحانه نزع للروح ولو كان طعام السكر.

وفي القرآن الكريم «**واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**» الجمعة ١٠

ومن حصل على بركة معنوية واحسَّ بها فعليه العمل للمحافظة عليها، فان ذهبت عاد الى الذكر الى ان يستعيد البركة وتصبح البركة حالا دائما وخلقا مستمرا.

وقد ذكرنا في تعريف اللوامع ان المريد المبتدىء يرى شعاع النور في قلبه ولكنه يذهب ولايستقر، ويتكرر حتى يألف ويستقر في القلب.

وبعد هذا نأتي الى «**جذبة القبول**».

وهي اسم للسالكين يطلق عليهم عندما تتوجه اليهم حالة خاصة فينجذبون فيها الى ربهم فيكون محمودا عند ربه فان نضجت الجذبة وظهرت تسري بين حنايا قلبه فيوضات الهية يحس بها السالك المجذوب فتلتذ روحه ويسر وقد يسعد بها السالك سعادة تفقده وعيه. فان استدامت هذه الحالة فانه يقرب من حالة الحضور والفناء وهذه الحالة تسمى «**حقيقة الذكر**» لانه من المرحلة الاولى لهبوب البركة كانت الصورة ومن حالة الحضور تكون الحقيقة وتسمى هذه الحال: (**درج النهاية في البداية**) او اندراج النهاية في البداية وهذه لاتحصل في يوم او مرة،ولكل شيء وقته ومدته وحسابه.

اما الثمار الطيبة المتنوعة للطائف ولكل عبادة كالتهجد وقراءة القرآن الكريم فانها لاتعد ولاتحصى وقد ذكر الامام الرباني في مكتوباته البركات الخاصة لكل حالة، وفي الطرق الصوفية العديدة، فانه كان مرشدا للطرق القادرية، والسهروردية، والجشتية والكبروية، بالاضافة الى كونه من كبار مشايخ النقشبندية.

قال الشيخ **عبدالله الدهلوي**: بركة الصالحين قد تنزل كضياء من الشمس فتدخل القلب في زاوية وقد تكون كسحاب يعمّ جوانب القلب، او كصبا لطيف او كمطر، او نهر، او كخيمة من حرير تشمل البدن كله او كالندى الذي ينزل على القلب.

وقال ايضا: قد يحصل الشوق والدفء الروحي لسالكي الطريقة الجشتية، ويحصل الصفاء واللمعان لسالكي الطريقة القادرية، ويحصل لسالكي الطريقة النقشبندية الغياب وفقدان الوعي، اما السهروردية فآثارها هي آثار النقشبندية نفسها.

هذه قطرة من بحر التصوف. وباقة ورد من حديقة غناء تشمل الارض كلها، اردتُ بها بيان قدر منه لكم لاالاحاطة به فان عالَم التصوف في حقيقته هو عالم معرفة الله سبحانه وهو عالم لانهاية له ولاحد له لافي اوله ولافي اخره.

ولتوضيح مصطلح **«اندراج النهاية في البداية»** نقول كما ان الاندراج يعني استقرار حقيقة الذكر في القلب وهو مااشرنا اليه سابقا فان له صورة اخرى هي:

قد ينتقل المرشد بمريده في حال توجهه الى مقامات كبيرة فيريه اياها، او يبقيه هناك مدة يظن فيها انه قد حل هناك فيعيده الى مقامه الاول وهدفه تشويق المريد وحثه على العمل للوصول اليها بقلب مشتاق ملهوف.

ومثله مثل الامور الدنيوية حين يُدْعَى انسان الى قصور فخمة ويقال له انك ان وصلت الى ذلك المقام اصبحت صاحب هذه القصور، فاذا كان ممن يرغب في الدنيا فانه يعمل بشوق اكبر للحصول عليها حقيقة.

ومن صور الاندراج انه قد يحصل الكشف للسالك وتبدو له بعض الاسرار كأن يكشف له حال الميت صالحا ام لا، وهو في الحقيقة لم يصل الى هذا الحد الذي يدرك بقوته المعنوية هذه الاحوال. وحكمة ذلك دعوته للخوف والامل **«الخوف والرجاء»** ويصل الى **«عين اليقين»**. ومن صوره انه يجتاز المريد المراحل كلها ويقترب من الوصول حتى يصبح خليفة دون ان يكون صاحب البركات، ولكن قوته الباطنية تقع في ظل

القوة الباطنية للمرشد، ويسمى اصطلاحا «في ظل المرشد» او في ظل القطب واصطلح عليه ايضا بضمنية المرشد،وهذا الخليفة لايعرف ان هذه القوة ليست له وهي لمرشده، وصادف مرارا ان كبار المشايخ يرسلون خلفاءهم في هذه الحالة للارشاد.

تبين ان درج النهاية اكبر من غيرها. فقد يحتار الناس من هذه المواهب والكرامات والبركات التي تظهر على هذا الخليفة الذي لايختلف توجهه عن توجه شيخه وهو يعالج امراض القلب العديدة، ويوصل السالك، ولكنها في نفس الوقت اختبار للمرشد ليكتشف قابليته فقد يسقط الخلفاء في الامتحان ويسيطر الغرور عليهم ويظنون انها من قدراتهم وان لم ينجحوا فانهم لن يرجعوا الى مقاماتهم الاصلية بل قد يطردون مدة وان نجحوا يعادون الى مقاماتهم ولكن هذه الدورة مفيدة ان اعتبربها وحافظ على الادب اذ يرفع درجاته وقد اطلع على المقامات العليا وعندما يرجع الى محله السابق فانه يتنبه الى ان هذه القوى لم تكن له وانما هي لمرشده. اين هو من هذه المقامات؟ فعليه عمل شاق ورياضة دائمة للوصول اليها.

وهذه الصور المختلفة لدرج النهاية في البداية تابعة لرغبة المرشد ذلك انه استاذ القلب، وخبيره وطبيبه وهو ادرى بحاجة كل مريد ومَداها.

ان منهج سلوك اللطائف بشكل مقسم هو منهج الامام الرباني، اما خلفاؤه ومنهم نجله الشيخ محمد معصوم استصعبوا هذا العمل فاكتفوا بتربية لطيفة القلب في عالم الامر، ولطيفة النفس في عالم الخلق وايصالها، اما اللطائف الاخرى فتربيتها بالتزكية حتى وصول مرحلة الفناء والبقاء. وقال الشيخ عبد الله الدهلوي: **نحن نأخذ بالرأي الاخير**، ولذا نقول: ان المرشد النقشبندي هو الذي يختار مايراه الافضل والضروري لمريده لاسيما بالنسبة لمن يجري تربيتهم عن طريق الرابطة، وعندما تبدأ اللطائف بالذكر يحظى بحضور الحق ولهذا الحضور انواع وقد وضع كبار السالكين لكل نوع من الحضور اسما وذلك لمعرفة وافهام المريدين.

وان كان حضور الحق مقابل حضور الخلق بحيث لم يسكرك هذا الحضور فتنسى الناس،ولم يؤثر في حضورك الناس، فيُسَمّىٰ **«ذكر القلب»**

وان كان حضور الحق غالبا فهذا **«ذكر الروح»** وان انساك هذا الحضور نفسك ولكن لم تنس الخلق فهو **«ذكر السر»**

فان انساك حضور الحق نفسك والخلق فهو **«الذكر الخفي »**.

**فما هو الحضور؟ وكيف الاحساس به؟**

**قال:** ان استطاع المريد النظر الى قلبه وعرف انه قريب من الله سبحانه فهذا هو الحضور وحتى اذا لم يكن دائما فانه واضح للسالك. وقد يقل الحضور بسبب انشغال المريد بكسب الدنيا وان كان حضوره بشكل «**كأنك تراه**» وفي كل وقت وحال،حين الكلام وحين السكوت، وعند السرور والغضب، واصبح الحضور ملكة فهذه الحال تسمى «**الوعي الدائم**» وهو التذكر الدائم. وهي احدى اسس الطريقة النقشبندية.

وتبذل هذه المحاولات، ذلك انه قد سعد بعين بصيرته بالرؤية والمشاهدة وقد يشعر السالك في هذه الحال انه يشاهد بعين البصر لابعين البصيرة اذ يغلب عليه الحضور فيتلفظ بكلمات يفهم منها الحلول والاتحاد، والحقيقة انه في حال حضور ومايقوله يعتبر شطحات تخرج من فمه وقد يقال له انك قلت كذا وكذا فلا يصدق كما هو حال السكران بعد افاقته.

وهذه الرؤية تشبه الرؤية المنامية التي هي رؤية خاصة.

ولايمكن رؤية الله بعين البصر في هذه الدنيا فان سمعنا امرا مخالفا من مجذوب فعلينا إن نعلم انه يقصد مايحس به في نفسه لافي الواقع.

وقال الشيخ عبدالله الدهلوي: وبعد هذه الحالة «**عين اليقين**» تبدأ «**المراقبة المعيّة**» كما قال سبحانه وتعالى.. ﴿**وهو معكم اينما كنتم**﴾الحديد٤.

وهنا اجيز للذكر باللسان وهذا النوع من القرابة يعتبر من الولاية الصغرى وهي اول درجة الاولياء وهي قطع المسافة في ظل «اسماء الله» وهذا المقام يسمى مقام الجذبة فيتحقق له الشعور بالبركة، والخفقان، والشوق والبكاء والذوق والتوحيد الفعلي وتجليات نور الحق ورؤية الوحدة والكثرة وحالات الانس والهيمان والوحشة والحيرة كما لايخفى على ارباب هذه الولاية، ويتحقق ايضا الاستغراق في بحر المعرفة فينقطع عن علاقاته بالناس وينسى ماسوى الله ويسلم قلبُه من الخطرات والوساوس. وهذه تتحقق في مرحلة الولاية ويتحقق هنا ايضا فناء القلب اي الدوام على حالة السكر الروحي وطرد ماسوى الله في قلبه.

ويقول احد الشعراء الحالمين بهذه الدرجة مامعناه:

**متى افترق عن نفسي**
**ولايبقى انا وانت**
**والباقي هو الله**

وهذه حالة المعية او المراقبة المعية.

سبق ان ذكرنا ان الله قريب منا وفي القرآن الكريم «**نحن اقرب اليكم من حبل الوريد**» والعبد ايضا لسبب تزكية باطنه يشعر بهذا القرب والحقيقة ان كل عبد قريب منه ولكن الطاهر يحس بالقرب اما الذي لم يتزك قلبه فانه لايشعر بقرب الله، وتحدث الشيخ عبد الله عن اربعة انواع من الفناء فقال:

**١ ـ فناء الخلق: وهو ان لايخاف من احد ولايرجو احدا الا الله.**

**٢ ـ فناء الرغبة: فالسالك هنا لايرغب الا في القرب منه سبحانه.**

**٣ ـ فناء الارادة: فلا تبقى له ويكون كالميت فلا يطلب شيئا.**

**٤ ـ فناء الافعال: لاتبقى له قدرة على اي فعل فيريد كل شيء من ربه او عندما** تنتهي قدرته على الفعل يتولى الله سبحانه اعماله، وهذه اشارة الى الحديث القدسي «**مايزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها**».

كما ذكرت سابقا: يقول النقشبنديون ان مقام الولاية عبارة عن عشرة مقامات هي: التوبة، الانابة، الزهد، القناعة، الورع، الصبر، الشكر، التوكل، التسليم، الرضا.

وفي النقشبندية ان مقام الولاية وفناء القلب لايكفي ليكون الشيخ مرشداً ولايكون كذلك الا بعد فناء النفس وتحقق كمالات الولاية الكبرى فيكون صالحا للاجازة المطلقة في الارشاد.

ان في حال فناء القلب تزول الخطرات من القلب فتنزل في النفس وفي حال فناء النفس التي مكانها في الجبين لايبقى مكان للخطرات. وهذه الدرجات التي يقطعها السالك في رحلته الى الله سبحانه من اولها الى الدرجة التي لايعلمها الا الله وقد يحس بها السالك شبهت بالدوائر.

وهذه الدوائر تشتمل على جميع اللطائف والمنح والمواهب في مقدمتها تسمى دائرة الامكان وفي اخرها دائرة اللاتعيين، وهي عشرون دائرة، وفي هذه الدوائر قال بعضهم:

اذا ازيل حجاب على خد المحبوب يظهر حجاب آخر، واذا قطع حجاب يظهر حجاب آخر.

وقد تحدث الامام الرباني في مكتوباته والشيخ عبدالله الدهلوي في كتابه ايضاح الطريق عن هذه الدوائر وهي اسم معنوي ولكنه يشبه فعلا الدائرة وواضح عند سالكي الطريقة النقشبندية وسأتناولها باختصار:

على السالك قبل كل شيء ان يقطع دائرة الامكان وهي تمام عالم الخلق والامر والعروج بتزكية هذا العالم، وهو عبارة عن تزكية اللطائف الخمس وتزكية النفس والعناصر الاربعة وطبيعة الجسم، فان اكمل مسيرة هذه الدائرة بالتزكية تخلص من دائرة الامكان ووصل الى الدائرة الثانية وهي الولاية الصغرى التي هي ولاية الاولياء وفي هذه الولاية يبدأ السير والعروج نحو قمة المطلوب في ظلال الاسماء والصفات ومن هذا الموطن يتحقق الشروع في حقيقة الفناء «والجذبة» من ثمراته.

وبعد العروج من الدائرة السابقة بطريقة السير في ظل اسماء الله يكون ذلك شروعا في الولاية الكبرى وهي مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاصالة ووصول اصحابهم الكرام الى هذه الدائرة بالتبعية ومن وصل الى هذه الدائرة فقد اجتاز مقام «فناء النفس».

واقول ان فناء النفس وفناء القلب يختلفان عن تزكية القلب او تزكية النفس فالتزكية هي للابتداء وهي تطهير للقلب ليس الا، ولكن فناء اللطائف مقام اعلى وهو آخر درجة،ودائرة الولاية الكبرى لها ثلاث دوائر وقوس واحد اي ثلاث دوائر ونصف دائرة يحس بها السالك وعليه ان يجتازها واحدة بعد الاخرى بكل قوة و,جولة كما هو حال السالك في طريق جبلي او طريق صحراوي. والسالك نفسه يعرف اين هو!!

ويتم السير في هذا الطريق في ظل الاسماء والصفات وثمار السالك من هذه الدائرة هي الفناء الحقيقي، حقيقة الاسلام، وشرح الصدر، ومقام دوام الشكر والرضا، والتخلص من الاخلاق المذمومة.

## دائرة الولاية العليا

وهي دائرة الملأ الاعلى من الملائكة والارواح وتحصل للصالحين بالتبعية.
وفصّل الامام الرباني ذلك فقال:

**ان عمر الانسان كله لايكفي لاجتياز خطوة في هذا الميدان لولا عناية الله سبحانه،** وفي هذا الموضوع يشير الى قوله تعالى «**تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة**» المعارج٤. فلا يمكن العروج الى هذا المقام الابعون منه سبحانه ومن ثماره النور الذي يحصل للسالك فيتذكر الوقت الذي كان في سلطان الاذكار وحصل له مثله ولكن اين هذا النور من ذلك؟ وهو مقام عظيم ورفيع.

وحيث ان هذه الولاية اصلا للملأ الاعلى فتحصل للسالك علاقة بالارواح والملائكة ويدرك الاسرار التي كانت من ثمار لطيفة السر، ولطيفة الاخفى، فهنيئا لارباب النعيم نعيمهم. ثم تبدأ الرحلة في دائرة كمالات النبوة. وفي هذه الدائرة يحصل التجلي الذاتي دون غطاء الاسماء والصفات.

ويقول: **إنّ تقدم خطوة هنا افضل من مقامات الولايات**، اذ يتحقق الحضور دون تردّدٍ او خفقان قلب ويتحقق برد اليقين، وهو لايبلغه الحال ولاالمقام، وهنا ايضا تظهر له علوم الشريعة وهي مقام خاص بالانبياء اساسا يرثه الاولياء باتّباع طريقهم.

واقتبس هنا مما كتبه الشيخ عبدالله الدهلوي في كتابه ايضاح الطريق مكتفيا ببعض الامور المهمة في هذا الموضوع، والدوائر الاخرى هي سير في الكمالات حيث يحصل كمال بعد كمال لكبار رجال التصوف مثل:

**دائرة كمال الرسالة، دائرة كمال اولي العزم،**
**دائرة حقيقة الكعبة، دائرة حقيقة القرآن،**
**دائرة حقيقة الصلاة، دائرة المعبودية المحضة.**

ومن هنا يتوقف السير بالقدم ويبدأ السير النظري فيرى بعين البصيرة هذه المقامات، فيرون بهذه العين «**دائرة الخلّة**» وهي مقام سيدنا ابراهيم خليل الله، والانبياء الاخرون تابعون له في هذا المقام «**اتبع ملة ابراهيم حنيفا**» النحل ١٢٣ كما تقول في الصلاة «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل**

**ابراهيم»** ومعنى كما صليت هو التبعية. وتسمى هذه الدائرة بالحقيقة الابراهيمية.

ثم دائرة «**المحبة الصرفة الذاتية**» التي تظهر لكبار السالكين ويقع من مركزها الحقيقة الموسوية وهي دائرة حقيقة موسى، ثم دائرة المُحِبّية والمحبوبية الممتزجتين وهي: دائرة الحقيقة المحمدية، وهي دائرة عظيمة.

ثم الدائرة المحبوبية الصرفة الذاتية وهي الحقيقة الاحمدية ثم دائرة الحب الصرف ويأتي بعدها «**اللاتعيينية**» وهي الدائرة التي لايبلغها احد بالسير القدمي بل بالسير النظري.

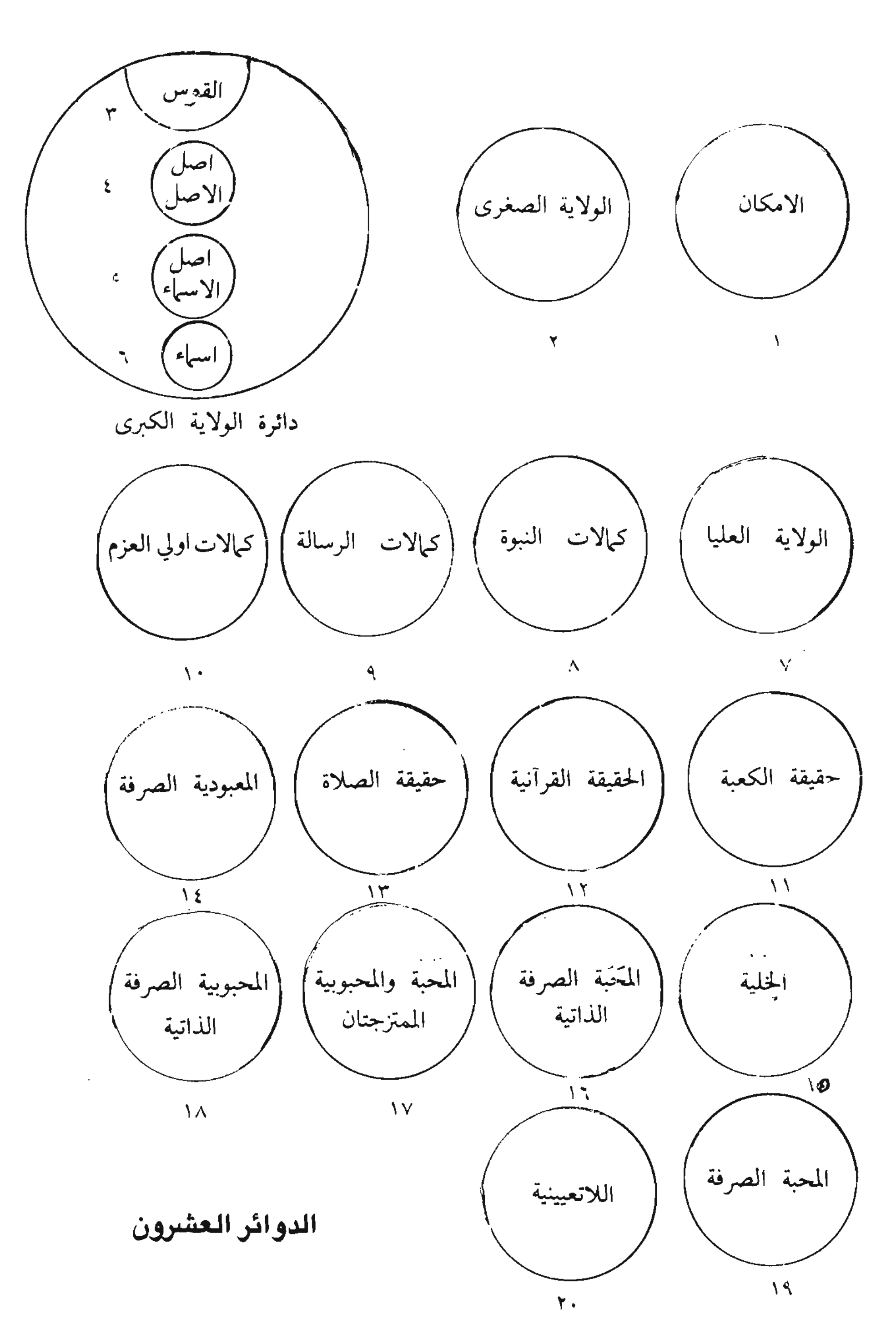
وقد يحظى السالك بمقام معين (**بالتبعية**) وهي في اصطلاحهم كالضّمنية والظلية ومعناه: ان صاحب المقام (البركة) يأخذ صديقه المحبوب بالتبعية الى مقام ليس له فهو تابع وليس بصاحب مقام وهو يُحترم في هذا المقام تقديراً لمضيفه، كما هو الحال في امور الدنيا وعلاقاتها، واساسه هو حب ابي بكر رضي الله عنه لسيدنا محمد (ﷺ) حيث قال ﷺ **«ماصبَّ الله شيئا في صدري الاوصببته في صدر ابي بكر»**

ثم قال الشيخ عبدالله الدهلوي في اخر الموضوع:

ان درجات الولاية الثلاث «الصغرى الكبرى العليا» والكمالات الثلاثة النبوة والرسالة واولي العزم، والحقائق السبع (حقيقة الكعبة، القرآن، الصلاة، الابراهيمية، الموسوية، المحمدية، الاحمدية) وبعدها دوائر المحبة الصرفة واللاتعيينية، لاتحصل لكل من سلك من اتباع الطرق، بعضهم يبلغ ولاية القلب وقد لايتجاوز دائرة الامكان، وبعضهم يصل الى الولاية الكبرى وقليل منهم يبلغ الولاية العليا، والاقل منهم يبلغ الكمالات الثلاثة واين من يبلغ الحقائق السبع واعلاها؟؟

---

وهو التذكر الدائم: وهي احدى اسس الطريقة النقشبندية
١ ـ مكتوبات الامام الرباني الصفحة (٢٤١)




الدوائر العشرون

# الكلمات الاحدى عشرة في الطريقة النقشبندية

ان مبنى الطريقة النقشبندية على العمل باحدى عشرة كلمة وقاعدة صوفية استمدت من التجربة السلوكية لمشايخ الطريقة ثمانٍ منها مأثورة عن الشيخ عبد الخالق الغجدواني (٥٧٥ هـ) وثلاث منها مأثورة عن الشيخ الاكبر محمد بهاء الدين النقشبند (٧١٧ ـ ٧٩١ هـ).

وقد علم ان النقشبندية اسست على الذكر القلبي، والذكر هو التأمل في اسمه تعالى حتى يبدأ القلب وكل الجسد بالذكر وثمرته تطهير القلب من الرذائل ودوام الحضور.

والحقيقة ان المقصود هو المذكور والقرب من الحق والذكر وسيلة للقرب وحين يتجلى نور الله في القلب وتحقق الحضور لايبقى الذكر اذ يكون المذكور حاضرا، وهذا القرب كما قلنا ليس بقرب الذات من الذات وليس بقرب الجسد من ذات الله سبحانه بل بقرب الباطن من نور الله سبحانه وهذا القرب يدرك بعين القلب لابعين الرأس اي بالبصيرة لابالبصر.

وكما قلنا ان المثال على ذلك هو الرؤية في المنام. فبأي عين نرى في المنام؟ وبذلك نقرب المعنى في نفوسنا.

وهذه الكلمات هي:

١ ـ اليقظة عند النَفَس

٢ ـ النظر الى القدم

٣ ـ السفر في الوطن

٤ ـ الخلوة في الجلوة

٥ ـ الذكر الدائم

٦ ـ العودة من الذكر الى الذات

٧ ـ حراسة القلب من الغفلات والخواطر، او الحضور الدائم

٨ ـ حفظ اثار الذكر في القلب

٩ ـ الوقوف الزماني

١٠ ـ الوقوف العددي

١١ ـ الوقوف القلبي

## ١ ـ اليقظة عند النفس: «هوش دردم»

ومعناه حفظ النفس عن الغفلة عند دخوله وخروجه وبينهما ليكون قلبه حاضرا مع الله في جميع الانفاس فلا تتوزع خيالاته على امور دنيوية.

قال النقشبند: **ان عمل السالك متعلق بنفسه، فعليه ان يعلم فيها اذا مر نفسه مع الحضور او مع الغفلة لكي يبقى السالك في حالة الذكر ولايتوزع باله على الماضي او المستقبل في حال الغفلة.**

قال الشيخ عبيدالله الاحرار ٨٠٩ ـ ٨٩٥ هـ وهو احد كبار النقشبندية: **اهم عمل في الطريقة النقشبندية هو مراقبة النفس حتى لايخرج في الغفلة، ومن لم يفكر فيها يقال له انه (فقد نفسه).**

وقال الشيخ سعد الدين الكاشغري وهو معاصر الشيخ عبيدالله:

**معنى اليقظة عند النفس هو ان لايغفل السالك من نفس الى نفس وان يتنفس مع الحضور وان لايخلو النفس عن الحق.**

وباختصار تعنى هذه الكلمة عند رجال الطريقة النقشبندية اليقظة والدقة والفكر عند التنفس وهو درجة من درجات الطريقة واذا اضاع السالك نفساً له فكأنه ارتكب ذنبا، ذلك ان ضياع النفس هو ضررٌ لهُ.

## ٢ ـ النظر الى القدم: «نظر برقدم»

يرى البعض ان معناه: على الصوفي في حال مشيه في الطريق ان يكون نظره مركزا على موضع قدمه حتى لايتوزع باله وعقله على انحاء كثيرة، وحتى يكون عقله وفكره

مع الله فلا يغتر بجمال ومتاع الدنيا وهذا عمل محمود ولكن الامام الرباني يقول: النظر على القدم هي حال «السفر في الوطن» وهما معنويان والمقصود بهذه الكلمة:

هو ان السالك قبل ان يسير من مقام الى مقام اعلى عليه ان ينظر بعين البصيرة الى هذا المقام قبل ان يخطو على قدمه المعنوي. وفي مبحث الدوائر اشرنا الى ان المسيرة

بالقدم تصل الى نهاية مقامات الحقائق واخرها حقيقة الصلاة ثم تبدأ الرحلة النظرية. وقال الامام الرباني، ان السير النظري كالاستطلاع للسير على القدم لعروج المقامات وقبل ان يخطو بقدمه الى المقام الجديد فعليه ان يتحقق فيه ويعرف مكانه، فيخطو الى المقام الجديد، ويقال لهذا التحقق في المقام الجديد «النظر الى القدم» لذلك يشبه حالة السفر في الوطن، ذلك ان النظر على القدم يعنى الرحلة من مقام الى مقام وهي نفس معنى السفر في الوطن. والتحقق في موضع القدم في حال السفر يعني النظر على القدم وهو تبصير السالك بدرجته ومنزلته في مستقبله. وبعد مرحلة الرحلة على القدم تبدأ مرحلة نظر السالك، والسالك يرى المقامات الكبرى بالنظر فقط.

يقول فخر الدين الكاشفي في الرشحات: **النظر على القدم يشير الى مدى تقدم السالك في مسلك التصوف للعروج الى مقامات الوجود، وتجاوز عقدة الانانية**. وله كتاب مهم موسوم بـ (الاصول النقشبندية) محفوظ في المكتبة الوطنية الفرنسية

---

**٣ ـ السفر في الوطن: «سفردر وطن» وله معان:**

---

**المعنى الاول:**

لانشك في ان السفر بالمعنى المعروف مفيد لرفد الخبرة وتوسعة الادراك، والسير في الارض يورث العبرة في النظر الى المخلوقات، ويوجه ابصار الانسان الى عظمة خالقه.

فالسفر باعث للتفكر وقد مدح الله سبحانه المتفكرين في خلق السموات والارض وقرنهم بالذاكرين قال تعالى **«الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض»** آل عمران ١٩١ ثم مدح السائحين في الارض وقرنهم بالتائبين العابدين. فقال سبحانه **«التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله»** التوبة ١١٢ وفي سورة التحريم **«تائبات عابدات سائحات»**.

وفي القرآن الكريم عناية خاصة بالسائرين في الارض للاعتبار بما جرى على الارض عقابا للمعتدين، او دلالة على التغيرات في امور الحياة. يقول سبحانه في اربعة مواضع

من القرآن الكريم «**افلم يسيروا في الارض**».
وفي ثلاثة مواضع «**قل سيروا في الارض**».
وفي موضعين «**او لم يسيروا في الارض**».
وهي حث للمسلمين على السفر وعلى التجول في الارض ليزداد ايمانهم بالله سبحانه.

الا يعنى ذلك ان اساس هذه القاعدة الصوفية النقشبندية هو الخلق الاسلامي القرآني؟؟

**المعنى الثاني:**

هو البحث عن المرشد الصالح فقد اوصى كبار المشايخ بسفر المريدين للبحث عن مرشد كامل ولكنهم قالوا فعند ذلك على السالك ان يطيع كل مايأمر به المرشد وان رحلة مولانا خالد النقشبندي من العراق الى الشام والحجاز، ومن الحجاز الى كردستان ومنها الى ايران والافغان وكابل، وقندهار الى ان يصل الى حضرة الشيخ عبدالله الدهلوي ويحظى بامنيته في حضرة هذا المرشد الكامل تعتبر من الرحلات الصوفية المهمة في هذا المجال وكذلك رحلة الامام الغزالي من طوس الى بغداد ومنها الى الشام والحجاز للبحث عن مرشد مثال اخر لهذه الرحلات.

**المعنى الثالث:**

وهو المعنى المعنوي في المصطلح النقشبندي:
يقول النقشبنديون ان المعنى المعنوي لهذه الكلمة عبارة عن محاولة السالك للانتقال من الصفات البشرية الخسيسة الى الصفات الملكية الفاضلة وهو سفر من عالم الخلق الى الحق وهو ابتعاد عن مغريات الدنيا والتقرب من مالك الدارين وهو سفر من حال ومقام الى حال ومقام احسن واعلى.

**٤ ـ «الخلوة في الجلوة: «خلوت در انجمن»**

ومعناه ان جسده مع الخلق وقلبه مع ربه.

والخلوة نوعان:

**خلوة مادية،**

وهي عبارة عن انتقال السالك الى زاوية معزولة للتعبد والتأمل وهذه نافعة للسالك لضبط حواسه وامكان التركيز على قلبه والانهماك في حال قلبه ومن المعلوم انه كلما استطاع تعطيل الصفات الخارجية من العمل تزداد الصفات الباطنية نشاطاوعملا وبهذا يقرب من عالم الملكوت بشكل احسن.

**والنوع الثاني:**

خلوة القلب بحيث لايغفل عن ذكر ربه حتى اذا كان مع الناس ومشغولا بالكسب والذهاب والاياب فيبقى قلبه ذاكرا ولايغفل عن ربه قال تعالى **«رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله»** النور ٣٧ والمقصود هنا المعنى الثاني.

**قال** الشيخ محمد امين الكردي في كتابه تنوير القلوب **«فمعناه ان يكون قلب السالك حاضرا مع الحق في الاحوال كلها غائبا عن الخلق مع كونه بين الناس»**.

ويستحسن معظم كبار علماء التصوف ان يبقى قريبا من الناس، عاملا بالكسب الحلال بعد ان يستقر السالك ويتقدم في سلوكه.

قال الشيخ ابو سعيد الخراز المتوفى ٢٧٩ هـ:

**ليس الكامل من صدر عنه انواع الكرامات وانما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوج ويختلط بالناس ولايغفل عن الله لحظة واحدة.**

ويقولون (الصوفي كائن بائن) اي بالظاهر والجسم كائن مع الخلق وبالباطن والقلب بائن عنهم.

قال الامام الرباني:

**الخلوة في الجلوة فرع للسفر في الوطن ذلك انه متى يتيسر السفر في الوطن يسافر في خلوة الوطن ايضا في نفس الجلوة ولاتتطرق تفرقة الافاق الى حجرة الانفس.** وقال: هذا العمل في البداية صعب ولكنه سرعان مايسهل وقال: هذه الموهبة في طريقتنا للمتبدئين اما في الطرق الاخرى فهي للمنتهين. ذلك انها تحصل في السير في الانفس

وهي بداية الطريقة النقشبندية والسير الافاقي يحصل مع السير في الانفس والسالكون من الطرق الاخرى عليهم ان يكملوا السير الافاقي ثم يبدأوا بالسير في الانفس.

وللتوضيح اقول:

ان السير الافاقي هو سير في عالم المادة وفي عالم الخلق.

اما السير في الانفس فهو عبور المقامات القلبية الباطنية وتسمى اللطائف وهي من عالم الامر، والاسرار والانوار التي تكشف خارج القلب هي من عالم الخلق اي افاقي وماتكشف في القلب وترى فهي للانفس وعالم الامر.

وقد كنت اسمع من والدي قدس سره: ان كثيرين من الصالحين يذهبون الى السوق، ويدخلون في المجتمعات لايعرفهم الناس، ذلك ليختصوا برحمته سبحانه حيث تنزل رحمته على الناس جميعا ولكن يصيب الناس غير الغافلين والناس في السوق غافلون، وهذه هي الخلوة في الجماعة (الجلوة).

والتحلي بهذه الصفات والقدرةعلى تحقيق هذه الاعمال هي من مواهب هؤلاء السالكين الذين ملكوا هذه الدرجات بما قدموا من الذكر والعبودية والصدق والمجاهدة.

## ٥ ـ الذكر الدائم (يادكرد):

والذكر بالمعنى العام الذي يشمل ذكر اسم الجلالة والتأمل، والصلاة وقراءة القرآن الكريم والدعاء هو اساس السلوك الصوفي، والغالب الشائع من معانيه هو ذكر اسم الجلالة «الله» والتأمل.

والذكر قد يكون جهرا وقد يكون سرا والسلوك النقشبندي يعتمد الذكر السري وله صورتان: ذكر «الله» عز وجل، والنفي والاثبات «**لااله الاالله**» وفي الحديث الشريف (**افضل ما قلتُ انا والنبيون من قبلي، لااله الا الله**) وهذه الطريقة كانت تسمى الطريقة الخواجية، باسم مرشدها الاكبر المعروف بخواجه عبد الخالق الغجدواني، وهو الذي اسس الذكر السِرّي في الطريقة النقشبندية وروجه وابتكر هذه النصائح التي نحن بصدد بيانها، وقد ظل الذكر الجهري معمولا به بجانب الذكر الخفي عند

السالكين الى عهد الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي وهو رئيس الطريقة النقشبندية اذ قرر ان الطريقة هي الذكر القلبي لا غير، واضاف ثلاث نصائح اخرى الى كلمات الغجدواني وهي: الوقوف القلبي والوقوف العددي والوقوف الزماني فاصبحت (١١) كلمة او نصيحة.

والمقصود بالذكر هنا هو مداومة الذكر والتذكر، والفائدة في الذكر القلبي انه لايحتاج الى صوت او حرف اي القول باللسان فيستطيع ان يذكر السالك حتى في خضم العمل ولكن الذكر اللساني لايتحقق في حال العمل ولاسيما في حال الكلام مع الناس.

وهذا الذكر القلبي يتطلب المداومة حتى يتحقق للذاكر السالك الحضور الدائم مع المذكور وهو الله سبحانه وهدفه هو هذا الحضور وحينذاك يدرك السالك بحسه الباطني وبعين بصيرته انه حاضر امام ربه ويرى البركات وهي حالة المشاهدة.

وقد ذكرنا ان منهم من يذكر الله في يوم واحد (٢٥) الف مرة واقل الذكر بالنسبة للمبتدئين (٥) الاف مرة، وبعد ان يبلغ مرحلة الحضور لايبقى للعدد مفهوم وكذلك الذكر اللساني ذلك ان المذكور، وهو الله قد احاط بقلبه والسالك يقطع المقامات.

---

**٦ ـ العودة من الذكر الى الذات «بازگشت»:**

---

ومعناها رجوع الذاكر من النفي والاثبات «**لااله الاالله**» بعد اطلاق نَفَسه الى المناجاة بهذه الكلمة الشريفة باللسان او بالقلب «**الهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي**» وذلك لطرد كل الخيالات من قلبه حتى يفنى من نظره وجود جميع الخلق.

---

**٧ ـ حراسة القلب من الغفلات او الحضور الدائم. «نگاه‌داشت»:**

---

ومعناه ان يحفظ المريد قلبه من دخول الخواطر ولو لحظة فان خطر على قلبه شيء حقا ام باطلا فعليه ان يوقف ذكره حتى ينتهي من طرد الخواطر فيبدأ بالذكر من جديد.

وجاء في كتاب (مناهج السير) للسيد ابي الحسن زيد المجددي الفاروقي مطبوع في دلهي ١٩٥٧: **ان هذا التوقف معناه انه على السالك ان يحافظ على الثمار من البركات التي حصل عليها بمداومة الذكر او على درجة الحضور والمشاهدة التي حصل عليها**

**باستقامته على الذكر فلا يسمح بتسلل الخطرات الى قلبه.**

وفي كتاب رشحات عين الحياة (المطبوع ١٩١٢ في كانبيرا) ينقل فخر الدين على الكاشفي عن سعد الدين الكاشغري: **على السالك ان يتمرن ساعة او ساعتين او ثلاث ساعات يوميا حسب طاقته عل حبس ذهنه وفكره القلبي بحيث لايخطر في قلبه شيء ولايبقى في قلبه غير الله سبحانه** ويرى بعضهم ان التوقف خاص بذكر النفي والاثبات (**لا إله الا الله**) وهو ان يرسخ معنى الذكر في قلبه ويحبسه لكي يدوم المعنى وهو انه «**لااله الاالله**»

فان لم يستطع فلا يحصل له الحضور القلبي.

وان هذه المحاولة كما يبدو تهدف الى دوام الحضور، ذلك ان حضور القلب وحفظ الباطن عن كل الخطرات والخيالات من اهم مقاصد الصوفية يرعاها المتصوفون، وهي درجة من درجات التصوف. وللمشايخ اقوال ونصائح عديدة في هذا المجال.

ويجب ان نعلم بانه ليس المقصود ان لايمر اي خاطر في القلب ولكن معناه هو ان لايستقر ويكون كالاوراق التي تمر سريعا على الماء الجاري ولاتترقف.

وفي كتاب الحدائق الوردية للسيد عبد المجيد الخاني رواية عن علاء الدين العطار يقول «ان منع الخطرات والخيالات عن التسلل الى القلب صعب وشاق ولكن عليكم العمل على طردها وعدم ابقائها». وقال: اني حرست قلبي عشرين سنة من الخطرات والخيالات ومع ذلك تسللت الى قلبي بعد كل هذه المدة ولكنها لم تستقر.

---

**٨ ـ المشاهدة «ياد داشت»:**

---

التوجه الخالص لمشاهدة انوار الذات، وتسمى ايضا عين اليقين، والشهود.

قال الشيخ محمد امين الكردي: هي **كناية عن حضور القلب مع الله تعالى على**

---

١ ـ مكتوبات الامام الرباني الصفحة ٣٥٧

**الدوام في كل حال من غير تكلف ولامجاهدة** وهذا الحضور في الحقيقة لايتيسر الا بعد طي مقامات الجذبة وقطع منازل السلوك.

وقال ايضا: والحق انه لايستقيم الا بعد الفناء التام والبقاء السابغ فالمشاهدة «ياداداشت» هي ثمرة عمل السالك وهي عبارة عن حال المريد بعد الوصول الى غايته وقد تكون ثمرة الذكر او المراقبة او مساعدة المرشد، ويصلها السالك بعد قطع كل الحواجز.

قال الشيخ عبيدالله الاحرار:

**تعني هذه الكلمة «المشاهدة ياداداشت» مشاهدة الحق بالحب الذاتي**، وهو حضور لاغياب فيه، يغطي الحب السالك بصورة دائمية وقيل ايضا (يادكرد) هو الدوام على الذكر و«الرجوع» بمعنى انه بعد اي توقف من الذكر يعود السالك الى قلبه ليقول: (الهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي» و«التوقف» (حراسة القلب) هي حراسة هذه الحالة دون ان يذكر شيئا.

فالمشاهدة هي دوام حراسة هذه الحالة والمحافظة على الحضور.

اما الكلمات الثلاث التي اضافها الشيخ النقشبند الى القواعد الثماني فهي:

### ٩ ـ الوقوف الزماني:

وهو المحاسبة القلبية ومعناه انه ينبغي على السالك بعد مضي كل ساعتين او ثلاث ان يلتفت الى حال نفسه كيف كان في هاتين الساعتين او الثلاث فان كانت حالة الحضور مع الله تعالى شكر الله تعالى على هذا التوفيق وان كانت حالة الغفلة استغفر منها واناب.

وجاء في كتاب الرشحات ان الشيخ بهاء الدين النقشبند قال:

**الوقوف الزماني هو ان يكون السالك واعيا لحاله عارفا بما هو فيه هل يستحق الشكر عليه او يجب عليه الاعتذار فان كان حسنا شكر الله عليه وان كان غير ذلك اعتذر.**

قال مولانا يعقوب الجرخي هو احد المريدين الكبار للشيخ النقشبند:

**ان الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند كان ينصح السالك الذي ابتلي بحال القبض، بالاستغفار وينصح السالك الذي اسعده الله بحال البسط بان يشكر الله سبحانه.**

فالوقوف الزمني هو مراقبة الحالين القبض والبسط ويفهم ايضا ان حالة البسط اساسها اليقظة وحالة القبض اساسها الغفلة.

---

## ١٠ ـ الوقوف العددي

---

وهو المحافظة على عدد الوتر في النفي والاثبات ثلاثاً او خمسا «**لااله الاالله**» ومنهم من يستطيع الذكر (٢١) مرة بنفس واحد، فهذه المراقبة العددية تسمى الوقوف العددي فالسالك واقف متيقظ بضبطٍ نَفَسه على الذكر بالوتر وهذا الذكر بالقلب وبالباطن وكذلك عَدّهُ بالقلب وبالباطن وليس باللسان ولهذا الوقوف ثمرة معنوية كبيرة وقد جربه المشايخ والمريدون وهو من بديهيات الطريقة.

قال الشيخ عبد الرحمن الجامي (٨١٧ ـ ٨٩٨ هـ) (وهو مؤلف نفحات الانس) في رسالته النورية (وهي مخطوطة في دار الكتب المصرية):

**حكمة الوقوف العددي هي معرفة السالك متى وفي اي عدد من الذكر تحصل له ثمرته؟**

فان بلغ (٢١) مرة ولم يشعر بالثمرة المعنوية فانه علامة واضحة لنقصان شروطه وانه يراقب العدد ليعرف فيها اذ حصلت له البركة ام لا.... فان لم تحصل البركة من (٢١) مرة فعليه ان يبحث عن سر نقص عمله.

قال الشيخ النقشبند:

**ان هذا الوقوف العددي هدفه ضبط فكر السالك وعقله لكي لايشتط ويذهب الى هناك او هنا.**

قال علاء الدين العطار:

**ليس المهم من الثمرة كثرة الذكر بل المهم هو التيقظ والمراقبة ويتحقق في الوقوف الزمني والعددي.**

## ١١ ـ الوقوف القلبي:

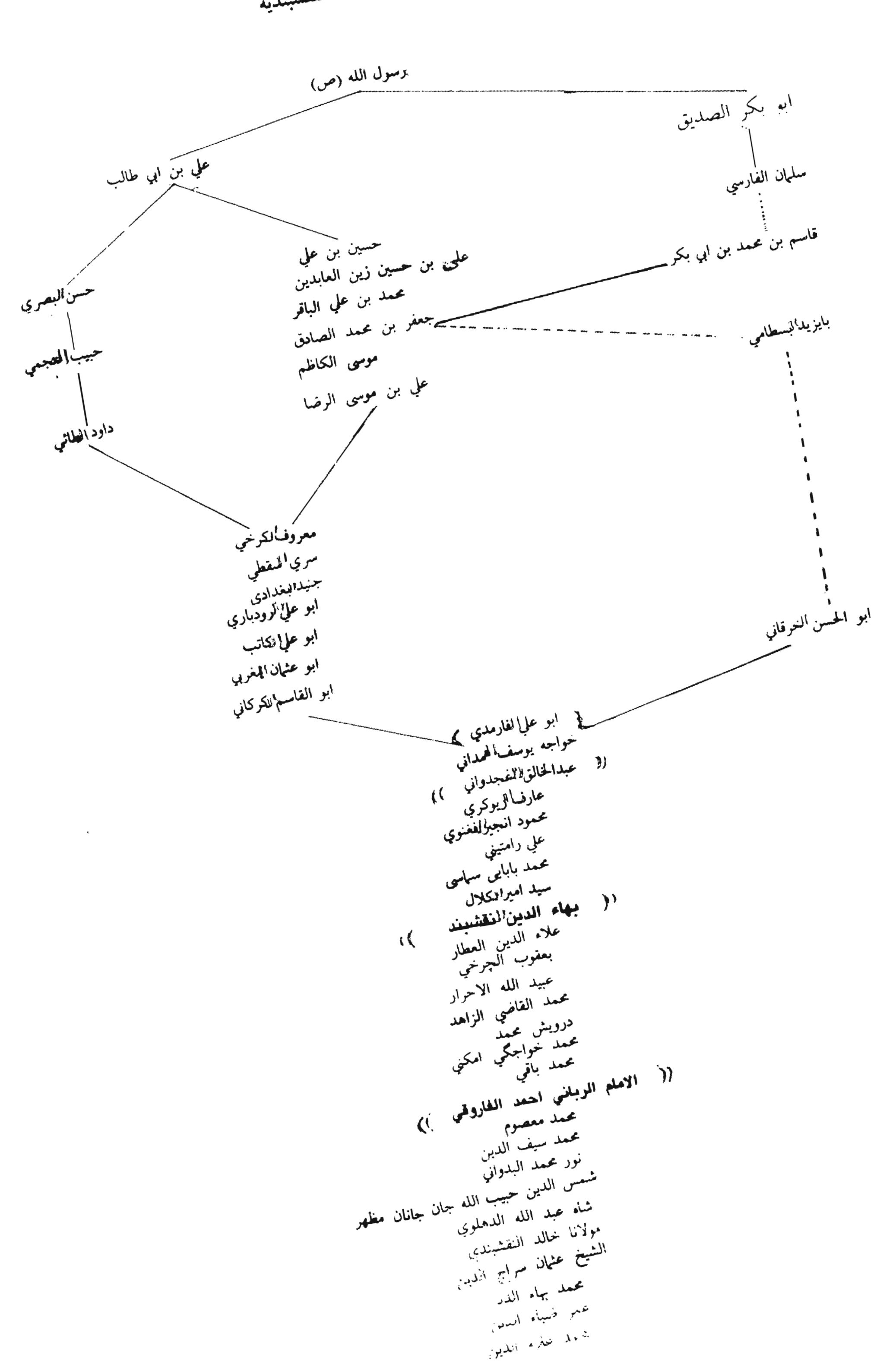
قال الشيخ عبدالله الدهلوي: **انه عبارة عن تنبه السالك لحال قلبه بمراقبته ومحاولة الاطلاع على انه ذاكر ام لا وعليه ان يتوجه بقلبه الى ذاته سبحانه دون ان يتصور القلب، او الاسم.**

فالوقوف القلبي هو حراسة القلب لكي يذكر الله دائما ولايغفل عنه ويكون القصد من الذكر، (المذكور) لا الكلمة وينتظر السالك البركة متوجها الى السماء ومع ان الله سبحانه في كل مكان فان السماء بالاعتبار الانساني هي مركز العلو والبركة. ويرى الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند:

**ان الوقوف القلبي افضل من الوقوف الزماني والوقوف العددي،** ذلك انه مع اهمية الوقوفين الزمني والعددي لاستحصال البركات فان فقدانهما لايؤثر في السلوك الصوفي، ولكن الوقوف القلبي ضروري فان فقده السالك الذاكر واصبح ذكره مجرد حركة اللسان او القلب دون الوعي فانه لايحصل على شيء.

# السلسلة النقشبندية

## سلاسل الثلاث للنقشبندية



ان الطريقة النقشبندية تصعد سلسلة بعد سلسلة الى ان تصل الى نبينا الاكرم سيدنا محمد ﷺ ولها ثلاث سلاسل:

**السلسلة الاولى السلسلة المتصلة بآل البيت وتسمى السلسلة الذهبية وهي،**

**١ ـ الرسول الاكرم سيدنا محمد ﷺ**
**٢ ـ الامام علي عليه السلام**
**٣ ـ الامام الحسين عليه السلام**
**٤ ـ الامام زين العابدين عليه السلام**
**٥ ـ الامام الباقر عليه السلام**
**٦ ـ الامام جعفر الصادق**
**٧ ـ الامام موسى الكاظم**
**٨ ـ الامام الرضا**
**٩ ـ الشيخ معروف الكرخي**
**١٠ ـ السري السقطي**
**١١ ـ الجنيد البغدادي**
**١٢ ـ الشيخ ابو علي الروذباري**
**١٣ ـ ابو عثمان المغربي**
**١٤ ـ ابو القاسم الجرجاني**
**١٥ ـ الشيخ ابو علي الفارمدي**

وتلتقي السلاسل الثلاث عند الشيخ ابي علي الفارمدي، وله الاجازة المطلقة من الجانبين وقد التقت سلسلتان عند الشيخ معروف سابقا.

**السلسلة الثانية:**
**١ ـ الرسول الاكرم سيدنا محمد ﷺ**
**٢ ـ الامام علي عليه السلام**
**٣ ـ الشيخ حسن البصري**
**٤ ـ الشيخ داود الطائي**
**٥ ـ الشيخ معروف الكرخي**

فقد اجيز الشيخ معروف من السلسلتين، وكما اجيز الامام جعفر الصادق من طرف جده الامام علي ووالد امه سيدنا ابي بكر الصديق.

وكان الخطاط الاديب السيد طاهر الهاشمي كتب لي بخطه الجميل السلاسل النقشبندية وهي مطبوعة في هذا الكتاب، وسأكتبها بالشكل الذي كان متداولا في الختم، والختم عبارة عن ذكر في الفجر وذكر في المغرب تؤديه حلقات السالكين النقشبنديين يتذكرون الموت اولا، ويتخيلون المرشد ثم يرتلون الصلوات ويقولون لاحول ولاقوة الا بالله. ياباقي انت الباقي بالقدر المعين ثم يقرأون القرآن ويقدمون مثل ثوابه الى روح مرشدهم ومرشد مرشدهم الى النبي ﷺ. وفي هذا الوقت تطفأ الشموع، ويغمضون عيونهم لمنع الخطرات من التسلل الى قلوبهم ومن اجل التركيز ولكل شيء هنا قدر معلوم، وقد يشارك المرشد معهم وقد يتوجه بقلبه الى قلب المريدين وينالهم من الحظوظ ويسمّى بالتوجه وقد ينيب احيانا بعض خلفائه للتوجه وهو دليل بلوغ الخليفة الى مستوى الارشاد والتوجيه ولكنه بداية الطريقة.

وقد يستفاد من المرشد ان كان حقيقيا دون حضوره وقد يفيد المرشد مريده بما لا يستطيع المريد الوصول اليه ولو عمل لذلك عشر سنوات. «اني اكدتُ سابقا بأن هذه المعلومات اساسها بعض الخبرة والمصادر من كتب التصوف وليس لي حظ من العلم فيها ومع ذلك فانه يشرّفني ان والدي الشيخ علاء الدين لقنني الطريقة. ومع انني لم احظ بكراماتها فاني سعيد بانّي ولدُه الحسيّ وكذلك ولده المعنوي واعتبر نفسي مريدا له تقبل الله مني هذا الاتباع الذي هو اتباع لسنة الرسول الاكرم سيدنا محمد ﷺ» وهذه سلسلة الطريقة النقشبندية التي اخذتُها من والدي ومرشدي:

**١ - الشيخ محمد علاء الدين النقشبندي**
**٢ - الشيخ عمر ضياء الدين النقشبندي**
**٣ - الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي**
**٤ - الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي**
**٥ - الشيخ مولانا خالد النقشبندي**
**٦ - الشيخ عبدالله الدهلوي**
**٧ - شمس الدين حبيب الله جان جانان**

٨ - السيد نور محمد البدواني
٩ - السيد محمد سيف الدين
١٠ - الشيخ محمد معصوم
١١ - (الامام الرباني الشيخ احمد الفاروقي المجدد)
١٢ - الشيخ محمد باقي
١٣ - محمد خواجگي امكني
١٤ - درويش محمد
١٥ - شيخ محمد القاضي الزاهد
١٦ - شيخ عبيدالله الاحرار
١٧ - شيخ يعقوب الچرخي
١٨ - شيخ علاء الدين العطار
١٩ - (الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند)
٢٠ - الشيخ السيد كلال
٢١ - الشيخ محمد بابا سماسي
٢٢ - الشيخ علي الرامتيني
٢٣ - الشيخ محمود انجير فغنوي
٢٤ - الشيخ عارف ريوكري
٢٥ - (الشيخ عبد الخالق الغجدواني)
٢٦ - يوسف الهمداني
٢٧ - ابو علي الفارمدي
٢٨ - ابو الحسن الخرقاني
٢٩ - ابو يزيد البسطامي
٣٠ - سيدنا جعفر الصادق
٣١ - قاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق
٣٢ - سلمان الفارسي
٣٣ - سيدنا ابو بكر الصديق
٣٤ - سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ.

## متى سميت هذه الطريقة بالنقشبندية؟ ولماذا؟

تبين لنا في دراستنا ان الطريقة النقشبندية إتباع مطلق وكامل للدين الاسلامي الحنيف والسنة المطهرة. ومعلوم ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين تميز عن الآخرين بمداومة الذكر والعبادة والجهاد ولكن شرف الصحبة اعلى واجمل لذلك سموا جميعا بالاصحاب وكذلك الامر مع التابعين الذين ظهر الميل الى العزلة الصوفية في عهدهم، فان لقب التابعين ظل هو السمة الاظهر للجميع وفي منتصف القرن الثاني الهجري بدأ وصف التابعين يختفي ويحل معه «الزاهد والعابد» وصفا للعارفين العابدين الذين اختاروا حياة العزلة والانزواء.

وفي اواخر القرن الثاني الهجري أطلق الصوفي لاول مرة على العابدين الذين لم تخدعهم مغريات الدنيا وظلوا مستقيمين على العبودية المطلقة لله سبحانه كما كان كبار الاصحاب والتابعين.

ولاشك بعد هذا التحقيق في ان لباس الصوف الملائم لهذا الميل وهذه الحياة هو السبب في اطلاق اسم «**الصوفي**» على هؤلاء العابدين الناسكين في الزاوية المعزولة.

قالت رابعة العدوية شهيدة العشق الصوفي وهي في سكرات الموت لصاحبة لها: اذا متُّ اغسليني واكفنيني في عباءتي هذه التي من الصوف.

وفي كتاب تذكرة الاولياء لفريد الدين العطار: ٥١٣ ـ ٥٨٦
يقول: **كان الحسن البصري لايبدأ بالوعظ الى ان تحضر رابعة العدوية** وكان يقول: **ان بركة وعظي تأتي من هذه العجوز التي تغطي نفسها بالصوف.**

واقصد ان هذه المرأة الصوفية كانت تلبس الصوف مع ان البصرة حارة!! ولي مقصدان اخران من هذه المقدمة اولها، ان اسم الطريقة لم يكن موجودا ومعروفا، والمتداول من الالقاب المميزة: الاصحاب والتابعون كما ان اسم المذاهب لم يكن موجودا او معروفا ثم تجدد المذهب والطريقة باسم قادته وكبار مؤسسيها، فلولا ابو حنيفة والشافعي لما وجد المذهب الحنفي والشافعي ولولا عبد القادر الگيلاني وبهاء الدين النقشبندي لما وجدت الطريقة القادرية والنقشبندية.

ويقول اصحاب الطريقة النقشبندية ان طريقتهم كانت تسمى «**الصديقية**» نسبة الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم سميت «**الطيفورية**» نسبة الى ابي يزيد البسطامي واسمه طيفور.

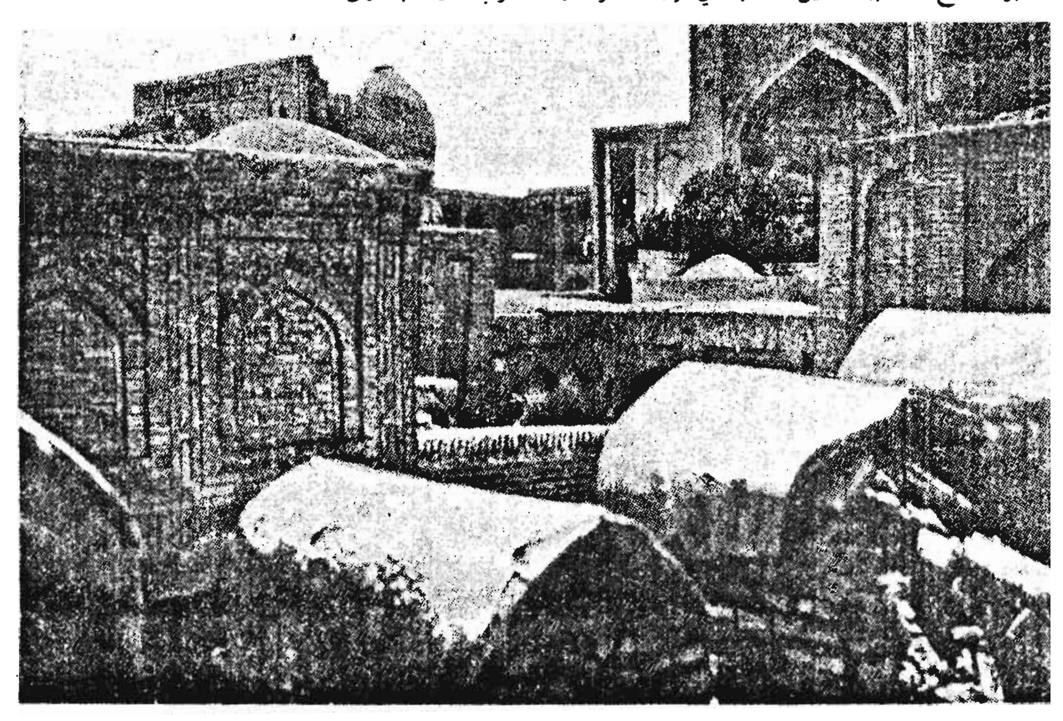
ولايعني ذلك ان ابا بكر وعليا سَمّىٰ مذهبا خاصا والمقصود ان السلسلة من مرشد الى مرشد تصل الى سيدنا ابي بكر او علي رضوان الله عليهم او معناه اننا نطبق ماتحلى به سيدنا ابو بكر الصديق بعد وفاة الرسول (ﷺ) وقد قال النبي ﷺ ماصَبَّ الله في صدري شيئا الاوصببته في صدر ابي بكر وهذا ليس بمادي بل حب معنوي يعني المعرفة والحكمة، وهي اسرار تُسبّب السعادة وتسمى هذه الحالة في علم التصوف، بـ (**الضمنية**) فالمقام اساسا لشخص اخر ولكنه يستطيع ان يأخذ شخصا اخر معه فيشاركه في هذه النعمة.

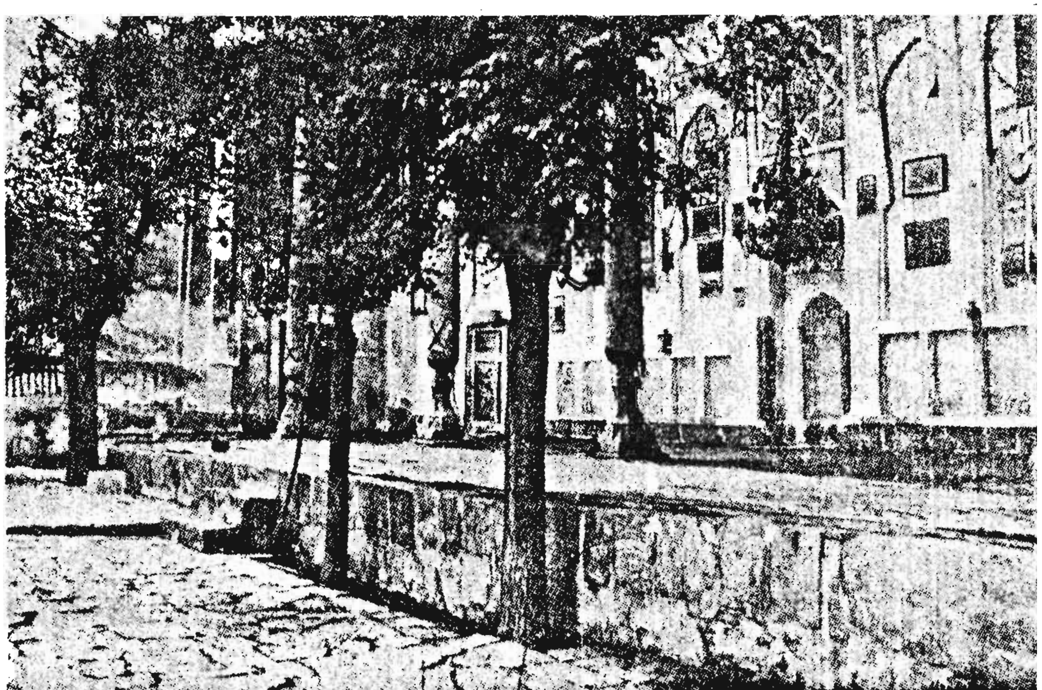
وسُمّيت بعد ذلك بالنقشبندية نسبة الى بهاء الدين النقشبند.

وقد سميت هذه الطريقة ايضا بعد نقشبند باسم اشهر الرجال فيها، مثل عبيد الله الاحرار والامام الرباني المجدد ومولانا خالد النقشبندي، فقيل، الاحرارية، المجددية، الخالدية، ويلاحظ ان احدا منهم لم يستطع اخفاء اسم «النقشبند»، حتى الامام الرباني، ولاتزال النقشبندية هي العَلم: ولم يدعْ احد منهم انهم وصلوا مقاما اعلى من مقامه، كما ان احدا لم يدعُ الوصول الى مقام الشيخ عبد القادر الگيلاني الى الان.

ونتناول هنا باختصار حياة هذا الرجل العظيم وننهي موضوع الطريقة النقشبندية.

) مقبرة الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند في قرية «قصر عارفان» قرب مدينة «بخارى»





) المقبرة والمسجد وايوان المسجد

# حياة بهاء الدين النقشبند

هو الشيخ بهاءالدين محمد بن محمد بن محمد المشهور بالنقشبند، والملقب (**بمحمد البُخاري**) وُلِدَ قدس سره في شهر محرم الحرام سنة سبع عشرة وسبعمائة هجري في قرية قصر هندوان التي سميت فيها بعد (**بقصر عارفان**) من قرى بخارى على فرسخ منها،

وفي بعض المصادر ذكر انه سيد حسيني وجده الاكبر محمد جلال الدين، وهو مريد خواجه محمد بابا السماسي وهو شيخ طريقة خواجگان، وقد اشرنا الى ان هذه الطريقة كانت تسمى طريقة خواجگان، توفي الخواجه محمد بابا السماسي في (٧٥٥)هـ.

وقد حل السماسي مع عدد من مريديه ضيفا في قرية قصر هندوان وهي قرية محمد بهاء الدين ولم يمض ثلاثة ايام في عمر محمد بهاء الدين الطفل فاحتضنه جده وقدمه للسماسي الشيخ، ففرح به وقال اني قبلت هذا الطفل ولدا لي، وَبَشَّر مريديه بان هذا

المولود سيكون اماما لزمانه، كان جده يريد تربيته تربية صوفية فزوجه وعمره ١٨ سنة واخذه في نفس السنة الى سماس لخدمة العارف الكبير الشيخ محمد السماسي وتلقى الطريقة منه وبعد وفاة الشيخ السماسي في ٧٥٥ هـ اخذه جده وذهبا الى سمرقند

للبحث عن رجل صالح قادر على تربيته ثم ذهبا الى السيد امير كلال خليفة الشيخ السماسي فاخذ الطريقة منه وبدأ بالسلوك وقال امير كولال له: **ان حضرة الشيخ محمد السماسي او صاه به وقال له لاتأل جهدا بتربية ولدي محمد** بهاء الدين **ولابالشفقة** عليه. فبدأ بهاء الدين بالذكر والفكر والسلوك الصوفي، وتربية القلب وتزكية النفس.

وكان استعداده فوق العادة فكان يقطع مسافة شهر بيوم واحد ومسافة عام بايام، ففي يوم من الايام جمع السيد امير كلال مريديه وقال لمحمد بهاء الدين اَمامَهم:

**اني نفذت وصية مرشدي الخواجه السماسي بتربيتك ولم آل جهدا في تربيتك ثم مد يده الى صدره وقال: اني ارضعتك جميع مافي صدري فيبس ثديي فتمكنت من اخراج**

**قلبك من قشرة البشرية وتخليصك من النفس والشيطان واصبحت رجلا عظيما وانبتك محل نفسي ولكن همتك تتطلب العالي وهذا منتهى مقدرتي على تربيتك واجيزك لتبحث عن رجل اصلح مني لَعَلّهُ يعرج بك الى مقام اعلى.**

وقد ذكرت سابقا ان بعضا من المريدين يتقدمون على مشايخهم كالشيخ النقشبند مع مرشده وهو السيد امير كولال.

وبعد ان ترك السيد امير كولال وقضى سبع سنوات مع مولانا عارف الديك كراني

وهو أحد خلفاء كولال وصاحبه وقضى ١٢ سنة مع شيخ تركي اسمه (خليل آتا) فكان عاشقا للعبودية والسلوك.

وكان بهاء الدين بالاضافة الى السلوك يتنقل بين علماء الشرع ولاسيما السنة النبوية لدراستها.

وقد حج مرتين وفي احدى سفراته ذهب الى (هرات) فاحترمه الملك معز الدين وكانت له اسفار عديدة فسافر الى سمرقند وريورتون وسمنان ومرو، وطوس ومشهد وتاياباد وقزل رباط وكيش.

توفي الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين وسبعمائة وَسِنّهُ اربع وسبعون سنة ودُفن في بستانه في الموضع الذي امر به وبنى عليه اتباعه قبة عظيمة لاتزال تُزار.

وقد ربى عشرات الالوف من المريدين وقد وصل بعضهم درجة الاجازة المطلقة وقد اجتازوا درجات البقاء بعد الفناء.

وبفيض بركاته تمكن خلفاؤه ونوابه ابلاغ مريديهم الى غاياتهم. واحدهم هو خواجه محمد بارسا الذي ولد في بخارى ٧٤٩ وتوفي في بلخ ٨٦٥ هـ فقد ترك عشرين مؤلفا منها كتاب «القدسية» وهو كتاب يضم اقوال الشيخ النقشبند. وخلفه ابنه ابو النصر

پارسا وهو من كبار مشايخ النقشبندية. ومن عظماء الطريقة النقشبندية الذين تصل اليهم سلسلتنا الشيخ محمد بن محمد المشهور بعلاء الدين العطار فقد رَبّى مئات من المريدين وابلغهم الى قمم الغايات. وفي كتاب الحدائق الوردية عشرات من اسماء مريديه واخبار عشرات من خلفائه، وجاء فيها: وله خلفاء كنجوم السماء.

وفي كتاب «القدسية» المطبوع والمحقق من قبل السيد احمد طاهر العراقي اشارة الى المراجع المخطوطة للنقشبندية وهو مزين بصورة ضريح النقشبند الذي يقول المستشرق

الدانيماركي الوفسين وكان في بخارى في اعوام ١٨٩٦ - ١٨٩٩: **ان ضريح بهاء الدين هو في ركن من بستان مليء باشجار كثيرة من التوت والمشمش وجانباه جامع ويُزار.**

وقال ارمينوس وهو ايضا في القرن التاسع عشر، ومستشرق مجري: **يتوافد على ضريحه على الدوام خلق كثير، حتى من الصين ومن عادة اهل بخارى انهم يزورونه يوم الاربعاء ومنهم من يظل يصلي الليل كله في جامعه وان جانب المرقد مسجد وخانقاه.**

جاء في كتاب الحدائق الوردية و(الانوار القدسية) وهي نفس الحدائق:

**عندما توفي بهاءالدين دُفِنَ في بستان له وبنيت قبة وجامع في جانبه فورا وقد وقف الملوك والعظماء كثيرا من الاملاك عليها.**

قال كاتب ومحقق القدسية:

**لبهاء الدين النقشبند عدا الرسالة القدسية، رسائل اُخرى توجد في مكتبات العالم كالاوراد البهية، واوراد الصغير، والاوراد البهائية وهي مشروحة وكذلك رسالة الواردات وتوجد نسخة منها في ايا صوفيا وكذلك كتاب «دليل العاشقين» ورسالة الحياة وهي نصائح.**

## كلمة النقشبند:

تساءل كثيرون عن معنى هذه الكلمة وهي نقشبند وليست **«نقشبندي»** وهي كلمة فارسية معناها **«الناقش»** كالمصور ويستعمل للحفر في الحجر والشجر ويقال **«النقاش»** لمن صور باليد، وكلمة النقش عربية ويقال **«العلم في الصغر كالنقش في الحجر»**.

وقيل ان اجداده كانوا نقاشين وهو غير صحيح فلو كان ذلك صحيحا كان اسم بهاء الدين نقشبنديا وليس بنقشبند. وانه شخصيا طول حياته لم يسلك عملا غير السلوك الصوفي. فالمعنى متوجه الى المعنويات اي كان بهاء الدين نقاش القلوب وقد رسخ نقش **«الله»** في قلبه وقلوب مريديه ونهجه كما هو واضح، عمل للمذكور ليكون في قلبه.

يقول الشاعر النقشبندي:

**يارفيقا في طريق النقشبندِ**

**انقش ذكر الحق في قلبك بجدٍّ.**

وقال بعضهم: النقشبند قرية في (بخارا) وبهاء الدين من سكانها وهو غير صحيح اذ لاتوجد قرية بهذا الاسم وان حياته معروفة وواضحة ولو كانت هنالك قرية بهذا الاسم لقيل النقشبندي لا النقشبند.

والحقيقة هي انه روّج الذكر الخفي من اجل دوام المذكور في القلب ونقشه في الباطن.

ومن اسمائه: **محمد بهاء الدين الاويسي البخاري**،
وهو يوضح انه من «بخارى» ولكن مامعنى الاويسي؟
يقول مؤلف كتاب «تاريخ التصوف في كردستان» نقلا عن كتاب «تاريخ السليمانية» لامين زكي، **سُمّي اويسيا لان خُلقه في التصوف هو خلق الاويس القرني لذلك سمى اويسيا.**

والحقيقة ان المشايخ الذين توصلوا عن طريق المشايخ المتوفين او المشايخ الذين لم يلتقوا بهم جسديا وتربوا على ايديهم معنويا وليس جسديا يسمون بـ «الاويسي» فكما ان سيدنا اويس القرني حُرِم من نعمة اللقاء بالرسول ﷺ وحُظي بروحانيته وبركاته.

وهكذا يمكن ان يستفيد المشايخ من مشايخ توفوا او لم يلتقوا بهم وهم احياء.
وحيث ان النقشبند قد تلقى التربية الروحية كما قال في وصف رحلته الروحية، من روحانية الخواجه عبد الخالق الغجدواني، وكان امير كولال قد اعترف بانه قد اوصله الى مقام معين قدر طاقته، وقد رفعته روحانية الشيخ الغجدواني المتوفى قبلَ بهاء الدين بسنين طويلة الى هذا المقام الكبير، فهو على هذا الاساس (**اويسي المشرب**) لذلك يقال له «**بهاء الدين الاويسي**». ولذلك ايضا يقال ان سلسلة بهاء الدين النقشبند تصل الى النبي (ﷺ) بعد عشرة من المشايخ ويقع امير كولال، والسماسي، وعلى رامتيني ومحمود أنجير فغنوي وعارف ريوگري بين بهاء الدين و «الغجدواني» فما دامت روحانية الغجدواني هي التى ربّت بهاء الدين النقشبند فيُعتبر مرشدا له.

وهذا المقام الاويسي لم يكن خاصا به بل كذلك الشيخ حسن الخرقاني ومن المشهور ان روحانية البسطامي ربت الشيخ حسن المتوفى في ٤٢٥هـ وتوفي بايزيد في ٢٦١ هـ كما انه من المشهور ان البسطامي من تربية الامام جعفر الصادق المتوفى في (١٤٨) هـ.

ويقول البعض: يوجد شخصان باسم بايزيد احدهما عاش في زمن الامام جعفر واقصد بذلك توضيح معنى «**الاويس**» والا فان هؤلاء المشايخ الكبار قصدوا الله سبحانه وهو حاضر في كل مكان وهادي عبده «**واتقوا الله ويعلمكم الله**».

ومن كان له مرشد كبير مثل امير كولال وقال اني اعطيتك كلما املك واخرجتك من القالب البشري، وهذه اشارة الى مقام البقاء بعد الفناء، فانه يستطيع بعد ذلك شق

طريقه والله سبحانه قادر على ان يأمر روحانية رجل صالح لتربية الاخرين.

ومن كبار المشايخ الذين اوصلهم النقشبند، الخواجه يعقوب الجرخي المتوفى في سنة ٨٥١ وهو واحد من فرسان طريق الهداية والارشاد وأوصل مئات من السالكين الى غاياتهم.

وانّ اقوال بهاء الدين النقشبند في الاشارات واسرار الطريقة وفي الارشاد تكفي لتوضيح هذه الميادين الصوفية

ومن اراد الاطلاع على الطريقة النقشبندية وكبار مشا يخها فعليه مطالعة هذه الكتب:

١ ـ القدسية، وهي كلمات بهاء الدين النقشبند، نشرها السيد احمد طاهر العراقي باللغة الفارسية وفيها اشارة الى مراجع اخرى كثيرة.
٢ ـ رسائل اخرى للشيخ بهاء الدين النقشبند.
٣ ـ مكتوبات الامام الرباني وهو كتاب عظيم.
٤ ـ نفحات الانس للملاجامي.
٥ ـ رشحات عين الحياة فخر الدين على كاشفي.
٦ ـ انيس الطالبين وعدة السالكين.
٧ ـ الحديقة الندية في اداب الطريقة النقشبندية محمد بن سليمان البغدادي / مطبوعة في مصر.
٨ ـ حبيب السّير.
٩ ـ مناهج السير لابي الحسن المجددي طبع ١٩٥٧ في دلهي.
١٠ ـ المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية.
١١ ـ تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب.
للشيخ محمد امين الكردي.
١٢ ـ الحدائق الوردية في اجلاء النقشبندية. عبد المجيد الخاني.
١٣ ـ الانوار القدسية من مناقب السادة النقشبندية محمد الرّخاوي وهو نفس كتاب الحدائق.
١٤ ـ اسرار التوحيد في مقامات الشيخ ابي سعيد.
١٥ ـ رياض المشتاقين لملا حامد البيساراني خليفة الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي مخطوطة.

١٦ ـ قال مقدم كتاب القدسية:

من المؤسف ان ماكتُب في النقشبندية محفوظ في اوربا واميركا. وقد بَحثَ مستشرقٌ شاب وهو (ماريژان موله) في النقشبندية كثيرا وقد نُشرت رسالة من تحقيقاته سنة (١٩٦٣) في مجلة المطالعات الاسلامية في باريس ذكرت فيها المسائل الخاصة بها.

وقد اشرت الى هذه الكتب لعل الكتاب المحدثين تأخذهم النخوة ويستفيدون من هذه المراجع ويوضحون كثيرا منها.

والقدسية اهم مصدر وكذلك المراجع المثبتة في الكتاب.



## - المصادر -


١ - القرآن الكريم.
٢ - الاسلام والتصوف «نيكلسون».
٣ - الفاظ الصوفية د. حسن محمد الشرقاوي.
٤ - الانوار القدسية في مناقب السادات النقشبندية (محمد محمد ماضي الرخاوي).
٥ - الانوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية (الامام عبدالوهاب الشعراني).
٦ - ايضاح الطريق الشاه عبدالله الدهلوي «مخطوطة».
٧ - ايقاظ الهمم وشرح الحكم - احمد بن محمد بن عجيبة.
٨ - بين التصوف والحياة... عبدالباري الندوي.
٩ - تاريخ الفلسفة في الاسلام. ج - دي بور.
١٠ - التصوف الاسلامي، د. زكي مبارك.
١١ - التصوف الاسلامي... د. عبدالرحمن بدوي.
١٢ - التصوف وفريدالدين العطار... د. عبدالوهاب عزام.
١٣ - التصوف عند المستشرقين... د. محمد الشرباصي.
١٤ - التصوف ابو عبدالرحمن السلمي.
١٥ - تذكرة الاولياء... فريدالدين العطار.
١٦ - التعرف لمذهب اهل التصوف «الكلاباذي».
١٧ - تفسير (روح البيان) للبرسوي، وتفاسير اخرى.
١٨ - تنوير القلوب، محمد امين الكردي.
١٩ - حقائق عن التصوف... عبدالقادر عيسى.
٢٠ - دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية... د. عبدالقادر محمود.
٢١ - دائرة المعارف الاسلامية ترجمة ابراهيم زكي. واصدقائه.
٢٢ - الرسالة القشيرية. عبدالكريم هوازن القشيري.
٢٣ - رسالة طب القلوب... الشيخ علاء الدين الشيخ عمر النقشبندي.
٢٤ - رسائل ابن العربي... الشيخ محي الدين العربي.
٢٥ - رياض المشتاقين... ملا حامد البيساراني «مخطوطة».
٢٦ - شرح الحكم العطائية... محمد ابن ابراهيم النفري.
٢٧ - شطحات الصوفية... عبدالرحمن بدوي.

٢٨ - صحيح مسلم . . . (حديث نبوي شريف) .
٢٩ - صحيح البخاري . . . «حديث نبوي شريف» .
٣٠ - الطبقات الكبرى الامام الشعراني .
٣١ - عوارف المعارف . الشيخ عمر السهروردي .
٣٢ - الغنية - الشيخ عبدالقادر الكيلاني .
٣٣ - الفتوحات المكية . . . الشيخ محي الدين العربي .
٣٤ - فصوص الحكم . . . الشيخ محي الدين العربي .
٣٥ - الفلسفة الاخلاقية الافلوطينية . . . د. ناجي التكريتي .
٣٦ - الفلسفة الصوفية في الاسلام د. عبدالقادر محمود .
٣٧ - الفلسفة العلمية واسلوب التحقيق فيليسين شاليه «فارسية» .
٣٨ - الفتح الرباني . . . الشيخ عبدالقادر الكيلاني .
٣٩ - الفتح الرباني . . . الشيخ عبدالغني النابلسي .
٤٠ - الفهرست لابن النديم . . .
٤١ - قوت القلوب . ابو طالب المكي .
٤٢ - القدسية . . . كلمات بهاء الدين النقشبند .
٤٣ - قوانين حكم الاشراق . جمال الدين محمد ابو المواهب .
٤٤ - اللمع ، ابو نصر السراج .
٤٥ - مقدمة ابن خلدون .
٤٦ - المدخل الى التصوف الاسلامي . محمد ابو الفيض المنوفي .
٤٧ - مدارج السالكين . . . ابن قيم الجوزية .
٤٨ - المرشد الى آيات القرآن الكريم ، محمد فارس بركات .
٤٩ - مرصاد العباد من المبدأ الى المعاد . . . الشيخ نجم الدين الرازي .
٥٠ - المعجم الصوفي ، الدكتورة سعاد الحكيم .
٥١ - معجم مصطلحات الصوفية . . . د. عبدالمنعم الحفني .
٥٢ - مكتوبات الامام الرباني . . . الشيخ احمد الفاروقي .
٥٣ - المنقذ من الضلال . . الامام محمد الغزالي .
٥٤ - منازل السائرين ، شيخ الاسلام الهروي .
٥٥ - المواهب السرمدية في مناقب السادات النقشبندية . . . محمد امين الكردي .

٥٦ نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها. . . د. عرفان عبدالحميد فتاح.
٥٧ ـ نشأة التصوف الاسلامي، د. ابراهيم بسيوني.
٥٨ ـ نعت البدايات وتوصيف النهايات، محمد فاضل بن مامين.
٥٩ ـ نور الناظرين. ملا محمد باكي «مخطوطة».
٦٠ ـ الوصايا. . . الشيخ محي الدين العربي.
٦١ ـ مذكراتي الشخصية. .

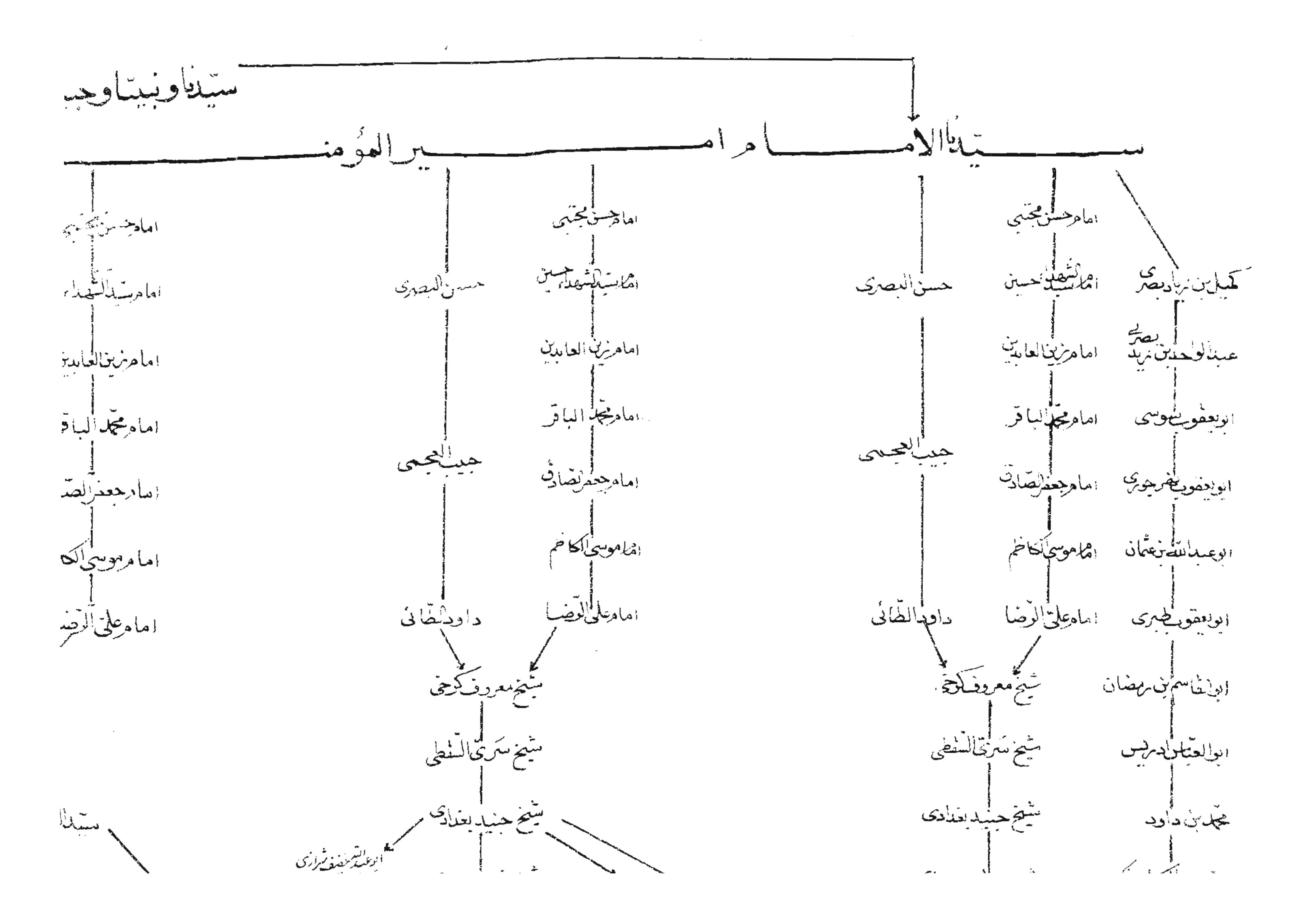
ومايقارب من خمسين كتابا ومعاجم وقواميس مختلفة.

## الفهرست

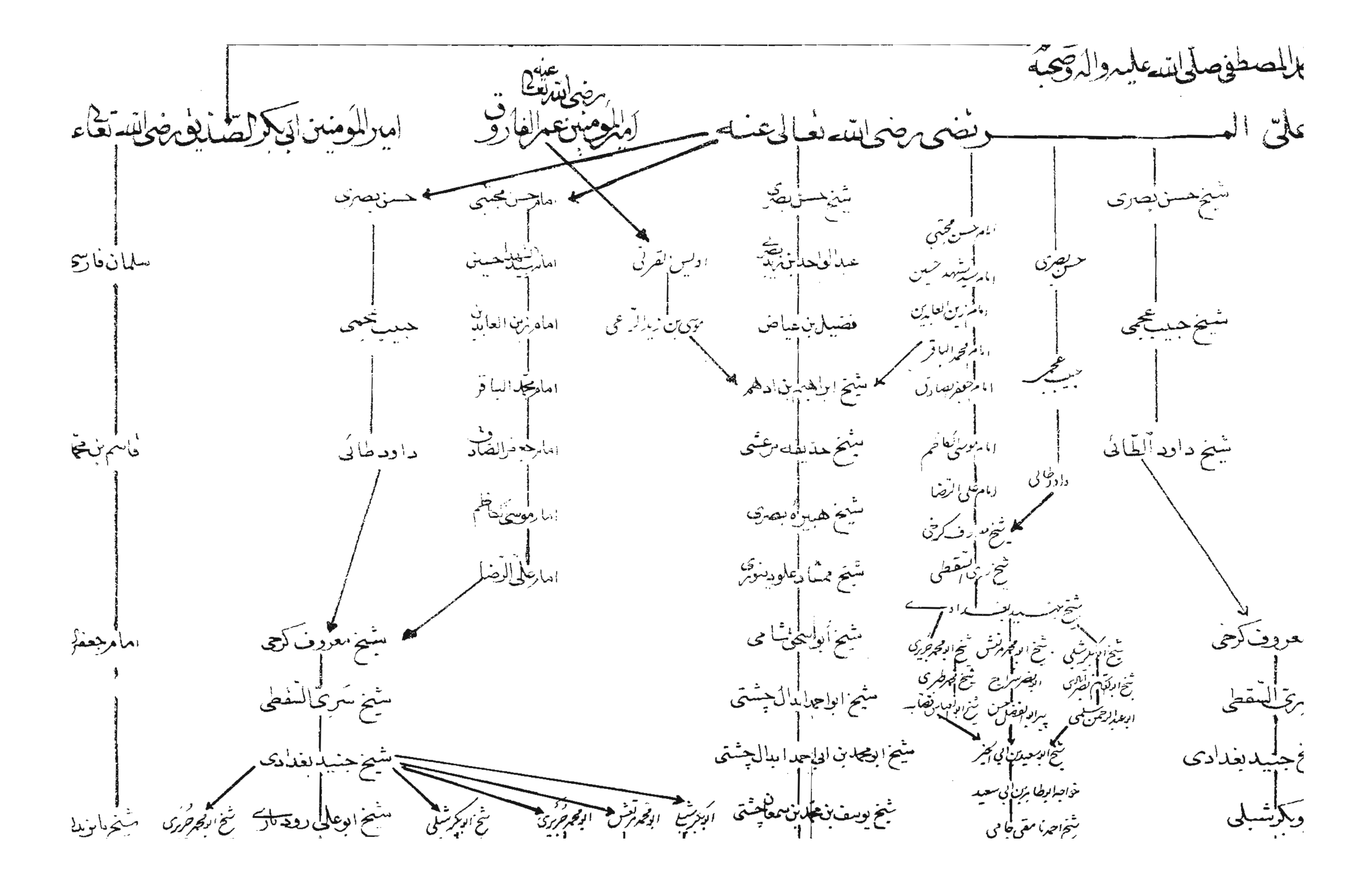

| | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة بقلم العلامة الشيخ عبدالكريم المدرس . | ٩ |
| مقدمة المترجم الاستاذ الدكتور محمد شريف . | ١٥ |
| مقدمة المؤلف | ١٩ |
| الباب الاول : «حقيقة التصوف» | ٢٣ |
| الفصل الاول : «مصطلح التصوف» | ٢٧ |
| الفصل الثاني : «التصوف والفلسفة» وشرح حول «علم اليقين ، عين اليقين ، حق اليقين» | ٣١ |
| الفصل الثالث ، التصوف الاسلامي والشريعة الاسلامية . | ٤١ |
| الفصل الرابع التصوف في اقوال كبار مشايخه . | ٤٣ |
| الفصل الخامس ، التصوف في تجربة الامام الغزالي . | ٥٥ |
| الباب الثاني : ردود تساؤلات عن التصوف وقضاياه | ٦٥ |
| الباب الثالث : مقامات التصوف | ٨٤ |
| الباب الرابع : الاحوال | ١٣٢ |

| | |
|---|---|
| الباب الخامس : | ١٥٤ |
| مصطلحات صوفية | |
| الصفات الحميدة | ١٩٠ |
| الصفات الذميمة | ١٩١ |
| الباب السادس : الطريقة النقشبندية | ١٩٢ |
| الكلمات الاحدى عشرة في الطريقة النقشبندية | ٢١٥ |
| السلسلة النقشبندية . | ٢٢٧ |
| متى سميت هذه الطريقة بالنقشبندية؟ ولماذا؟ | ٢٣٢ |
| حياة بهاء الدين النقشبند . . . | ٢٣٦ |

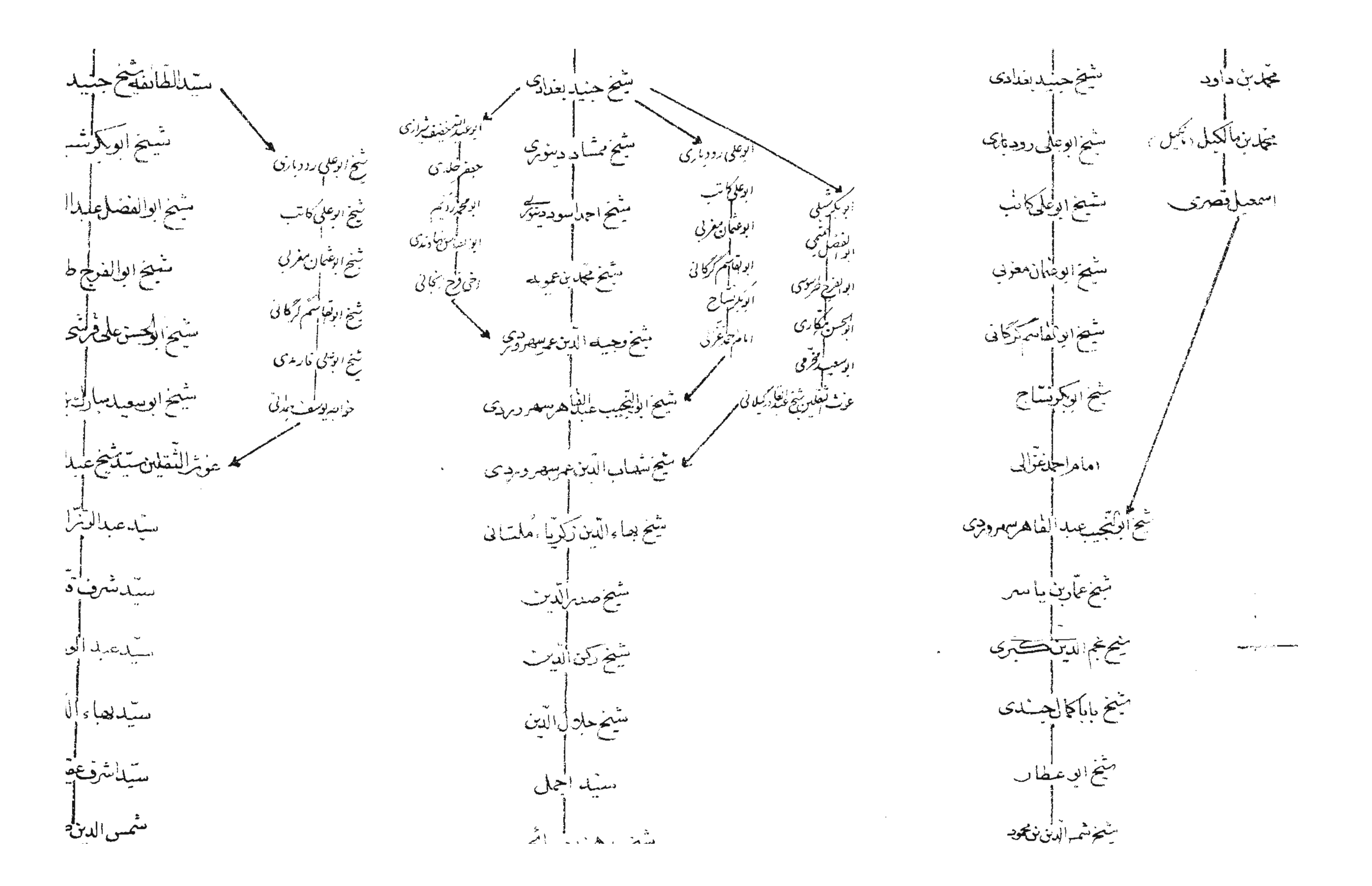
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠٩١) لسنة ١٩٨٨



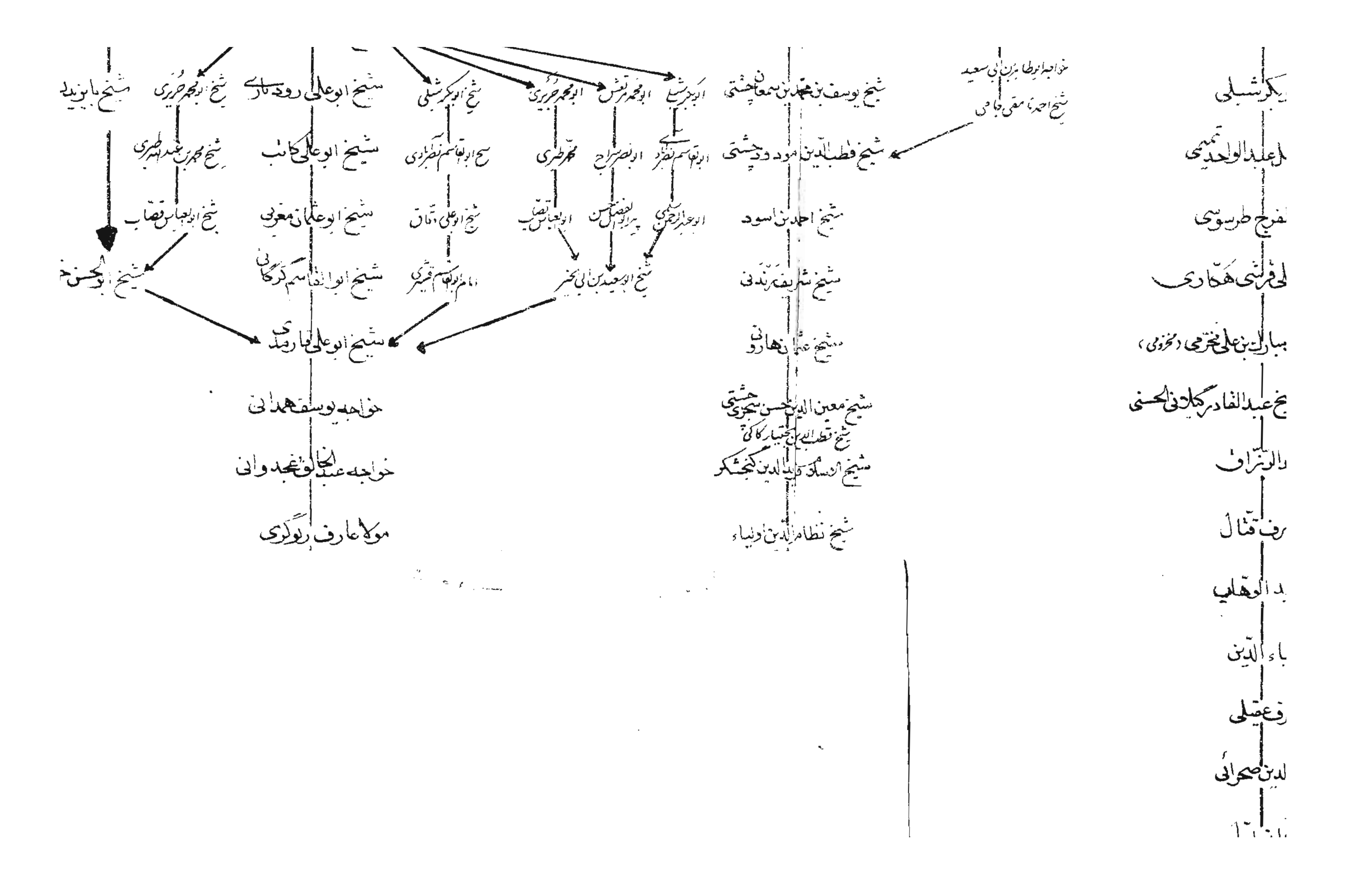
سیدنا و نبینا و حبیب
سیدنا الامام امیر المومنین
کمیل بن زیاد بصری
عبد الواحد بن زید بصری
ابو یعقوب سوسی
ابو یعقوب نهرجوری
ابو عبد الله بن عثمان
ابو یعقوب طبری
ابو القاسم بن رمضان
ابو العباس ادریس
محمد بن داود
امام حسن مجتبی
امام سید الشهداء حسین
امام زین العابدین
امام محمد الباقر
امام جعفر الصادق
امام موسی الکاظم
امام علی الرضا
حسن البصری
حبیب العجمی
داود الطائی
شیخ معروف کرخی
شیخ سری السقطی
شیخ جنید بغدادی
ابو عبد الله خفیف شیرازی



محمد المصطفی صلی الله علیه واله وصحبه
علی المرتضی رضی الله تعالی عنه
امیر المومنین عمر الفاروق رضی الله تعالی عنه
امیر المومنین ابی بکر الصدیق رضی الله تعالی
شیخ حسن بصری
شیخ حبیب عجمی
شیخ داود الطائی
معروف کرخی
سری السقطی
جنید بغدادی
ابوبکر شبلی
حسن بصری
حبیب عجمی
داود طائی
امام حسن مجتبی
امام سید الشهدا حسین
امام زین العابدین
امام محمد الباقر
امام جعفر الصادق
امام موسی الکاظم
امام علی الرضا
شیخ معروف کرخی
شیخ سری السقطی
شیخ جنید بغدادی
شیخ ابوسعید ابی الخیر
خواجه ابو طاهر بن ابی سعید
شیخ احمد نامقی جامی
شیخ حسن بصری
عبد الواحد بن زید
فضیل بن عیاض
شیخ ابراهیم بن ادهم
شیخ حذیفه مرعشی
شیخ هبیره بصری
شیخ ممشاد علو دینوری
شیخ ابو اسحق شامی
شیخ ابو احمد ابدال چشتی
شیخ ابو محمد بن ابی احمد ابدال چشتی
شیخ یوسف بن محمد بن سمعان چشتی
اویس القرنی
موسی بن زید الراعی
امام حسن مجتبی
امام سید الشهدا حسین
امام زین العابدین
امام محمد الباقر
امام جعفر الصادق
امام موسی الکاظم
امام علی الرضا
حسن بصری
حبیب عجمی
داود طائی
شیخ معروف کرخی
شیخ سری السقطی
شیخ جنید بغدادی
ابوبکر شبلی
ابو محمد مرتعش
ابو محمد جریری
شیخ ابوبکر شبلی
شیخ ابو علی رودباری
شیخ ابو محمد جریری
سلمان فارسی
قاسم بن محمد
امام جعفر
شیخ بایزید



محمد بن داود
اسمعیل قصری
شیخ جنید بغدادی
شیخ ابوعلی رودباری
شیخ ابوعلی کاتب
شیخ ابوعثمان مغربی
شیخ ابوالقاسم گرگانی
شیخ ابوبکر نساج
امام احمد غزالی
شیخ ابوالنجیب عبدالقاهر سهروردی
شیخ عمار بن یاسر
شیخ نجم الدین کبری
شیخ باباکمال جندی
شیخ ابوعطا
شیخ شمس الدین محمود
شیخ جنید بغدادی
شیخ ممشاد دینوری
شیخ احمد اسود دینوری
شیخ محمد بن عمویه
شیخ وجیه الدین عمر سهروردی
شیخ ابوالنجیب عبدالقاهر سهروردی
شیخ شهاب الدین عمر سهروردی
شیخ بهاء الدین زکریا ملتانی
شیخ صدر الدین
شیخ رکن الدین
شیخ جلال الدین
سید اجمل
ابوعلی رودباری
ابوعلی کاتب
ابوعثمان مغربی
ابوالقاسم گرگانی
ابوبکر نساج
امام احمد غزالی
ابوبکر شبلی
ابوالفضل تمیمی
ابوالفرج طرسوسی
ابوالحسن هکاری
ابوسعید مخزومی
غوث الثقلین شیخ عبدالقادر گیلانی
ابوعبدالله خفیف شیرازی
جعفر حذاء
اخی فرج زنجانی
سید الطائفه شیخ جنید
شیخ ابوعلی رودباری
شیخ ابوعلی کاتب
شیخ ابوعثمان مغربی
شیخ ابوالقاسم گرگانی
شیخ ابوعلی فارمدی
خواجه ابویوسف همدانی
غوث الثقلین سید شیخ عبد

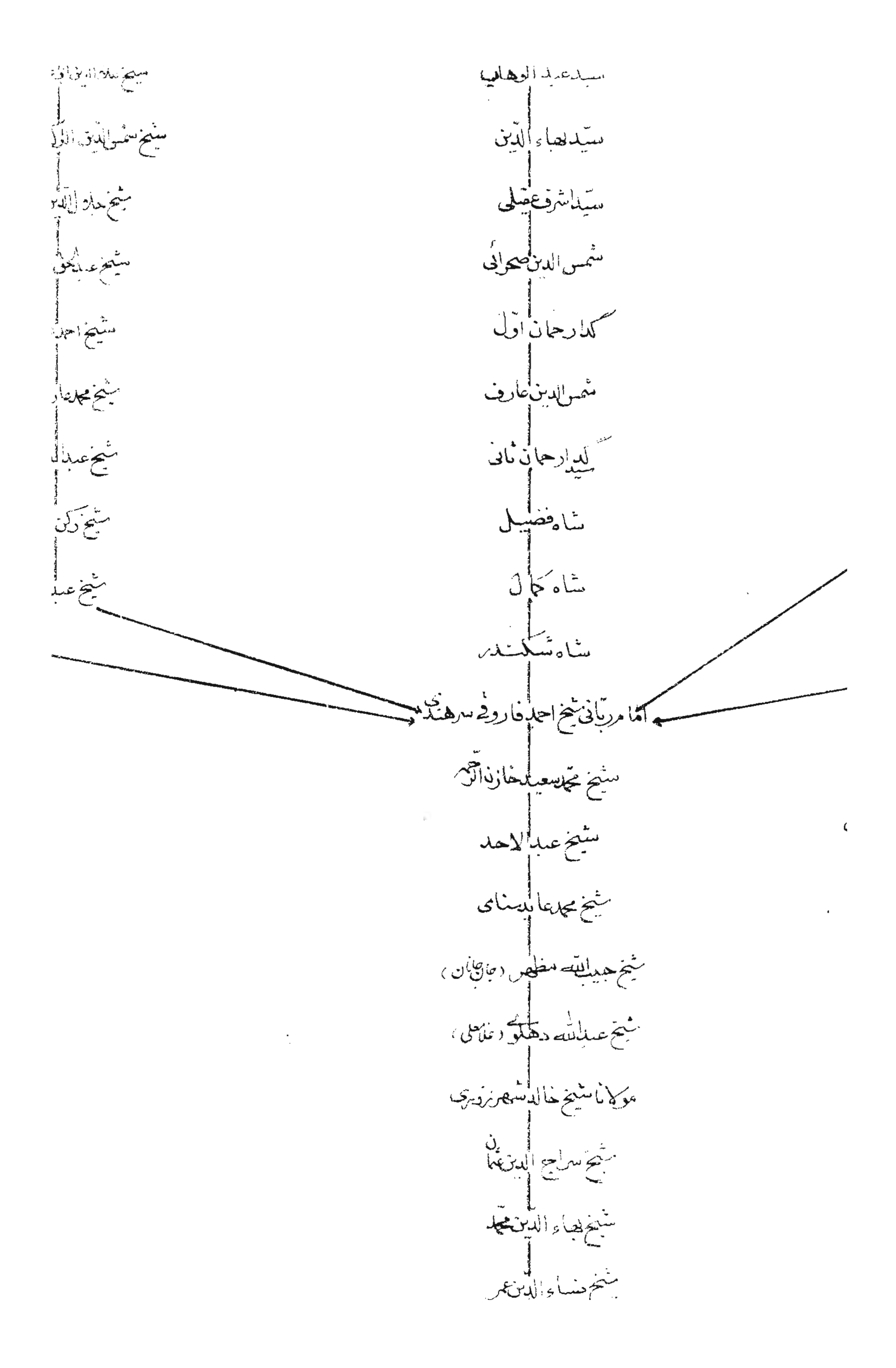


شیخ بایزید
شیخ ابوالحسن خ
شیخ ابو محمد جریری
شیخ محمد بن عبدالله طبری
شیخ ابو العباس قصاب
شیخ ابو علی رودباری
شیخ ابو علی کاتب
شیخ ابو عثمان مغربی
شیخ ابو القاسم گرگانی
شیخ ابو علی فارمدی
خواجه یوسف همدانی
خواجه عبد الخالق غجدوانی
مولانا عارف ریوگری
شیخ ابوبکر شبلی
شیخ ابو القاسم نصرآبادی
شیخ ابو علی دقاق
امام ابو القاسم قشیری
ابو محمد جریری
محمد طبری
ابو العباس قصاب
ابو محمد مرتعش
ابو نصر سراج
پیر ابو الفضل حسن
ابوبکر شبلی
ابو القاسم نصرآبادی
ابو عبد الرحمن سلمی
شیخ ابو سعید بن ابی الخیر
شیخ یوسف بن محمد بن سمعان چشتی
شیخ قطب الدین مودود چشتی
شیخ احمد بن اسود
شیخ شریف زندنی
شیخ عثمان هارونی
شیخ معین الدین حسن سجزی چشتی
شیخ قطب الدین بختیار کاکی
شیخ الاسلام فرید الدین گنج شکر
شیخ نظام الدین اولیاء
خواجه ابوطاهر بن ابی سعید
بکر شبلی
عبد الواحد تمیمی
فرج طرسوسی
ابی الحسن هکاری
مبارک بن علی مخرمی (مخزومی)
شیخ عبد القادر گیلانی الحسنی
عبد الرزاق
رف قتال
بد الوهاب
باء الدین
رف عقیلی
الدین صحرائی

شیخ عمار بن یاسر
شیخ نجم الدین کبری
شیخ بابا کمال جندی
شیخ ابو عطار
شیخ شمس الدین بن محمود
شیخ حمید الدین سمرقندی
شیخ احمد جونپوری
شیخ بدهن
درویش محمد
شیخ عبد القدوس گنگوهی
شیخ رکن الدین
شیخ عبد الاحد

شیخ صدر الدین
شیخ رکن الدین
شیخ جلال الدین
سید اجمل
شیخ بدهن بهرائچی
درویش محمد بن قاسم اودهی
شیخ رکن الدین گنگوهی
شیخ عبد الاحد

امام ربانی
شیخ


سید عبد الوهاب
سید بهاء الدین
سید اشرف عقیلی
شمس الدین صحرائی
گدا رحمان اول
شمس الدین عارف
گدا رحمان ثانی
شاه فضیل
شاه کمال
شاه سکندر
امام ربانی شیخ احمد فاروقی سرهندی
شیخ محمد سعید خازن الرحمة
شیخ عبد الاحد
شیخ محمد عابد سنامی
شیخ حبیب الله مظهر (جان جانان)
شیخ عبد الله دهلوی (غلام علی)
مولانا شیخ خالد شهرزوری
شیخ سراج الدین عثمان
شیخ بهاء الدین محمد
شیخ ضیاء الدین عمر

[illegible]

شیخ شمس الدین الترک پانی پتی

شیخ جلال الدین پانی پتی

شیخ عبد الحق ردولوی

شیخ احمد عارف

شیخ محمد عارف

شیخ عبد القدوس

شیخ رکن الدین

شیخ عبد الاحد

خواجه محمود انجیر فغنوی

خواجه علی رامیتنی

خواجه محمد بابا سماسی

سید امیر کلال

خواجه بهاء الدین نقشبند

مولانا یعقوب چرخی

خواجه عبید الله احرار

مولانا محمد زاهد

مولانا درویش محمد

خواجگی امکنگی سمرقندی

خواجه محمد باقی بالله



السعر ثلاثة دنانير

طبع الدار العربية بغداد